وزارة التعليـم العالي والبحـث العلمـي
جامعة الحـاج لخضـر ـ بـاتنـــةـ
كليــة الآداب واللغـــات
قسم اللغة العربية

الخطاب السردي
في كتاب كليلة ودمنة لابن المقفع
ـ مقاربة تداوليةـ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان
تخصص: الدراسات الدلالية

إعداد الطالـبة:
سارة قطاف

إشـراف الدكتور:
الجودي مرداسي

د.لخضر بلخير	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر –باتنةـ	رئيسا
د.الجودي مرداسي	أستاذ محاضر	جامعة الحاج لخضر –باتنةـ	مشرفا ومقررا
أ.د.إسماعيل زردومي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر –باتنةـ	عضوا مناقشا
د.لبوخ بوجملين	أستاذ محاضر	جامعة قاصدي مرباح-ورقلةـ	عضوا مناقشا

السنـــة الجامعيـــة:
1433هـ/1434هـ
2012م /2013 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شـكـر و تـقــديــر

عملا بقوله صلى الله عليه و سلم:«من لا يشكر الناس،لا يشكر الله عزَّ و جل »[1] ، أقدم جزيل شكري و امتناني بعد الله عزَّ و جل إلى كل من :

-الأستاذ الفاضل الدكتور الجودي مرداسي أولا لتأطيره مشروع الماجستير شعبة علوم اللسان تخصص الدراسات الدلالية لعام 2009 ، و لفتحه باب البحث أمام الطلبة ، و ثانيا لكونه المرشد العلمي للباحثة ؛ إذ رعى البحث إلى أن تمَّ بحمد الله، فلم يتأخر في إبداء الرأي وإسداء النصح ، و هو الذي غمرني بكريم خُلقه ، فعاملني معاملة الأب الحاني لابنته ، فله الجزيل الذي لا يُنسى ، و الفضل الذي لا يُجحد .

-أعضاء اللجنة العلمية الذين تشرفتُ بقبولهم مناقشة هذا العمل العلمي،وهم الذين استزدت من علمهم سواء على مقاعد الدراسة بجامعة الحاج لخضر_باتنة،أو من خلال كتاباتهم العلمية فلهم أسمى آيات التقدير و الاحترام.

-أساتذتي الأجلاء في قسم اللغة العربية بجامعة باتنة ، اللذين قطفت من روض علمهم ، و تنسمت من عبق سيرتهم ، أتوجه إليهم بالشكر الجزيل و العرفان الجميل .

-والدي لعريبي قطاف أستاذ علم الاجتماع ، الذي وفَّر لي شروط الراحة و التعليم ، بما في ذلك مكتبة تزخر بكثير من الكتب القيمة في مجال الأدب و في غيره ، فله مني جزيل الشكر و الامتنان ، عسى أن يهديَني ربّي لرد الجزء اليسير مما جاد به عليّ .

-كما أشكر الأيادي البيضاء التي أمدَّت البحث بمراجع الدراسة ، وأخص بالذكر الأساتذة : وداد بن عافية ، ابتسام بن خراف ، نعيمة روابح ، ميلود نزار ، توفيق بن خميس ،دليلة قاسمية ، نادية خميس ، رحيمة شيتر ...فأنا مدينة لهم جميعا بكل عبارات الشكر و التقدير .

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (11703) ، 233/18 ، تح : شعيب الارنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي و عادل مرشد و إبراهيم الزيبق ومحمد رضوان العرقسوسي و كامل الخراط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط2 ، 1999 .

مقدمة

مقدمة :

كانت اللغة و لا تزال مدار اشتغال الباحثين في شتى الاختصاصات منذ عشرات القرون ، باعتبار طبيعتها التواصلية و التبليغية ، لذلك فقد عكفت الدراسات اللسانية منذ نشأتها إلى دراسة هذه الأداة ، وعملت على وصفها بمختلف المناهج والوسائل المتاحة لذلك .

وقد كان لتطور اللسانيات الحديثة دور كبير في إبراز حقيقة اللغة ، والكشف عن مناهج جديدة لتحقيق هذه الغاية،فتعدى الدرس اللغوي حدود الجملة إلى ما بعد الجملة ،وصار لزاما تجاوز حدود الوصف إلى مجال الاستعمال الفعلي للغة بين المتخاطبين .

هذا الانتقال كان سببا في تعدد جوانب الدراسات والاتجاهات والمدارس والمناهج والنتائج؛فمنها الجانب اللساني، ومنها الجانب الاجتماعي، و منها الجانب النفسي...ومن هنا كان المجال مفتوحا لبروز تيار جديد عرف **بالتداولية** ، و التي أثارت اهتمام العديد من الباحثين،بما تتيح من إمكانات لحل مشاكلهم العالقة،كما أنَّها فضاء مفتوح على مختلف المعارف الإنسانية ، فهي تغرف من علم الاجتماع ، وعلم النفس، و علم الاتصال، و الذكاء الصناعي، و غيرها .

ولئن انتقدت التداولية لمعالجتها،بحسب آراء بعض الباحثين ، المشاكل اللغوية الهامشية Marginaux التي لم تعالجها اللسانيات(الفونولوجيا ، التركيب ، الدلالة)، فإنَّها أحدثت تغييرا طال جميع الأبحاث اللسانية، مما فتح آفاقا أرحب ، و أنتج أسئلة جديدة حول هذا البحث ، الذي يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية Extra linguistique .

فقد اهتمت التداولية بالسياق والمقام و المتكلمين ومقاصدهم وقدرات المتلقين على الاستيعاب و كفاءاتهم التواصلية أو التداولية؛بل إنَّها وسعت من اهتمامها ليشمل مقاربة النصوص الأدبية،لغاية الكشف عن مقاصد التواصل والتبليغ ،وتحديد معالم هاته النصوص اعتمادا على أغراضها التداولية .

والتداولية إذ تلج غمار مقاربة الخطابات الأدبية فإنَّها تلمس تنوع الخطابات بين سردي ووصفي وشعري؛ بل و أحيانا تداخل الأجناس الأدبية تلك فيا بينها،و إذ ذاك يتساءل الباحث في كيفية و مدى نجاح تطبيق هذا التيار المعاصر لأدواته الإجرائية على كل هذه الخطابات المتشعبة الرؤية و التشكيل .

فالتداولية وهي تخوض مغامرة مقاربة الخطاب الأدبي _السردي،باعتبار موضوع البحث،فإنَّها تضعنا أمام سلسلة إشكالات تولد لدينا العديد من الأسئلة نوجزها في نقاط أساسية:

Ã إذا كان انجاز الخطاب الأدبي بوصفه فعلا كلاميا متعلقا بأطراف التخاطب المتكلم /المرسل ، و المستمع أو القارئ فما هي حدود كل هذه الأطراف ، مع العلم أن السرد بطبيعته يستدعي تعددا في الأصوات الناطقة به و فيه ؟ فهل يمكن للتداولية بما تتيحه من أدوات و آليات مقاربة الخطاب السردي و الإجابة عن أسئلة من قبيل من يتكلم في النص ؟ مع من يتكلم ؟ ماذا يريد المتكلم أن يقول ؟ كيف يتكلم ؟.

- إنَّ الخطاب السردي يبنى على أساس مجازي في اللغة،ذلك الجانب الذي يفضي إلى بناء فعل أو أفعال كلامية غير مباشرة،فهل يمكن انطلاقا من هذا التصور اعتبار الخطاب السردي فعلا كلاميا غير مباشر؟.
- كيف يمكن الحكم على نجاح المقاربة التداولية للخطاب الأدبي مع العلم أنه صيغ بطريقة خاصة تتوارى المقصدية من خلالها ؟كيف لنا تفكيك الخطاب السردي بالخصوص للوصول إلى القصد الباطن الكامن خلفه، برغم صعوبة التأكد من المقاصد لمخالفتها الألفاظ ؟.
- ما الدور الذي يعكسه السياق العام المنجز فيه الخطاب؟.
- كيف تزدوج أساليب الإمتاع و الإقناع في خطاب أدبي _سردي واحد؟.

كل هذه الأسئلة وغيرها تسوّغ لنا اختيار التداولية منهجا لقراءة منتج سردي تراثي ريادي هو كتاب **كليلة و دمنة**،حكايات تتميز بنصّيتها و بانسجام مقاطعها،كما يميزها تطلّعها إلى خلق انسجام خارجي،لكونها تنزع إلى إقامة واقع مواز لما يجب أن يكون عليه الواقع الخارجي،وهذا ما يوفره نص **كليلة ودمنة** بوصفه نصا سرديا ووحدة كلامية تامة يحققها المتكلم /المترجم بهدف معين ،و في إطار ظروف زمنية و مكانية محددة .

وقد كان من أسباب اختياري الموضوع أنَّه لم ينل حقّه من الاهتمام ،و أقصد بذلك تطبيق المنهج التداولي، بما يتيحه من آليات و أدوات إجرائية ، في تحليل الخطابات السردية ، كذلك توقي إلى عالم الرواية التي مثل ما تعطينا من الحركة ما نرغب،فإنَّها كذلك فنٌ مُتقَن حبك الشبكة حول أعناقنا كقراء ،و هو ما يوفره لنا كليلة ودمنة-وإن لم يكن في مستوى الرواية بما تحتويه من مفاهيم متشعبة و معقدة - كخطاب سردي ، وتحقيقا لهذه الغاية تم اختيار عنوان يتماشى و هذا المقتضى،وسم بـــــــــــ :"**الخطاب السردي في كتاب كليلة و دمنة لابن المقفع مقاربة تداولية** "،وقد اعتمد البحث في تناميه على مدخل وثلاثة فصول و مقدمة تسبق ذلك ، و خاتمة تتوج أهم ما خلص البحث إليه .

✖مدخل : بيبليوغرافيا العنوان

ولأهمية المصطلح في بناء أي منظومة علمية معرفية فقد حاولت في هذا المدخل الوقوف على المصطلحات المفاتيح للعنوان،فتناولت مفهوم الخطاب في الثقافتين العربية و الغربية ،مع الاحتراس في المعالجة،سيما و أنَّ هذا المصطلح يحمل ما يحمل من زخم فكري،وكذلك لنشأته في تربة غربية ؛ إذ يبقى لا محالة وفيا للأصول الفكرية التي أفرزته،كما حاولت إقامة الحدود بينه و بين مصطلح النص بما وجدت في المؤلفات العربية التي لها باع طويل في هذا الشأن،وإن كان التمييز بينهما يبقى غائما لصعوبة الفصل بين المصطلحين عند جل الباحثين.ثم عرَّجت إلى تجليات الخطاب السردي وأهم المفاهيم التي يتكأ عليها لبناء معالمه؛كالشخصية الحكائية ، الرواة أو السراد، الزمان و المكان،و ما إلى ذلك.كذلك تحدثت في هذا الفصل عن مفهوم التداولية و أصولها الفلسفية و الفكرية،وأيضا أدواتها اللسانية، وأهم المصطلحات و الأدوات الإجرائية التي أنتجتها.

✖ **الفصل الأول : إشكالية المقاربة التداولية للخطاب الأدبي**

في هذا الفصل نتعرف على الطريقة التي تم بها تعديل مفاهيم المنهج التداولي،وتطويعها لتلائم الخطابات الأدبية، باعتبارها :

-**خطابات تواصلية**:يتبدى فيها المتكلمون في جو من التفاعل و التبادل الكلامي في سياق و مقام معينين،على أن الإشكالية تكمن في تحديد أطراف التواصل في الخطاب الأدبي_السردي ، و التي غالبا ما تكون عصيّة على التعيين.

-**خطابات سياقية** :تحيل على منتجها و متلقيها،بيد أن السؤال الأهم يكمن في كيفية تحديد عناصر السياق باعتبار الطبيعة التخييلية لخطاب **كليلة و دمنة** ،وهو ما يروم هذا الفصل الإجابة عنه.

-**خطابات حوارية** :نتساءل فيها و نحاول الإجابة عن تمظهرات الحوار في الخطابات الأدبية_السردية عامة،و **كليلة و دمنة** بالخصوص .

-**خطابات ذات مقاصد** :إذ المعلوم أن كل تخاطب هو فعل يتأسس تبعا لمقاصد تواصلية صريحة كانت أو ضمنية، بحيث يكون نجاح التواصل رهنا بعملية تبادل الاعتقادات و المقاصد بين المتخاطبين،إلا أن الوصول إلى هذا المستوى محفوف بإشكاليات تتعلق باستثمار أسلوب الحكي لإيصال المقاصد للمخاطب،وكذلك بكيفية تفكيك الخطابات السردية بما هي خطابات أدبية للوصول إلى القصد الباطن،برغم صعوبة التأكد من المقاصد في مثل هذه الخطابات لطبيعتها التخييلية ،و لمخالفتها لمقتضى الألفاظ ،وهذا ما يروم البحث الإجابة عنه .

-**خطابات لغوية**:على اعتبار أن التداولية تجاوزت دراسة الجملة بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل إلى ما فوقها؛ أي إلى دراسة الملفوظ و التلفظ،وذلك بربط السياق اللغوي بمحيطه و ظروفه التبليغية .

✖ **الفصل الثاني : الفعل الكلامي في كـــــــتاب كليلة و دمنة**

تطرقنا في هذا الفصل إلى مفهوم الفعل الكلامي (Acte du parole) عند كل من أوستين و سيرل ، اللذين حاولا الإجابة عن تساؤل جد هام مفاده :كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا ؟ فحاول البحث انطلاقا من هذه الزاوية تقصي أنواع الفعل كما رأى الباحثان أعلاه ، وخاصة أننا نعد الحكاية فعلا كلاميا سرديا يتفرع إلى :

الفعل القولي : ويتكون من التركيب و الإيقاع و الدلالة .

الفعل الانجازي : و هو فعل لا يتحقق إلا في ضوء الفعل التأثيري .

الفعل التأثيري :و قيمته في التحليل التداولي تضاهي أوقد تفوق قيمة الفعل الانجازي ؛لأنه مدار التلفظ و سببه بشكل أو بآخر.

كما تطرقنا في هذا الفصل إلى الفعل الكلامي عند البلاغيين العرب،متمثلا في مبحثي الخبر و الإنشاء، وقدَّمنا نماذج من كتاب **كليلة و دمنة**،مما يوحي بإمكانية اعتبار الخطاب السردي في **كليلة ودمنة** فعلا كلاميا أو بالأحرى حدثا كلاميا،بناء على تواشج الأفعال الكلامية فيه على تنوعها،لبناء و تأسيس و تعضيد الفعل الكلامي الجامع (Macro acte de langue) أو الفعل الكلامي الرئيس (البؤرة) في **كليلة ودمنة** ، الذي هو : **إسداء النصيحة .**

كذلك تعرفنا على الفعل الكلامي المباشر و الفعل الكلامي غير المباشر،فالأول منهما ما دلَّ عليه ملفوظ معين دلالة مباشرة و حرفية،فيما تعد الأحداث غير المباشرة بتعبير سيرل « حالات ينفذ من خلالها حدث حقيقي بشكل غير مباشر بواسطة حدث آخر »(1)،لنكتشف أننا نتواصل بالأفعال الانجازية غير المباشرة أكثر مما نتواصل بالأفعال الانجازية المباشرة،و مثله في **كليلة ودمنة**،فالحكاية حدث سردي أو سلسلة من الأفعال السردية غير المباشرة ،والتي تبنى على الاستخدام المجازي للغة من خلال تقنية **التشخيص** personnalisation ،التي يعتمد عليها خطاب **كليلة و دمنة** بدرجة كبرى .

كما توضَّح لدينا أن الوصف في **كليلة ودمنة** هو الآخر فعل كلامي يتكون بدوره من:فعل قولي (صوت وتركيب و دلالة و إيقاع) ، وفعل انجازي : يتعلق بتحقيق الرغبة في جلب الاستماع ،و فعل تأثيري : يتجلى في التحقق الفعلي للتجاوب مع الخطاب .

وفي الأخير تأكدنا من أنَّ الأفعال الكلامية هي أفعال حجاجية قصدية ، تتكون من فعل متضمن في القول ،وفعلا منجزا بالقول ، و فعلا تأثيريا .

×الفصل الثالث : الحجاج في كـــــتـــــــــــاب كليلة و دمنة:

رأينا أنَّ الحجاج محاولة واعية من المتكلم التأثير في المتلقي،سواء على مستوى سلوكه،أو على مستوى معتقداته وقناعاته،و إذ ذاك فإنَّه ينبني وفق إستراتيجية معينة سواء منطقية أو لغوية أو بلاغية أو جميعها معا.

وانطلاقا من غاية الحجاج الأساسية التي هي إقناع متلقيه و التأثير فيه حاولنا في هذا الفصل تقصي مكوناته،والبحث عن الطريقة التي تجسَّدت فيها البنى الحجاجية،فحاولنا الإجابة عن بعض الأسئلة المتعلقة بهذا الشأن بداية بــــــــــ: ما الحجاج ؟ وما دوافعه ؟ ومن هم أطرافه ؟ ومن الموجّه الحقيقي له أثناء التواصل ؟ وأين يكمن لبّ الحجاج،أهو في الحجة أم هو في النتيجة ؟ أم هو فيهما سواء ؟ وهل يمكن اعتبار أيّ خطاب هدفه الإقناع خطابا حجاجيا ؟ وماذا يتطلب الحجاج لكي يقنع المتلقي ؟ وما هي الوسائل المنهجية لذلك ؟ .

---

(1) قويدر شنان ، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني المنشأ الفلسفي و المال اللساني ، مجلة اللغة و الأدب ع17 ،جانفي 2006 ، الجزائر ،ص 28.

و كإجابة عن كل هذه التساؤلات فقد تعرضنا لمفهوم الحجاج و تحديد مكوناته و أشكاله التي تختلف من مدونة لأخرى بحسب طبيعة المادة المعالجة ،وذلك من حيث شكل البناء ، ومن حيث طبيعة الحوار المعتمد فيه أثناء التخاطب ، مع التركيز على أهم مكوناته المتمثلة في الدعامة لما لها من دور في عملية الإقناع .

هذا الأخير-الإقناع-هو محاولة واعية من المتكلم المحاجج التأثير في المتلقي،باعتماده إستراتيجية محددة أثناء الحجاج ، تدفع بالمتلقي إلى فعل معين ،ولن يتأتى ذلك إلا بانتخاب وسائل وتقنيات تتعلق في مجملها بمقاصد الخطاب وبالمتكلم المحاجج ، وبدور المستمع المتلقي ،وباللغة المستعملة في عملية التخاطب ، التي ترتكز أساسا في بناء الحجاج على الجوانب المنطقية و النفسية و اللسانية والبلاغية كذلك.

ثم ختمنا هذا البحث برصد أهم النتائج المتوصل إليها ،هذا وقد اعتمد البحث في بناء مساره على المنهج التداولي، بوصفه مستوى إجرائي يبحث في علاقة العلامات بمؤوليها ، و يعنى بدراسة مقاصد المرسل ، و كيفية تبليغه لها في مستوى يتجاوز مستوى دلالة المقول الحرفية ،كما يهتم بكيفية توظيف المرسل للمستويات اللغوية المخالفة ، مما يجعل خطابه موائما للسياق الوارد فيه ، وللغاية التي من أجلها أنشئ .

وقد استعنّـــــا بمجموعة من المصادر و المراجع :التراثي منها :كالبيان و التبيين للجاحظ،ومفتاح العلوم للسكاكي ، و أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ،وأما المعاصر: كالمقاربة التداولية لفرانسواز أرمينيكو، و التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي ، واستراتيجيات الخطاب_مقاربة لغوية تداولية_لعبد الهادي بن ظافر الشهري،وتحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية لعمر بلخير ، ولسانيات التلفظ و تداولية الخطاب لذهبية حمو الحاج ، كما لا ننسى جهود الرائد في التداولية الباحث طه عبد الرحمن في مؤلفاته : اللسان و الميزان ، و التواصل و الحجاج وغيرها ، كما استعنت ببعض المراجع المتخصصة في السرد و تحليل الخطاب مثل : الخبر في السرد العربي لسعيد جبار ، بنية النص السردي لحميد لحميداني ، الحكاية و التأويل لعبد الفتاح كيليطو، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب لدومينيك مانغونو ، و معجم تحليل الخطاب لمانغونو بمعية باتريك شارودو و غيره .كما استفدت و بشكل كبير من كتاب : جذور المكيافيلية في كليلة ودمنة لمصطفى سبيتي ، فقد أعانني في التحليل لتصنيفه الوحدات الدلالية بشكل دقيق ، فلمؤلفه منا الشكر و التقدير ، كما اطلعت على دراسة سابقة اتخذت من كليلة و دمنة مجالا تطبيقيا لها و الموسومة بـــــــــ:"السياق التداولي في كليلة و دمنة لابن المقفع "، وهي مذكرة ماجستير مقدمة من طرف الطالبة حبّي حكيمة و إشراف الدكتورة آمنة بلعلى من جامعة مولود معمري بتيزي وزو .

أمَّا عن الصعوبات أو العوائق فقد واجهت ندرة في المراجع التي تتناول الخطابات السردية بتطبيق المنهج التداولي عليها، إضافة إلى ندرة المراجع التي اهتمت بتحليل كتاب كليلة و دمنة باستحكام آليات الدراسات الحديثة، الأمر الذي جعلني اعتمد على المصدر بشكل كبير جدا .

وكما أشرنا من قبل فإنَّ لا عمل يخلو من متاعب و مصاعب ، إلاَّ أن عزاءنا الوحيد هو هذا الجهد ، و هو جهد المقلّ ،وحسبُه أنَّه حظي بشرف دراسة هذا الموضوع ، على أمل أن يتوفر له مستقبلا جهد أوفر لتوسيع ما أسفرت عنه هاته المحاولة .

لا يسعني و قد منّ الله علي بتمام هذا البحث إلا أن أقدم الشكر والعرفان لسريرة الأستاذ الدكتور **الجودي مرداسي** الذي شرفني بقبول الإشراف أولا، وتحمل عناء المتابعة والتوجيه ثانيا،وكل ذلك بنفس صبورة لا أثر فيها للملل والضجر،فكان نعم المشرف والمرشد طيلة عمر البحث .

وفي الختام أسأل الله –مخلصة- أن أكون بعملي قد وضعت لبنة في هذا المجال العلمي، فإن أكُ قاربت السداد فبتوفيق من الله وعونه، وإن تكن الأخرى فالخير أردت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت، وإليه أنيب.

مدخل

بيبليوغرافيا العنوان

توطئة

- ✖مفهوم الخطاب:
  1-في الثقافة العربية
  2- في الثقافة الغربية .
- ✖الحد بين النص و الخطاب .
- ✖الخطاب الأدبي - السردي.
- ✖قوانين الخطاب
- ✖التداولية: المفهوم و الإجراء.

توطئة

- ✖التداولية : مرجعيتها الفلسفية و اللسانية .
- ✖درجات التداولية .

لقد بات تشابك العلوم و تداخل مجالاتها البحثية سمة الدرس المعرفي الحديث،فالعلوم في اقترابها من حقيقة الظاهرة المدروسة تنفتح أمامها فضاءات أخرى للبحث،قد تكون متصلة أو متشابكة مع غيرها،فتزيد وقتئذ إشكالية البحث تشعبا أو غموضا .

كذلك أصبح مجال تحليل الخطاب اليوم نقطة التقاء وتقاطع العديد من المعارف والعلوم كعلوم اللغة ،و الاجتماع ، و السياسة،والفلسفة،والتاريخ،والأدب،والإحصاء،والرياضيات،فضلا عن علوم الإعلام، ووسائل الاتصال،والدراسات الثقافية و الأدبية،و غيرها،فلم تعد لهذا المجال حدودا تفصله عن هذه الدوائر المعرفية المتباينة،الأمر الذي«جعله متعدد المستويات،عميق البنى...فهناك الخطاب الشعري،والخطاب السردي،و الخطاب النقدي،وحتى خارج مجال الأدب هناك الخطاب الديني،والخطاب السياسي،والخطاب التاريخي،هذا ما يسمح بأن تقوم نظرية عامة تهتم بدراسة الصلات الموجودة بين أنواع الخطاب داخل الجنس الواحد،وحتى في ما بينها و بين خطابات أخرى»(1)

وعلى هذا الأساس اكتسبت كلمة **خطاب** عدة دلالات لها علاقة بما يدور في المشهد الثقافي المعاصر، كما أن هذه الكلمة (خطاب)«أصبحت متداولة بكثرة في الأوساط الثقافية العربية،وتؤدي معان لم تكن معروفة في اللغة العربية،رغم أنها كلمة قديمة»(2)،لكن الاهتمام المتزايد بها جعلها مصطلحا مُهما،يندرج ضمن فئة المصطلحات المعربة أو الدخيلة،والتي « تشير حقولها الدلالية إلى معان وافدة ، ليست من قبيل الانبثاق الذاتي في الثقافة العربية »(3). وقد أثار تحديد مفهوم الخطاب اهتمام المشتغلين في حقل النقد و تحليل الخطاب،في الثقافتين العربية و الغربية، ولعلَّ خير دليل على ذلك كثرة المؤلفات في هذا المجال .

×مفهوم الخطاب :

1-في الثقافة العربية :

يعد مصطلح **الخطاب** Discours من المصطلحات التي ارتبط ظهورها في الثقافة العربية بحقل علم الأصول، هذا الحقل_ نتيجة التطور الحضاري_أصبح بمثابة الدائرة التي تمحورت حولها القراءات الخاصة بالثقافة

---

(1) عبد السلام المسدي، النقد و الحداثة، دار الطليعة، بيروت، ط1، 1983،ص 33.

(2) جابر عصفور ، خطاب الخطاب ، آفاق العصر ، ص 47 ، نقلا عن : عليمة قادري ، التداولية و صيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلي ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء و النص الأدبي " ،17و 18 نوفمبر 2008 ،جامعة محمد خيضر ، بسكرة، ، ص599.

(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

العربية،فكانت المصطلحات التي ترتكز عليها في دراستها متأثرة به [1]،وما الخطاب إلا أحد أبرز النماذج الدالة على الأثر الذي تركته الأصول في توجيه المصطلح [2]،وقد ورد مصطلح الخطاب في المعجم العربي ، وفي القرآن الكريم بمعنى" الكلام ".

فالخطاب لغة:من خطب فلان إلى فلان فخطبه أو أخطبه ؛ أي أجابه ، و الخطاب و المخاطبة : مراجعة الكلام و قد خاطبه بالكلام مخاطبة ، و هما يتخاطبان و الخطب : سبب الأمر ...[3] ،وجاء فيه أيضا : الخطاب مادة لغوية على وزن فعال مشتقة بالتحويل عن الفعل الثلاثي خطب و منه خطب و جمعه خطوب : الأمر أو الشأن[4]، و جاء في كتاب الله قوله تعالى :﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾[سورة ص آية 20] ، يقول الزمخشري :«إن فصل الخطاب في الآية إنما هو البين من الكلام الملخص،الذي يتبينه من يخاطب به،و لا يلتبس عليه »[5]؛ أي أنه كلام واضح لا يعتريه أي غموض أو لبس، و لا يقبل التأويل ،كما وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [سورة ص آية 23] ، و قال أيضا :﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾[سورة النبأ آية 37] وجاء بمعنى الأمر و الشأن، وسمي كذلك لأنه الشأن الذي يكون فيه التخاطب و تبادل أطراف الحديث ، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [سورة الحجر آية 57] ،إذ جريا على الأصل يفترض الكلام أكثر من طرف .

فإذا ما ولينا وجهة البحث عن مفهوم" **الخطاب**"في التراث النقدي العربي القديم لا نكاد نظفر بتعريف محدد مباشر،ذلك أن النقاد لم يتداولوا بينهم هذا المصطلح،وإنما تحدثوا عن القصيدة،معتمدين في ذلك على معيار كمي معين، إلا أننا نلمح في مؤلفات الزمخشري و الزركشي ربطا للخطاب باللغة الفنية،لغة التعبير الأولي و المواجهة بالكلام ، فحصر مفهومه في« الكلام أو المقال،وعد كيانا أفرزته علاقات معينة ، بموجبها التأمت أجزاؤه،و قد تولد عن ذلك تيار يعرف الملفوظ الأدبي بكونه جهازا خاصا من القيم،طالما أنه محيط ألسني مستقل بذاته،وهو ما أفضى إلى القول بأن الأثر الأدبي بنية ألسنية تتجاوز مع السياق المضموني تجاوزا خاصا »[6].

وأما في النقد العربي الحديث فنقف على إسهامات أهم النقاد في مجال تحليل الخطاب،فيصفه **عبد المالك مرتاض** بأنه«نسج من الألفاظ،و النسج مظهر من النظام الكلامي،الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن

---

(1) عبد الغني بارة ، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر _ مقاربة حوارية في الأصول المعرفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، 2005 ، ص 329 .

(2) عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، تداخل الأنساق و المفاهيم و رهانات العولمة ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1، 1999، ص98، 99.

(3) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : خطب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1955 ،361/1 .

(4) المرجع نفسه ، ص360 .

(5) جار الله الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1987 ، مج 4 ص 80 ، نقلا عن : عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 99 .

(6) عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2 ، 1982، ص 110 .

سواه»[1]، أما **يمنى العيد** فتجعل الخطاب نوعان«الأول يندرج تحت نظام اللغة و قوانينها،وهو النص الأدبي،و يخرج الثاني من اللغة ليندرج تحت سياق العلاقات الاجتماعية،و يضطلع بمهمة توصيل الرسالة الجديدة ،وهو الخطاب» [2]،في حين يورد **محمد مفتاح** تعريفا للنص أقرب إلى مفهوم الخطاب،فهو يجمع بين عدة تصورات للنص نظرا للوظائف التي يؤديها ، فالنص «مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة :

Ã**مدونة كلامية** : يعني أنه مؤلف من الكلام ،و ليس صورا فوتوغرافية ، أو رسما أو عمارة أو زيا **...** و إن كان الدارس يستعين برسم الكتابة و فضائها و هندستها في التحليل .

Ã**حدث**: يقع في زمان و مكان معينين، لا يعيد نفسه إعادة مطلقة، مثله في ذلك مثل الحدث التاريخي.

Ã**تواصلي** : يهدف إلى توصيل معلومات و معارف و نقل تجارب إلى المتلقي .

Ã**تفاعلي**: بإقامة علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع و المحافظة عليها.

Ã**مغلق** : بانغلاق سمته الأيقونية التي لها بداية و نهاية ، و لكنه من الناحية المعنوية :

Ã**توالدي**: فالحدث اللغوي ليس منبثقا من عدم، و إنما هو متولد من أحداث تاريخية و نفسية و لغوية**...** و تتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له » [3].

2_ في الثقافة الغربية :

أصبح الخطاب في العصر الحديث مجال اهتمام الفلاسفة و المفكرين الغربيين،من أبرزهم **ميشال فوكو**(M.Foucoult)[4]،الذي يرى أن الهدف المتوخى من دراسة الخطاب هو إثبات تميزه عن غيره، في محاولة البحث عن مدى إحكام نسيجه المترابط، فلا بد من درس الخطاب دون تعديته للعناصر الخارجية الداخلة في تشكيله،مما يجعله لا يحيل على أي مرجع أو مركز إحالي؛بل إن «النظام الداخلي لهذا الخطاب هو الذي يقوم بعملية التأطير،فيكون معجما بذاته مكتفيا بالصلات التي تربطه مع غيره من الأنظمة و الأنساق،فيكون الخطاب انطلاقا من هذا الأفق ممثلا لغويا للبنية الثقافية للحقبة التي أنتج فيها »[5].

وقد انطلق **فوكو** في تعريفه للخطاب من تحديد جملة شروط إذا توفرت سَهُل إبراز ما يكون منطوقا فيه،أي ذلك المجموع أو الكل الذي يوجد فيه المنطوق،فلا تظهر فُرادته إلا ضمن إطار هذا الكل،ليصل الخطاب إلى التشكل انطلاقا من انتظام المنطوق داخل ذلك الكل،الذي يعد بمثابة التشكيلة الخطابية[6].

---

(1) عبد المالك مرتاض ، بنية الخطاب الشعري ، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية للشاعر عبد العزيز المقالح ، دار الحداثة للطباعة و النشر ، بيروت ،ط1، 1986، ص 53 .

(2) رابح بوحوش ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، منشورات باجي مختار ، عنابة ، دت ، دط، ص 90.

(3) محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1985 ، ص 120.

(4) ميشال فوكو (1926 - 1984) فيلسوف فرنسي، يعد من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين،توصف أعماله من قبل النقاد بأنها تنتمي إلى "ما بعد الحداثة" أو "ما بعد البنيوية" ،على أنه في الستينيات من القرن الماضي كان اسمه غالباً ما يرتبط بالحركة البنيوية ، أهم مؤلفاته : تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي(1961) ، ولادة العيادة (1963) ، الكلمات والأشياء (1966) حفريات المعرفة (1969) ، نظام الخطاب (1971) ، المراقبة والمعاقبة (1975) ، تاريخ الجنسانية في 3 أجزاء (1984) . توفي عام 1984 .

(5) عبد الغني بارة ، إشكالية تأصيل الحداثة ، ص 331 ، 332.

(6) عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 104 .

كما استند في دراسته على أساس المقارنة بين منهجين"**تحليل الفكر و تحليل الخطاب**"،إذ يرى بأن"**تحليل الفكر**"يسعى إلى استخراج الدلالة الخفية المتوارية خلف المعنى المجازي،و بذا فهو يبحث عما وراء الخطاب،و هدفه كشف: ماذا كان يقال وراء ما قيل فعلا ؛ أي كشف المسكوت عنه من خلال المقول فعلا.أمَّا"**تحليل الخطاب**"فينظر إلى العبارة على أنها غاية في حد ذاتها ، مكتفية بذاتها ، مستغنية عن غيرها . لذا فالتحليل يتركز على العلاقات القائمة بين العبارات، و مدى الترابط الموجود بينها، وصولا إلى تحديد نظام الخطاب ككل. فيكون الهدف من تحليل الخطاب إبراز فرادته ، و مدى إحكام نسيجه ، الذي يعتمد على علاقات الترابط و النظام الداخلي كما سبق الذكر(1).

هكذا يبدو **فوكو** من مؤسسي البنيوية ، إذ تعنى حفريات المعرفة عنده بالخطاب بعيدا عن المؤثرات الخارجية ،التي ساهمت في تشكيله.كما لا تعد مبحثا تأويليا أو مجازيا ما دامت لا تسعى للكشف عن الدلالات المضمرة القابعة خلفه ،كما أنها لا تهتم بضروب الاتصال التي تربط الخطابات بما يسبقها أو يحيطها و يلحقها من خطابات أخرى؛ بل تسعى إلى إبراز القواعد التي تستند إليها الخطابات،قصد الوقوف عند الفوارق و الاختلافات الموجودة بين صيغ الخطاب و مظاهره،مما يجعلها بعيدة عن الدراسات النفسية و الاجتماعية،التي تبذل قصارى جهدها في استكناه ما خفي من الدلالة داخل نص الخطاب .

بهذا يكون فوكو قد وضع اللبنات الأولى التي أسس بها سوسير اللسانيات الحديثة ،إذ يفضي البحث ، انطلاقا من مؤلفاته،إلى إلغاء تمثيل الكلمات للأشياء ، فتصبح الكلمات لا تعني شيئا،و إنما أصبحت لسان حالها،وهي ليست أكثر من ناقل أمين لمختلف الأشياء ،ليكون الخطاب عنده « ممارسات تكون و بكيفية منسقة الموضوعات التي نتكلم عنها ، و بطبيعة الحال لا خطابات بدون إشارات »(2).

لقد توصل **فوكو** إلى أن الخطاب«هو ميدان التحليل،وهو ضرب من تضافر الإشارات،تكون اللغة فيه عنصرا تمثيليا بين عناصر اشارية أخرى»(3)،كما أن الأصل،بالنسبة إليه،هو الكلام المكتوب لا المنطوق يقول:« ما وضعه الله في العالم هو الكلمات المكتوبة،عندما فرض آدم على الحيوانات أسماءها الأولى، لم يفعل سوى أن قرأ العلامات المرئية الصامتة،وقد عهد الشريعة إلى ألواح مكتوبة، لا إلى ذاكرة البشر،والكلمة الحقة يجب العثور عليها في كتاب»(4)، فقد حلَّ الكتاب عنده محل الذاكرة ،وحلَّ الخطاب محل الإنسان ، وسبق المنطوق دوما المكتوب.

كذلك استقطب مصطلح الخطاب اهتمام الألسنيين الغرب،إلا أنه واجه إشكالات عدة، ومن أهم تلك الإشكالات المطروحة إشكالية ضبط حدوده ، فقد « أصبحت مشكلة الخطاب من خلال علم اللغة مشكلة

---

(1) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(2) ميشال فوكو ، حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، 1986 ، ص 47 .
(3) عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 107 .
(4) ميشال فوكو ، الكلمات و الأشياء ، تر : مطاع صفدي و آخرون ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1990 ، ص55 .

حقيقية» كما يقول **بول ريكور**[1]، فقد وقفت اللسانيات الوصفية ، كما هو معلوم ، عند حدود الجملة لا تتعداها،على اعتبار أنها الوحدة الأكبر القابلة للوصف،وقد كانت مصب اهتمام نحاتنا العرب ، كما كانت محور اهتمام المدارس الوصفية و التحويلية التوليدية فيما يعرف بنحو الجملة.

والجملة من منظور اللسانيات ليست مجرد سلسلة من الكلمات تتتابع أفقيا فحسب؛بل هي نظام،لذلك فإن الخطاب، من وجهة نظر لسانية، لا يتضمن شيئا إلا و يوجد في الجملة. يرى مارتيني «أنها المقطع الأكثر صغرا،وأنها هي التي تمثل الخطاب تمثيلا تاما »[2]،و مبررهم في ذلك أن ما وراء الجملة ليس سوى جمل أخرى،تنبني وفق القواعد نفسها التي تفرضها اللغة، فليس ثمة ما يستدعي الانشغال بما وراءها.

ولما كانت الجملة في اللسانيات هي الوحدة الأكبر التي يطالها الوصف، فذلك معناه أنها تتضمن وحدات صغرى تخضع للوصف بالضرورة،فالكلمة الواحدة تتضمن وحدات أصغر هي المورفيمات،وهو ما يسمح بتصنيف تلك الوحدات إلى درجات (الجملة / الكلمة / المورفيم)، ومنه يمكن القول: إن درجات الوحدة العليا مركبة من وحدات الدرجة السفلى ، وأن وحدات الدرجة العليا يمكن تحليلها إلى وحدات الدرجة السفلى[3].

إن اهتمام الباحثين الألسنيين بالجملة ، و دعوتهم لعدم تخطي حدودها مرده ،حسب رأيهم ، إلى ما يؤديه تجاوزها من اضطراب في المصطلحات و المفاهيم،بدءا من التسمية التي ستأخذها" الوحدة "خارج حدود الجملة،والتي هي عند بعض الدارسين الملفوظ،و عند آخرين الخطاب ، أو قد تعني النص[4].

لكن هذا الطرح اللساني الداعي إلى استقلالية الجملة لم يقنع الباحثين في مجال تحليل الخطاب،أمثال **ج ب براون** (G .Brown) ،و**ج يول** (G . Yule)، لذلك عمدا إلى تبني التقسيم الثاني ، الذي وضعه **جون ليونز** للجملة،و المتمثل في :

✖«**جملة نظام** :وهي عنده بعض شكل الجملة المجرد،الذي يولد جميع الجمل الممكنة و المقبولة في نحو لغة ما»[5]،و هذا ما يجعل الجملة أكثر استقلالية.

✖« **جملة نصية**:و يعني بذلك الجملة المنجزة فعلا في المقام »[6]،وهي تتسم بالتواصل مع جملة أخرى يحتويها نص ما...هذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل[7].

---

(1) بول ريكور ، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى) ، تر : سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2003 ، ص 24 .

(2) رولان بارت ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، تر: منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري ، حلب ، دط ، 1993 ، ص 30.

(3) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، دط ، 1989 ، ص 16

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) الأزهر زناد ، نسيج النص ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط1 ، 1993 ، ص 14 .

(6) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(7) أحمد عفيفي ، نحو النص ، إتجاه جديد في الدرس النحوي ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 ، 2001، ص 18 .

وقد ورد في كتابهما " **تحليل الخطاب**" قولهما:« سنستعمل مصطلح الجملة عامة، بمعنى "الجملة النصية" لا بمعنى" الجملة النظامية "»[(1)].كذلك ظهرت اتجاهات في الغرب تنادي بضرورة تجاوز حدود الجملة في الدراسة، و لعله « التحول الأساس الذي أخرج اللسانيات نهائيا من مأزق الدراسات البنيوية و التركيبية،التي عجزت في الربط بين مختلف أبعاد الظاهرة اللغوية : البنيوي ، الدلالي ، و التداولي»[(2)].

ويعد البحث الذي نشره **زليغ هاريس**(Z.Haris) عام 1952 بعنوان **"تحليل الخطاب"**المحاولة الأولى نحو توسيع البحث اللساني،بجعله يتعدى حدود الجملة إلى الخطاب بمعناه الأوسع،يقول:«إن اللغة لا تأتي على شكل كلمات أو جمل مفردة؛بل في نص متماسك»[(3)].وقد حاول بذلك الوصول إلى وصف بنيوي للنصوص،مع تجاوز لما أرسته الدراسات اللغوية الوصفية و السلوكية إلى الاعتماد على ركيزتين أساسيتين في تحليل الخطاب،هما :

1-العلاقات التوزيعية بين الجمل .

2-الربط بين اللغة و الموقف الاجتماعي[(4)].

يسعى هاريس إلى تحليل الخطاب انطلاقا من التصورات و الأدوات التي تحلل بها الجملة،فيصف الخطاب«بأنه ملفوظ طويل أو متتالية من الجمل،يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر،بواسطة المنهجية التوزيعية،وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض »[(5)].

هكذا عدَّ هاريس الخطاب توليفا من الجمل،كما يتموضع الخطاب عنده وفقا للسلمية البنيوية للعناصر اللغوية مباشرة بعد الجملة ،بدء بالفونيم،ثم المقطع،ثم المونيم،ثم المورفيم،فالجملة،ثم النص المؤتلف .

ويلتقي معه في فكرة التسلسل و التتابع **جون كارون** (J. Caron)،إذ يعرف الخطاب بأنه : «متتالية منسجمة من الملفوظات»[(6)].

كما نظر **هاريس** إلى الخطاب انطلاقا من نمط العلاقة التي يقيمها مع النحو،إذ يسعى إلى« وصف الوحدات اللسانية و تحديدها في لسان ما في شكل أقسام أو فئات نحوية،بعد استخراجها من المدونة »[(7)]،وبالتالي عدَّ الخطاب نموذجا من النحو،وعلاقته به كعلاقة الجزء بالكل.كما تجاوز التوزيعيون النظرة التقطيعية للخطاب،إلى نمط من العلاقات الاستبدالية و العلاقات التركيبية،وذلك بإدراج مفهوم"التحويل"بين الخطاطات التركيبية للجملة في إطار تحليل الخطاب .

---

(1) براون و يول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي و منير التركي ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، دط ، 1997 ، ص 24 .
(2) خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، حيدرة ، الجزائر ، دط، 2000، ص167 .
(3) فولفجانج هانيه منه و ديتر فيهيفجر ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر : صالح فاتح الشايب ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، دط، 1997 ، ص21 .
(4) جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر، دط، 1998 ،ص65 .
(5) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص24 .
(6) الطيب دبة ، مبادئ في اللسانيات البنيوية ، دراسة تحليلية ابستمولوجية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، دط ، 2001،ص 152.
(7) ربيعة العربي، الحد بين النص و الخطاب ، مجلة علامات ،العدد 33 ، المغرب ، 2010 ، ص 36 .

واللافت للنظر أن **هاريس** عد الخطاب متوالية جمل أو قضايا ذات بعد ثقافي،بوصفه يحيل على معطيات غير لغوية، فقد ألحَّ على العلاقات الضمنية القائمة بين الخطاب و السلوك الثقافي،لكنه يبقى تحليلا صوريا محايثا، تدرس بموجبه قواعد اللغة دون ربطها بالمعنى أو السياق. و مجمل القول، ههنا،أن التحليل البنيوي يسمح بتجاوز مستوى البنية ، لكن بدون بلوغ مستوى الخطاب،الذي هو تحديدا مجال يلتقي فيه البعد الاجتماعي بالبعد الذاتي(1).

لقد تطور مجال تحليل الخطاب تطورا ملحوظا في فرنسا،بتأثير من **هاريس** نفسه،إذ ظهر اتجاه عرف بـــــــــ**"لسانيات النص"**،أو(لسانيات ما وراء الجملة)(2)،وهو الاتجاه الذي يتخذ النص كله وحدة للتحليل، ولعل أبرز رواده :

- **ايزنبرغ** (Eisenberg) اهتم بالبحث عن الأدوات التي تنظم علاقات الجمل بعضها ببعض، كالضمائر،و أدوات التعريف،والاقتران بعلائق سببية أو فائية،أو أي علاقات أخرى (3).

- **هارفيج** (Harvey):الذي قدم نموذج استبدال تتحرك فيه العناصر على المستوى الأفقي،وغلب عليه إدراك النص وظيفيا،ثم أدخل فيما بعد جوانب نصية كبرى للوصول إلى العلاقات الدلالية - التداولية(4).

- **فان دايك**(Dyke):قدم عدة نماذج و دراسات حول النص، وصفا و تفسيرا ،وقد اعتمد فيها على عناصر غير لغوية،أدخل فيها مكونات نفسية و منطقية –دلالية،واتصالية تداولية،إلى جانب المكونات التحويلية و الدلالية – التداولية (5).

كذلك تبلور مفهوم الخطاب مع **رولان بارت** ليأخذ معنى الجملة الكبيرة،والتي ليس بالضرورة عنده أن تكون وحداتها محض جمل، وإنما المقصود بالجملة الكبيرة نظام الوحدات التي تشكل الخطا، مثلما لأية جملة وحداتها الصغرى التي تشكلها (6)،فللخطاب وحداته و قوانينه و نظامه القاعدى...ومن ثم وجب أن يكون للخطاب موضوع لسانيات أخرى، مكانها ما بعد الجملة،حتى و لو كان الخطاب ذاته مؤلفا من جمل فقط(7).

هذا التصور قاد **بارت** إلى اعتبار القصة جملة كبيرة،شأنها في ذلك شأن أي جملة،فالقصة تشارك بنيويا في الجملة(8)،غير أنها لا تستطيع مطلقا أن تختزل نفسها إلى مجموعة من الجمل،كما أن قراءتها لا تعني الانتقال من كلمة إلى أخرى؛بل الانتقال من مستوى إلى آخر(9).

---

(1) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
(2) روبرت دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ،تر : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1998 ، ص 65 .
(3) إبراهيم خليل ، في اللسانيات و نحو النص ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص 187 .
(4) سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، المفاهيم و الاتجاهات ، الشركة المصرية لونجمان ، الجيزة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 1997 ، ص 94 .
(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) رولان بارت ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، ص32 .
(7) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(8) المرجع نفسه ، ص 33 .
(9) المرجع نفسه ، ص 37 .

نجد بارت يتفق مع هاريس في أن حدود الخطاب ينبغي أن لا تبق رهينة الجملة،إذ « أن اللسانيات إذ تتوقف عند حدود الجملة،فإننا نجد أن تحليل القصة يتوقف عند حدود الخطاب،ولذا يجب أن نتجاوز بعد ذلك إلى علم آخر للإشارة »[1].

إنَّ جُل التيارات تتفق على أهمية الخطاب في أداء أغراض اجتماعية و مؤسساتية تتعدى الجملة،فأصبح الخطاب من القضايا الأساسية التي تهم اللسانيات في عصرنا .

×الحد بين النص و الخطاب

إنه على الرغم من تخطي الجملة في الدراسات اللغوية و النقدية في مجال تحليل الخطاب،إلا أن هذا لم يكف لدفع الغموض الذي اكتنف مفهوم الخطاب،خاصة بعد طرح إشكال التداخل الحاصل بينه و بين بعض المفاهيم،التي تقاربه في الوظيفة،مثل :الكتابة و العمل الأدبي و القراءة و النص،هذا الأخير يعد أكثرها تداخلا مع الخطاب.

يرى **قريماس**(Greimas)و**كورتيس**(Cortés)أن النص يرتبط بالكتابي التشكيلي،والخطاب بالشفوي الصوتي،حيث يقولان:إن النص بوصفه ملفوظا فهو يتعارض مع الخطاب،وذلك تبعا لمضمون التعبير(غرافيكي أو صوتي) المستعمل بغرض إظهار الإجراء اللساني،وحسب بعض علماء اللسانيات مثل **رومان ياكبسون** فإن التعبير الشفوي ،وبالتالي الخطاب هو الحدث الأول للكتابة،التي تصبح مجرد مشتق و ترجمة للتجلي الشفوي[2].

هذا ويورد **قريماس** ملاحظة هامة حول التداخل المفهومي بين المصطلحين،يقول:« إن كلمة نص غالبا ما تأتي مرادفة لكلمة خطاب،خاصة أثناء التفسير المفهومي في اللغات الطبيعية،التي لا تمتلك مقابلا لكلمة الخطاب (الفرنسية و الانجليزية مثلا)،وفي هذه الحال فإن السيميائيات النصية لا تختلف في الأصل عن سيميائيات الخطاب »[3].

ويرى **محمد عابد الجابري** أن للنص و الخطاب مفهوما واحدا،يقول:« النص رسالة من الكاتب إلى القارئ،فهو خطاب...الخطاب باعتباره مقول الكاتب...فهو بناء من الأفكار يحمل وجهة نظر...فالخطاب من هذه الزاوية يعبر عن فكرة صاحبه،فهو يعكس أيضا مدى قدرته على البناء »[4].

في حين يميز **فان دايك** تمييزا دقيقا بين النص و الخطاب؛إذ يرى«أن الخطاب هو عملية الإنتاج الشفوية ونتيجتها الملموسة،أما النص فهو مجموع البنيات الآلية التي تحكم هذا الخطاب،وبتعبير آخر فإن الخطاب

---

(1) المرجع نفسه ، ص 76 .

(1) Dictionnaire raisonné des sciences du langage. :Greimas(A J) et Courtes (J) : Sémiotique Hachette ;p 389

نقلا عن : قادري عليمة ، التداولية و صيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلي ، ص600

(2).الصفحة نفسها ، المرجع السابق : نقلا عن ibid ,p 390

(4) محمد عابد الجابري ، الخطاب العربي المعاصر ،دراسة تحليلية نقدية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط5 ،1994 ، ص8 .

ملفوظ(أو تلفظ) ذو طبيعة شفوية لها خصائص نصية،بينما النص هو الشيء المجرد و الافتراضي الناتج عن لغتنا العلمية »[1].

ويعد المعيار الأكثر أهمية عند **دايك** هو خاصية التماسك أو الانسجام،هذا المفهوم « أخده من أصحاب الاتجاه المعروف بالنحو الوظيفي عند **هاليداي و رقية حسن...**هذه الخاصية التي يطلق عليها العلماء البريطانيون اسم: النصية»[2]،والتي يوجدها مبدأ التماسك،القائم على التتابع المنظم و التضافر المقنن لوحدات النص الصغرى،إذ ينظر إليه على أنه« بنية شمولية لبنى داخلية،من الحرف إلى الكلمة إلى الجملة إلى السياق إلى النص،ثم إلى النصوص الأخرى»[3].

وعلى العموم يرى **فان دايك** أنّه في معظم الحالات لا بد من توفر معايير نصية أو سياقية،تجعلنا متيقنين أننا بإزاء نص،منها وجود بداية للنص و نهاية،سواء تعلق الأمر بنص مكتوب أو شفوي،و بتوفر مبدأ التماسك و الوحدة يقترب مفهومه عند الكثير من الدارسين لمفهوم الخطاب، إذ يرى **بول ريكور** « أن النص يعني الخطاب مسطورا و منمقا على السواء »[4]. هذه الصفة—التنميق—الملازمة لهيئة الخطاب و شكله لن تكون سوى وظيفة التأثير في المتلقي،باعتبار النص أو الخطاب رسالة موجهة بالضرورة إلى متلق(مستمع أو قارئ)،بغض النظر عن طبيعة مادة تلك الرسالة ،وهو ما يراه **بنفنست**(E. Benveniste)،إذ يعرف الخطاب بأنه «الملفوظ منظورا إليه من وجهات آليات و عمليات اشتغاله في التواصل»[5]،ويعني بذلك الفعل الحيوي لإنتاج ملفوظ ما بواسطة متكلم...هذا الفعل هو عملية التلفظ،ويضيف:«إنه كل تلفظ يفترض متكلما و مستمعا،حيث يسعى الأول إلى التأثير في الثاني بكيفية ما»[6].

نستنتج مما سبق أن الخطاب ألصق بالظاهرة الكلامية،التي ترتبط بالفرد، والذي يسعى إلى إفهام مخاطبه و التأثير فيه ،قصد إقناعه و الوصول به إلى مرتبة اليقين.و لكي« تكون الرسالة فاعلة فإنها تقتضي سياقا تحيل عليه،وبعد ذلك سننا مشتركا، كليا أو جزئيا، بين المرسل و المرسل إليه، يسمح بإقامة التواصل والحفاظ عليه »[7].

إنَّ أول من وضع مخططا لعملية التواصل هو **رومان جاكبسون** (R.Jakobson)،ويتألف هذا المخطط من ستة عوامل هي: المرسل، والرسالة ،و المرسل إليه، والسنن، و المرجع،والقناة ،حيث يولد كل عامل من

---

(1) قادري عليمة ، التداولية و صيغ الخطاب ، من اللغة إلى الفعل التواصلي ، ص 600 .
(2) أنور المرتجى ، سيميائية النص الأدبي ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، دط ، 1987 ،ص 87 .
(3) عبد الله الغذامي ، الخطيئة و التكفير ، من البنيوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنموذج معاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط4 ، 1998 ، ص 90 .
(4) بول ريكور ، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى) ، ص 66 .
(5) إبراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي ، دراسة تطبيقية ، دار الآفاق ، الجزائر ، ط1 ، 1999 ، ص 10.
(6) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(7) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

هذه العوامل وظيفة لسانية مختلفة،كما لا تتحقق الرسالة اللغوية إلا من خلال تحليل الوظائف الست التي تتحكم في عملية التخاطب « فاللغة يجب أن تدرس في كل تنوع وظائفها »(1).

كل هذا يوسع من مفهوم الخطاب و يجعله موضوعا «لا تعنى به اللسانيات المحضة،و إنما نظرية الاتصال،و السيميولوجيا،ونظرية التلقي أيضا ،مما يدل على تعدد المستويات التي ينطوي عليها الخطاب،تبعا لتوجيه النظر إلى مستوى ما فيه»(2).

×الخطاب الأدبي _ السردي

لم يبق الخطاب حبيس الرؤية التي وضعها اللسانيون ،والمتمثلة في كونه مجموعة جمل أو ملفوظات،بل تجاوزها ليصبح« خطابا إشاريا »(3)،إذ نشأ من هدم اللغة العادية، ليبني على أنقاضها لغة أدبية، ذلك أن استعمال الكلمات في طبيعتها القبلية القاموسية قد يكون بعيدا كل البعد عن اللغة الأدبية .

فالخطاب وفقا لهذا« صياغة مقصورة لذاتها ،وصورة ذلك أن لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب العادي بمعطى جوهري،فبينما ينشأ الكلام العادي من مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران و الملكة، نرى الخطاب صوغ للغة عن وعي و إدراك،إذ ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور الدلالات، إنما هي غاية تستوقفنا لذاتها،و بينما يكون الخطاب العادي شفافا نرى من خلاله معناه و لا نكاد نراه في ذاته، نجد الخطاب الأدبي على عكسه ثخنا غير شفاف،يستوقفنا هو نفسه قبل أن يمكننا اختراقه.فالخطاب العادي منفذ بلوري لا يقوم حاجزا أشعة البصر، بينما الخطاب الأدبي حاجز بلوري، طلي صورا أو نقوشا و ألوانا تصد أشعة البصر عن اختراقاته » (4)، ليكون الخطاب الأدبي، انطلاقا من هذا التصور، خطابا هادفا متصاعدا نحو غاية معينة، بعيدا عن رتابة اللغة عكس الخطاب اليومي، الذي هو خطاب وسيلة لا غير.

إن هذه المقارنة الواضحة بين الخطابين العادي و الأدبي تسهم في إضاءة مفهوم الأدبية، التي تعني «الخصائص النوعية للأدب،هذه الخصائص لا يمكن البحث عنها إلا من خلال الخطاب »(5)، فمن المؤكد أن هذا الاسم و ما جرى مجراه « استعمل للدلالة على كلام يبعث اللذة ، أو يثير الاهتمام لدى سامعه أو قارئه ...و بناء على ذلك فهو قول أكثر صناعة من الكلام العادي »(6).

يعتمد كذلك **جيرار جونيت**(J .Jeunette) في تعريفه للخطاب الحكائي على أراء **بنفنست** كباحث لساني ، لتطبيقها على مفهوم البويطيقا،و على العموم فقد استفادت الدراسات الأدبية من البحوث اللسانية و

---

(1) الطاهر بومزبر ، التواصل اللساني و الشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، الدار العربية للعلوم –ناشرون ، بيروت ، منشورات ، الجزائر ، ط1 ، 2007 ، ص 13 .

(2) عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 109.

(3) عبد الغني بارة ، إشكالية تأصيل الحداثة ، ص 335 ، وأنظر أيضا : عبد الله إبراهيم ، الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة ، ص 109.

(4) عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص 112.

(5) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص14.

(6) تزفيتان تودوروف ، الشعرية ، تر: شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، سلسلة المعرفة الأدبية ، تونس ، ط 1 ،1987،ص10 .

النتائج التي توصلت إليها،والمناهج التي اتبعتها،ويتجلى هذا خاصة في سيطرة المصطلحات اللسانية على الدراسات الأدبية، مما فرض «منذ الشكلانيين الروس تلازما وثيقا بين اللسانيات و الأدب»[1]،الذين بحثوا في الأدب،ونادوا بعلم جديد هو أدبية الأدب،يقول ياكبسون:« إن موضوع العلم الأدبي ليس هو الأدب،و إنما الأدبية،أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا »[2]،حددت هذه البويطيقا الجديدة عند الشكلانيين مفهوم الأدبية،أما البويطيقا المتجددة فضبطت هذا المفهوم الذي أصبح الخطاب الأدبي،وليس الأدب بوجه عام[3] .

كذلك يحدد **جاكبسون** وظائف عدة للخطاب الأدبي،كالوظيفة الانفعالية أو التعبيرية ، والتي تركز على المرسل،و« تترع إلى التعبير عن عواطفه و مواقفه إزاء الموضوع المعبر عنه »[4]،كما تكشف عن رغبته في التأثير في المتلقي ،أما الوظيفة الابلاغية التأثيرية فتهدف إلى إفهام المتلقي مضمون الرسالة،أما الوظيفة المرجعية فتحيل إلى من سيفكك عناصر الرسالة،وتوضح الوظيفة المعجمية الشفرة بين المرسل و المرسل إليه،أما الوظيفة الانتباهية فتعمل على«تأكيد و استمرار التواصل بين الباث و المستقبل»[5]،أما الوظيفة الشعرية (الإنشائية) فتمثل جوهر الرسالة، كما تعد العنصر المهيمن على البنية ،فلغة الخطاب الأدبي « قائمة على الانزياح و انحراف اللغة من مقامها العادي إلى مقام إيحائي،مما يحتم على أي مقاربة أن تأخذ احتياطاتها المنهجية أثناء تعاملها مع اللغة الشعرية،لكون الوظيفة الشعرية_حسب جاكبسون_تحتل مكانة كبرى »[6] .

إن الخطاب الأدبي هو الممارسة الأدبية شفوية كانت أو كتابية للغة،ممارسة تتقيد بقواعد و شروط فنية مختلفة ، باختلاف الأنواع و الفنون الأدبية،و تتقيد أيضا بقيم جمالية،يتعارض عليها كل أمة تبعا لحضارتها و ثقافتها،ويكون تحليل الخطاب تبعا لذلك:هو استخلاص هذه الشروط الفنية؛أي مكونات الأدبية في خطاب ما،عبر مستويات متعددة تندرج كلها ضمن وجهي الأثر الأدبي،هما الشكل و المضمون[7].

وانطلاقا من ماهية الخطاب الأدبي يمكن توصيف **الخطاب السردي** بأنه «الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية ،وقد تكون المادة الحكائية واحدة ؛ لكن ما يتغير هو الخطاب في محاولة كتابتها و نظمها،فلو أعطينا لمجموعة من الكتاب الروائيين مادة قابلة لأن تحكى،وحددنا لها سلفا شخصياتها ،وأحداثها المركزية ،وزمانها،وفضائها ،لوجدناهم يقدمون لنا خطابات تختلف باختلاف اتجاهاتهم و مواقفهم ، و إن كانت القصة التي يعالجون واحدة »[8].

---

(1) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص 14 .
(2) المرجع نفسه ، ص 15.
(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(4) عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، ص 158 .
(5)J ,Dubois ;Dictionnaire de linguistique , Larousse ,1édition ,1999 ,p 205 .
(6) أحمد يوسف ، القراءة النسقية ، سلطة البنية و وهم المحايثة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1، 2003 ، ص 132 .
(7) إبراهيم صحراوي ، تحليل الخطاب الأدبي ، ص 219 .
(8) سعيد يقطين ، تحليل الخطاب الروائي ، ص07 .

وكبداية فإن البحث،هنا،لا يمكن أن يلتئم إلا بالتئام عنصرين أساسيين ،و هما الحكاية و الخطاب ؛ **فالحكاية** «توحي بواقع ما و بأحداث قد تكون وقعت و بشخصيات يتماثلون مع أشخاص حقيقيين »[1]، أما **الخطاب** فيتحدد بكيفية رواية الراوي للحكاية،وبتقبل القارئ لها، فأهم ما في الأمر ليس القول في حد ذاته؛ بل كيفية القول،و تطلق تسمية "الحكي" أو" القص"«على كل خطاب يستحضر إلى الذهن عالما منظورا إليه بكونه واقعيا،ماديا ،و معنويا ،يقع في مكان و زمان محددين،ومقدما في أغلب الأحيان بتصور معين يمكن أن يكون**...**منظور شخصية أو أكثر،ومنظور الراوي أيضا »[2].

هكذا تنطوي المادة الحكائية على الحدث(الفعل)،الشخصية (الفاعل)،الزمن و المكان،والتي تعد المادة الأصلية التي يتحقق بها العمل الحكائي،أو القاعدة الأساسية لها،من خلال ترابط تلك الدوافع الداخلية و الأيديولوجية،وترابط تلك المكونات كتأسيسات أولى .

✖الشخصية الحكائية :

إن الشخصية هي الحجر الأساس في أي عمل روائي،لدرجة أن صارت تقاس عظمة الراوي أحيانا بقدرته على إبداع الشخصيات،لذا يقال أن « الروائي الحقيقي هو الذي يخلق الشخصيات»[3].

ولأن الخطاب دائما ما يتفجر من داخله ليكشف عن مناطق مجهولة فيه،نابضة بالحياة،نابعة من النفس البشرية، معبرا عن رغباتها ،وطموحاتها،وحالاتها المتباينة،كان لزاما الاهتمام بالشخصية الحكائية ،والبحث عن أبعادها، ليس بكونها مجرد عنصر من هذا البناء فحسب؛بل تأتي ضرورة البحث عنها من قيمتها ووظيفتها المنوطة بها في التعبير الجمالي الذي يحتضنها ،كذلك في علاقتها بالعناصر الأخرى من خلال الفضاء الداخلي المرتبط بحركة الذات، و الفضاء الخارجي المرتبط ببنية الواقع .

فالخطاب الحكائي هو الحيز الذي تتجلى فيه الشخصيات بطريقة مميزة ،حيث يجعلها تنبض بالحياة، فتقدم لنا الحياة الاجتماعية بمختلف مظاهرها،أو حتى الحياة التاريخية ،لتكشف عن نظرتها العميقة للعالم،بحيث تؤول إلى مجموعة من التصنيفات،التي تتقاطع فيها العوامل و الأدوار و السلوكات ضمن معطيات ثقافية.

وتجدر الإشارة ،هنا ، إلى دعوة النقاد إلى ضرورة التمييز بين مفهومي الشخص و الشخصية(Personnalité)؛ إذ كثيرا ما يخلط الدارس بينهما،وهو ما أشار إليه بعض المنظرين بقوله :«لقد ظلت و لوقت طويل الشخصية في الرواية غير متميزة عن الفرد الحي فعليا في الواقع اليومي »[4]،وعلى الرغم من الخصوصية التي يتمتع بها المصطلحان إلا أن الفصل بينهما بشكل مطلق غير ممكن،ذلك بأن « تصورا ما للشخصية لا يمكن أن يكون مستقلا عن تصور عام للشخص،للذات،للفرد »[5].

---

(1) حسناء بنسليمان، بنية الخطاب السردي ، مجلة علامات ، جدة ، السعودية ،ج 54 ، م14 ، شوال 1425 ، ديسمبر 2004 ، ص247 .
(2) المرجع نفسه ، ص248 .
(3) عبد العالي بو الطيب ، الشخصية الروائية بين الأمس و اليوم ،مجلة علامات ، جدة ، السعودية ، ج 54 ، م 14، شوال 1425 ، ديسمبر 2004 ، ص364 .
(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(5) المرجع نفسه ، ص 365.

بيد أن مفهوم الشخصية في الرواية يختلف عن مفهوم الشخص الواقعي،فلكل منهما عالمه الذي يحتويه،فالأولى من صنع الكاتب،ليس لها ماض و لا مستقبل؛بينما الشخص كائن حي،ينتمي إلى ما هو واقعي و حقيقي لا متخيل، له ماض و تاريخ . وعلى الرغم من ذلك فإننا نعثر في بعض الحكايات على نماذج (بشرية) من الشخصيات تدخل في علاقة تماثلية مع الأشخاص، بحيث ترقى المحاكاة إلى مستوى يجعلنا نتوهم أننا أمام شخصيات/ أشخاص فعليين؛إلا أنه لا ينبغي التسليم بالتطابق بينهما، فالأشخاص الذين يختارهم الكاتب من واقعه الاجتماعي ما إن يدخلوا الحكاية حتى ينفصلوا عن ذواقم الأولى،وتتحقق لها ذوات جديدة يرسمها النص...ومع ذلك« فرفض كل علاقة بين الشخصية و الشخص سيكون مستحيلا،لأن الشخصيات تمثل الأشخاص بموجب طرق خاصة بالحكاية»[1].

بالإضافة إلى أن مفهوم الشخصية لم يعد يمثل في النص الحكائي الأشخاص فقط؛بل تعدى ذلك ليتشخص فيما هو : نبات،أو حيوان (مثل : كليلة و دمنة لابن المقفع)، أو جماد ...الخ ، فالكاتب يحرك ما لا يتحرك ،ويخلق عالمه العجيب بأشياء لا علاقة لها بما هو موجود بالواقع .

كذلك تنظر الدراسات الحديثة إلى الرواية نظرة مغايرة ؛ إذ تعدها علامة (Signe) مكونة من دال و مدلول ، أو كمورفيم مزدوج التمفصل،يبدو في البداية بأنه يشكو من فراغ دلالي،بحيث أنه لا يعني أي شيء،بيد أنه سرعان ما يصير مشحونا مع تقدم السرد.يرى فيليب هامون (Ph.Hamon)أن« البطاقة السيميائية للشخصية ليست معطى أوليا و ثابتا ...بل إنها تشكل يتم تصاعديا مع زمن القراءة و زمن المغامرة المتخيلة،إنه شكل فارغ ستملؤه مختلف المحمولات (Les prédicats)، أفعال و صفات،إن الشخصية إذاً و دائما تكاثف لأثر سياقي »[2].

فالشخصية،والحال هذه،ليست سوى تشكل نصي، لا قيمة لها خارج الإطار اللغوي الذي يكتنفها ، أو بصيغة أخرى ليست الشخصيات الحكائية أكثر من« كائنات على ورق»[3]، أو« كائنات أدبية »[4]،ولذلك« يجب علينا اعتبار الشخصية الروائية ككائن من كلمات،بمعنى كبناء لساني،قبل أن يخضع لاستقصاء نظام سيكولوجي »[5].

هذا عن المنهج البنيوي الذي لا تحقق الشخصية فيه فعاليتها إلا من خلال قراءتها داخل نسق،عن طريق جملة من الروابط الشكلية و التقنيات اللغوية،وهو أيضا رأي فيليب هامون؛ إذ يرى أن « الشخصية بناء يقوم النص بتشييده أكثر مما هي معيار مفروض من خارج النص »[6].

---

(1) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(2) المرجع نفسه، ص 366 .
(3) المرجع نفسه ، ص 368.
(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، تر : سعيد بنكراد ، دار الكلام ، الرباط ، 1990 ، ص51 .

ولئن وجدت الشخصيات بالكلمات،إلا أنها تبقى ذات صبغة إنسانية؛ إذ لا تحقق هويتها إلا بما هو سيكولوجي و اجتماعي و ثقافي و فلسفي و أدبي في الآن نفسه،على غلبة الهوية الأدبية عليها، بحيث تحمل في طياتها ملامح الإبداع ،فتبتعد على الوجود الواقعي لمعانقة الوجود التخيلي،«فما نتوصل إليه في النص ليس أبدا الواقع بالفعل ،ولكنه عقلنة (Rationalisation)،ونصية (Textualisation) الواقع، و إعادة بناء لاحقة ، مؤطرة داخل و بواسطة النص»[1].

ومن المعروف أن أية شخصية تتقمص دورا ما في الحكاية لابد أن تحظى بعدد من الصفات أو العلامات (Les qualification)،فالشخصيات« معطاة بصحبة صفات سوسيولوجية و سيكولوجية و أخلاقية »[2]،وهي صفات تختلف،كميا و كيفيا،من شخصية إلى أخرى،فبمثل هذا التمايز بين الشخصيات الحكائية تكتسب الحكاية دراميتها و ديناميتها،إذ كلما كان هناك تضاد و اختلاف،إلا وكان هناك صراع و مواجهة،كما أن هذه الصفات ليست معطى سابق ؛بل ترتسم أمام أعيننا رويدا رويدا إلى نهاية الحدث الحكائي .

إن هذه الصفات التي ترسم ملامح الشخصية الحكائية تبدأ في التشكل انطلاقا من الاسم،ومرورا بالأوصاف و الأفعال،كما قد لا يعلن السارد عنها مباشرة ؛ بل قد تفصح هي عن نفسها،أو قد تفعل ذلك الشخصيات الأخرى، فضلا على أن صفاتها لا تنحصر في الأقوال؛بل قد تطول لتشمل الأفعال أيضا،سواء أكانت صادرة منها،أو واقعة عليها ،كما أن تمييز الشخصيات لا يكون بالوصف وحده ؛بل يشمل السرد أيضا،سواء أكان هذا السرد متعلقا بحركات، حوارات،مونولوجات،أو أحداث ...إلخ.

أ_ الشخصيات من حيث التسمية:

يرى **فيليب هامون** أنَّ«حضور الشخصيات في الجنس الروائي غالبا ما يتحول إلى إشارات مبرمجة وفق توجهات اللعبة السردية ،والاختيارات الجمالية،و الإيديولوجية للكاتب»[3]،لذلك لابد من قراءة دقيقة للشخصيات الحكائية، بما تحمله من إيحاءات،ذلك أن«الشخصيات ليست كائنا من (لحم و دم)؛ بل تشكيلة من الدلالات »[4]،فقد يحمل الاسم الشخصي لكل منها علامة ما،فاختيار أسمائها يحدد مدلولاتها« فمن المهم أن نبحث في الحوافز التي تتحكم في المؤلف،وهو يخلع الأسماء على شخصياته»[5].

هذا التنويع في التسميات يحمل أيضا تنويعا في الصفات الخارجية و الداخلية،بحيث تسهم بشكل كبير في تعرية الواقع،الذي تكثر فيه الأقنعة،والتي تجعل من الشخصية عالما غامضا يتأبى عن التحديد،كما أكسبتها كثافة داخلية،سواء تعلق الأمر بالشخصيات الفاعلة ، أم بالصراعات الداخلية بين ذاتيتها و جوانبها الموغلة في

---

(1) عبد العالي بوطيب، الشخصية الروائية ، ص369 .
(2) المرجع السابق ، ص372 .
(3) فيليب هامون ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، ص55 .
(4) عبد الصمد ، زايد مفهوم الزمن و دلالته في الرواية العربية المعاصرة ، الدار العربية للكتاب، 1988 ، ص21 .
(5) حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ،1990 ، ص 247 .

الرواسب العميقة ، و بين ذاتيتهم و الواقع الخارجي كفضاء للمظاهر المختلفة .و لعل هذا ما يمنح الشخصيات التباسها و غموضها بهدف تدمير الواقع الخارجي ،وإعطاء الفردية الإنسانية قيمتها الايجابية ، بفضح أقنعتها المزيفة التي تخفي جوهرها العميق .

ب_الشخصيات من حيث التقديم:

ب_1_التقديم الذاتي : إن الشخصية الحكائية وفق هذا التصور تقدم ذاتها بذاتها .

ب_2_التقديم الغيري: إمَّا عن طريق شخصيات أخرى تشارك في بناء الاحداث، او عن طريق السارد،الذي يعرف أهم الأحداث الدقيقة،مع قربه من الشخصيات في ملامسة أفكارها،و داخليتها ،و أفعالها .

ج_الشخصيات من حيث الوصف:

ج_1_الوصف الخارجي: و ذلك بتقديم الملامح الخارجية المرئية للشخصيات و التي تميزها عن بعضها.

ج_2_الوصف الداخلي: و يتعلق بالملامح الداخلية اللامرئية للشخصية،حيث يبرز السارد ما يدور في أعماقها،و فيما تفكر فيه.

د_الشخصيات من حيث الوظيفة: إنَّ الشخصية الحكائية تُقدَّم أيضا من خلال أفعالها و وظائفها ،لأنها ترتبط بها.

كل هذه الأشياء يمكنها أن تصف الشخصيات إما بشكل ظاهري،أو بطرق ضمنية يعتمد المتلقي لاكتشافها على مؤهلاته القرائية الخاصة .

✖الزمان و المكان في الخطاب السردي :

إنّ من أهم المظاهر المكونة للخطاب السردي عنصري:الزمان و المكان،بحيث يسعى من خلالهما الراوي إلى تأطير الحدث، فحضورهما معا ضروري؛« لأن الزمن غالبا ما يُقرَن بالحركة ، و الحركة تُقرَن بالمكان»[1]،لا بد، إذن ،عدم دراسة المكان بمعزل عن احتوائه للزمان،« فلا يمكن _إذا_تخيل زمان يخلو من المكان، لأن الزمان تتال في الحركة : فزمن الساعة مرتبط بحركة عقاربها ، و زمن اليوم مرتبط بحركة الشمس و هكذا...إن المكان عندي هو (الزمكان)؛أي الزمن المكان »[2]،فضلا عن ارتباطهما معا بباقي العناصر السردية ،كالشخوص و ترتيب الأحداث.

1-الزمان : حظي الزمن على اختلاف أنواعه [3] باهتمام الباحثين في شتى الاختصاصات،وعنوا به «تلك المادة المعنوية المجردة،التي يتشكل منها إطار كل حياة،وحيّز كل فعل،وكل حركة » [1]، ففيه يتشكل الوجود و العدم ، الموت و الحياة ، الحركة و الثبات، الحضور و الغياب، الزوال و الديمومة .

---

(1) عبد الصمد زايد ، مفهوم الزمن و دلالته ، ص 16 .

(2) لؤي علي خليل ، المكان في قصص وليد إخلاصي (خان الورد أنموذجا) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج 25 ،ع 4 ، أبريل / يونيو ، 1997 ، ص 247 .

(3) الزمن التاريخي ، الزمن الأسطوري ، الزمن النفسي ، الزمن الشخصي الفردي ، الزمن الاجتماعي، الزمن الكوني ، الزمن البيولوجي ، زمن الحيوان ، الزمن النووي الفيزيائي ، و ما إلى ذلك .أنظر:عبد الصمد زايد مفهوم الزمن و دلالته ، ص 7_19 .

2-المكان :

يعد المكان من أهم المظاهر الجمالية المكونة للخطاب الحكائي،والتي يسعى من خلالها الراوي إلى تأطير الحدث ، إذ يمثل المجال الذي تسير فيه أحداث الحكاية،من تحولات على مستوى أفعال الشخصيات،أو من رؤية السارد التي يحددها من خلال عالمه الإنساني الذي يبنيه،والمواقف المختلفة التي تنبثق منه،والقانون السائد في هذا العالم،والنظم المتعددة التي تحكمه .

إن المكان،انطلاقا من هذا التصور،هو المدى الذي يحقق فيه الراوي دل تصوراته،فاهميته لا تقتصر على المستوى البنائي؛بل تتجلى أيضا على مستوى الحكاية (المدلول)،وذلك حين يخضع الإنسان للعلاقات الإنسانية،وللنظم ، معتمدا على اللغة« لإضفاء الإحداثيات المكانية على المنظومات الذهنية و الاجتماعية و السياسية و الأخلاقية، مما يسهم في تجسيدها ،وجعلها أكثر فهما و قبولا لدى المتلقين،هذا التبادل بين الصور المكانية و الذهنية يمتد لالتصاق معاني أخلاقية بالإحداثيات المكانية،والتي تنبع من ثقافة المجتمع و حضارته »(2).

فالأمكنة تبعا لذلك ليست«رقعا جغرافية في حدودها،ولكنها عنوانات تختزل مشاهد تاريخ الكاتب، المتشكل من الغربة و اصطراع الهموم في داخله »(3)، إنه يمنحنا فضاء حيايا ، او بالاحرى هو « المكان اللفظي المتخيل ، أي المكان الذي صنعته اللغة انصياعا لأغراض التخييل الروائي ، وحاجاته »(4)، فهو مكان تنسجه الكلمات،وتستثيره اللغة بخصائصها الإيحائية،لذا ميز البنيويون بين المكان الخارجي و المكان الروائي،«فالمكان الخارجي هو المكان الحقيقي المتموضع على الخارطة الجغرافية،وقد أطلقت عليه تسميات عدة (المكان الواقعي و الموضوعي و الطبيعي و المرجعي...) ،أما المكان الروائي فهو مكان متخيل »(5)يقوم في خيال المتلقي،إنه مكان « له مقوماته الخاصة و أبعاده المميزة »(5).

---

(1) المرجع نفسه ، ص 7.

(2) سيزا قاسم ، بناء الرواية ، دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، 1984، ص 75 .

(2) نادية غازي العزاوي ، المكان و الرؤية الإبداعية ، آفاق عربية ، ع3و 4 ، 1989 ، نقلا عن :عيسى سلمان درويش المعموري ،موت المكان في الشعر الحديث ، شعر السياب أنموذجا ، مكتبة جامعة بابل المفتوحة http://repository.uobabylon.edu.iq ، ص02.

(3) سمر روحي الفيصل ، بناء الرواية العربية السورية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1995، ص 251 .

(4) أحمد مرشد ، البنية و الدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط1،2005، ص 129 .

(5) سيزا قاسم ، بناء الرواية ، ص 74 .

(6)حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، ص33 .

(7) المرجع نفسه ، ص32 .

(8) كثيرا ما تقرن الدراسات الروائية العربية مصطلح " المكان " بمصطلح آخر هو الفضاء ، لكننا نجد حميد لحميداني قد خصص عنوانا كاملا وسمه بـــــــــ" نحو تمييز نسبي بين الفضاء و المكان " ، و يرى أن الفضاء في الرواية يضم أمكنتها جميعا «لأن الفضاء أشمل و أوسع من معنى المكان (...) إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية (...) و المكان يكفي أن يكون فقط متعلقا بمجال جزئي من مجالات الفضاء الروائي» حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص62.

وباللغة يحقق الراوي عالمه الخاص بكل تصوراته ،وتمنحه الحرية في تشكيل فضائه،بعيدا عن كل القوانين الهندسية، بمشاركة الشخصيات ووظائفها المختلفة.فتصبح أي محاولة للمطابقة بين هذين المكانين « ضربا من العسف ؛لأنها تفرغ النص الروائي من أحد أبعاده التخييلية،وتجرده من جماليته ،وتحيل المكان إلى مجال أجوف لا معنى له»(6).

و يضطلع المكان بدور فعال في بناء العمل الحكائي؛إذ لا يعد« عنصرا زائدا...بل إنه في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»(7)،كما يمكننا النظر إليه «بوصفه شبكة من العلاقات و الرؤيات التي تتضامن مع بعضها ،لتشييد الفضاء الروائي...كما يعبر عن مقاصد المؤلف»(8)،إنه الإطار الذي تتجسد فيه الأحداث،والأرضية التي تتفاعل فيها الشخوص لتأدية مهامها المكلفة بها؛بل إنه قد يتجاوز ذلك ليصبح عنصرا ديناميا في توجيه مسار الأحداث ،وتحديد مواقف الشخوص،مضيفا عليها دلالات ترميزية مستوحاة غالبا من خصوصياته.

وهكذا يتعدى المكان دوره الظاهري بوصفه مكانا لوقوع الأحداث،وخلفية تتحرك أمامها الشخصيات إلى فضاء رحب يشع بالدلالات التي تؤثر في بناء المتن الحكائي.

نستنتج مما سبق أن الخطاب السردي مشروع منظم وفق الغايات القصوى المقصود بلوغها ، أو هو بتعبير **قريماس** :« مجموعة من الملفوظات المتتابعة و الموظّفة المستندات فيها لتُشاكل _ ألسنيا _جملة من التصرفات الهادفة إلى تحقيق مشروع »(1)، فالخطاب السردي يهدف إلى إقامة علاقات منظمة وفق غاية ، يولد النص من أجل بلوغها ، و يعمل الكاتب فيها جاهدا لتحقيق مقومات وجودها، معتمدا فيه على اللغة ، التي أصبحت أكثر قابلية للتأويل و الكشف المباشر،مما يفسح المجال أمام المتلقي لإعادة إنتاج الخطاب السردي بأبعاده الفكرية،ضمن رؤى جمالية،حيث انتقل الاهتمام«من التلقي الخارجي إلى التلقي الداخلي،الذي يعنى بفحص طبيعة التراسل الداخلي في النصوص الأدبية و السردية على وجه الخصوص »(2).

و كنتيجة لما سبق فإن كل عمل فني درامي ، هو فعل سردي ، يتميز بكونه :

- علامة لغوية كبرى ، يتلازم و يتكامل فيها المدلول ممثلا في المتن الحكائي (الحكاية) ، و الدال المجسد في المبنى الفني (القصة) .
- بنية معقدة من العناصر المتكاملة : الحدث ، الزمان ، المكان ، الشخصيات ، اللغة .
- بنية حكائية عامة يتحقق فيها كليا أو جزئيا جملة من المراحل، تنطلق من بداية ما تتلوها مرحلة التعقيد أو التأزم ،تليها مرحلة رد الفعل أو مواجهة التأزم،التي تؤدي إلى مرحلة الحل، أو فك العقدة،و بذلك تنتهي الحكاية إلى مرحلة النهاية،التي تؤخذ فيها العبرة من النتيجة الايجابية أو السلبية .

---

(1) محمد الناصر العجيمي ، في الخطاب السردي ، نظرية قريماس، الدار العربية للكتاب ، دط ، 1993 ، ص 35
(2)عبد الله إبراهيم ، التلقي و السياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية) ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2000 ، ص 8 .

Ã بنية تبليغية عامة تشمل كل العناصر التبليغية من:سارد (مرسل)،ومسرود له (مرسل إليه)،و مسرود (النص الحكائي)،و قناة تبليغ، ووضع (قواعد بلاغية و تقنيات سردية)،ومرجع (و يشمل كل الفضاءات و الأمكنة في عالم الواقع أو المتخيل).

Ã له ما له من الطاقة الإيحائية و التأثيرية ، التي تنصرف إلى تزكية المقاصد والغايات الكبرى .

×قوانين الخطاب Lois du discours

ينتظم الخطاب داخل مجموعة من المبادئ و القواعد ،وضعها **غرايس** (Grice)،بالنظر إلى الفجوة بين ما يقوله المتكلم وبين ما يقصده دون التصريح به،واعتبارا أيضا من الطابع الشفاهي للخطاب؛ فعامل المشافهة يبرز جانبا حواريا بين المتخاطبين،تنظمه قواعد تهدف إلى« تمكين المتكلم من صياغة أقواله التي تمنعه بعض الأحوال من التصريح بها،أو أن يرغب في صياغتها مع نمط يكون أكثر إبلاغا،وأحسن تأدية،وأكثر إقناعا»[(1)].

هذه القواعد سماها غرايس"**أحكام المحادثة**"(Les maximes conversationnelles)،ثم أعاد **ديكرو** صياغتها باسم" **قوانين الخطاب**"،وهي « مجموعة من القوانين المكملة للقواعد التركيبية الدلالية »[(2)]، تتحكم في عملية تبادل الأدوار الكلامية بين المتخاطبين،انطلاقا من القدرات الذهنية الاستنتاجية للإنسان،ومرتبة المتكلم و مقاصده التبليغية،و كفاءة المستمع في إدراك ما لم يصرح به المتكلم،ولهذا فإن معرفة هذه القوانين يتطلب إبراز القواعد التركيبية و الدلالية،ثم ربطها بالسياق المحيط بالمتخاطبين في مختلف الاستعمالات**.**هذه القواعد و تفريعاتها«ليست أعرافا عشوائية؛بل هي وسائل عقلية لتيسير التبادل التعاوني»[(3)]،كما يشير غرايس إلى أن توظيف هذه القواعد لا يتساوى،فبعضها يفوق بعضها الآخر**.**

×مبدأ التعاون:

تتأسس قوانين الخطاب عند **غرايس** على هذا المبدأ،وهو مبدأ كفيل بجعل طرفي الخطاب يتعاونان بقدر المستطاع،بغية إيصال أفكارهما بعضهما لبعض؛إذ يقتضي الخطاب وجود نية مسبقة عند المتكلم و المستمع، بحيث يقصد كل منهما دفع الطرف الأخر إلى الاسترسال في الكلام،والتوقف عند حدوث الفائدة المرجوة من

---

(1) عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2003 ، ص99 .
(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استرتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع و التنمية الثقافية ، طرابلس ليبيا ، ط1، 2004 ، ص 430 .

التخاطب« ولعل انعدام التفاهم بين المتخاطبين مرجعه غياب ذلك الاعتراف المتبادل منذ البداية»[1].ويضم هذا المبدأ أربعة أحكام فرعية[2] :

•حكم الكمية(Quantité):ومؤداه أن يعطي المتكلم القدر الكافي و اللازم من المعلومات للمستمع أثناء التخاطب

•حكم الصدق (Qualité) .

•حكم المناسبة(Relation) : يتحرى المتكلم تلاؤم موضوعه مع السياق المحيط بالخطاب الذي يجمعه مع المستمع.

•حكم الطريقة (Manière):يتطلب من المتكلم الوضوح،و ترتيب الكلام ،والإيجاز،والابتعاد عن الغموض واللبس.

ولقد لاحظ **غرايس** أن هذه الأحكام تتداخل فيما بينها فـــــــــ«الحكم الأول و الثاني و الرابع يمكن ضمهم في حكم المناسبة» [3]،و لهذا أعاد صياغتها في شكل قوانين على النحو الآتي :

حكم المناسبة = قانون الإفادة **حكم الصدق = قانون الصدق**

حكم الكمية = قانون الإخبارية **حكم الطريقة = قانون الشمولية**

1- قانون الإفادة :

ويعد المركز الذي تدور حوله القوانين الأخرى،ويؤكد جرايس أنّ«كل الأحكام الأخرى تنتظم في حكم الإفادة ، الذي يعده الوحدة الأكثر إيضاحا ودقة من مجموع الأحكام »[4].فالخطاب يتوقف على مدى استفادة المتلقي من كلام المخاطب،وبذلك فإن« الإفادة التداولية للملفوظ هي في علاقة مباشرة بمجموع النتائج التداولية المفروضة على المستمع،وفي علاقة عكسية بثراء الأخبار التي تحويها»[5] ، فالمحادثة المفيدة تقاس بالنتائج المرتبة عليها بحسب **أوركيــــــــــــــــــــــــــــــونـــــــــي**(C.K.Orecchioni) .

2_ قانون الصدق:

يركز **غرايس** في وضعه لهذا المبدأ على ضرورة الصدق أثناء التخاطب،ويتمثل ذلك في قول الحقيقة كما هي موجودة في الواقع،أو كما يدركها المتكلم و يتصورها،والحكم على صدق المتكلم يظهر من خلال مقاصده،فإن كان سائلا مثلا تظهر رغبته الجدية في معرفة الإجابة ،وإن كان آمرا يظهر في طلب طاعة المستمع،وإن كان متوعدا يظهر من مدى التزامه بوعده. فالصدق هو اعتقاد المتكلم صدق ما يقول،سواء أكان في الواقع حقيقة أم كذبا؛ لأن الإنسان يملك القدرة على الكذب والمراوغة أثناء التخاطب،وهو سلوك استثنائي

---

(1) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي ، ص 101 .
(2) المرجع نفسه ، ص102 ، و أنظر أيضا : دي بوجراند ، النص و الخطاب و الإجراء ، ص495 ، 496 .
(3) عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي ، ص 102 .
(4) Cathrine Kerbrate arechioni, L'implicite , Armand colin , Paris , 1986, p198
(5) Ibid, même page.

يندرج في الخطاب، ويتميز في علاقته مع معيار الصدق، تقول **أوركيوني** :«لا يمكن لنا أن نتصور لغة تعمل بعكس هذه القاعدة»[(1)].

وقد يتدخل السياق في الكشف عن الصدق و الكذب،فارتباط موضوع الخطاب بمقامه يدفع المتكلم إلى إعطاء المستمع القدر الملائم من المعلومات لذلك المقام،لا زيادة فيه ولا نقصان؛إضافة إلى مرتبة المستمع في حد ذاته، فقد يجبر المتكلم إلى عدم نقل الحقيقة كما هي واقعة،أو نقلها بصورتها الموجودة في الواقع.

هذه الاعتبارات تجعل حكم الصدق في الخطاب متعلقا باعتقاد المتكلم فيما يقوله وبخاصة إذا قصد تحقيق"مبدأ التعاون " أثناء التخاطب مع المستمع،حتى تحدث الإفادة ولا ينقطع الخطاب، ولأن المستمع إذا ما أحسَّ عدم الصدق لدى المتكلم قد يدفعه هذا إلى عدم التفاهم والاشتراك معه، إضافة إلى رفضه ما يقال مهما كانت نتائجه على مستوى الإفادة .

3_قانون الإخبار:

يعد الإخبار غاية التواصل بصفة عامة،يسعى من خلاله المتكلم إلى إفادة المستمع بأكبر قدر من المعلومات التي لم يسبق له سماعها، يرى **ديكرو** أن « قانون الإخبارية هو الشرط الذي يخضع له الكلام،الذي هدفه إخبار السامع ، و لا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه»[(2)].

وقد يلجأ المتكلم أثناء التخاطب إلى إعادة ما قاله للمستمع،غايته في ذلك ربطه بالموضوع في حالات النسيان أو الشرود أو تراكم المعلومات،ولا ينظر إلى هذا الأمر على أنه إطناب في الكلام ،وإنما يتطلبه الموقف التخاطبي، وعلى اعتبار أن المستمع يجهل من البداية ما سيقال له،يرغب المتكلم في إيصال ما يدركه ويتصوره حتى يكون معلوما وواضحا لدى المستمع، فتدعوه الحاجة إلى ذلك بتكرار أو إعادة ما قال سابقا،من باب التأكيد أو إضافة معلومات مرتبطة بما سبقها ، فتكون النتيجة استعداد المستمع لفهم وإدراك مقاصد المتكلم من خلال حاجة التكرار أو الإعادة ؛ وبتعبير آخر إن أكبر قدر ممكن من المعلومات المقدمة للمستمع لا يعني حجمها وعددها فقط،وإنما قدرتها على إحداث الإفادة لدى هذا المستمع .

4_قانون الشمولية :

ويرتبط هذا القانون بقانون الإخبارية،ذلك أن الشمولية في موضوع الخطاب تكون أثناء الإخبار، وتتحدد الشمولية بالكفاءة التبليغية للمتكلم بما فيها معارفه واهتماماته ، وتلاؤمها مع سياق الخطاب ومع موضوعه .

---

(1) Ibid,p204

(1) O . Ducrot , Dire et ne pas dire , Hermann , Paris , 1980 , P133

ومن جهة أخرى يخضع هذا القانون لقانون الإفادة، فهي شرط يجب توفره أثناء التخاطب،وعلى هذا الأساس يسعى المتكلم إلى إبلاغ المستمع بما يريد إيصاله إليه،بتوفير أكبر قدر من المعلومات التي لم يسبق لهذا المستمع معرفتها قصد إفادته،وعلى حسب ما تقتضيه ضرورة الخطاب وسياقه .

×مبدأ التأدب:

وهو المبدأ التداولي الثاني الذي ينبني عليه التخاطب ، أوردته **روبين لاكوف**(*R.* Lakoff)في مقالتها الشهيرة :**"منطق التأدب"** [1]،وصيغة هذا المبدأ هي: لتكن مؤدبا.

×مبدأ الوجه:

وهو المبدأ التداولي الثالث الذي ينضبط به التخاطب،ويسمى كذلك "مبدأ التواجه" ، مستعملين لفظ **التواجه** في معناه اللغوي الذي هو مقابلة الوجه للوجه .

إن هذه القواعد و ما تفرَّع عنها تجعلنا بين أمرين اثنين :إن اتبعناها حصلنا فائدة قريبة،هي أقرب إلى ما سمَّاه الأصوليون بـــــــــ" **المنطوق**"،وإن خرجنا عن هذه القواعد حصلنا فائدة بعيدة،هي أقرب إلى ما سَّماه الأصوليون "**المفهوم** " ،أو" **المسكوت عنه** " أو " **دلالة الدلالة** "[2]، وهو ما يمكن تسميته بالمعنى الاستنتاجي في مقابل المعنى الحرفي ، الذي اقتصر في تسميته على مصطلح " **المعنى** " منفردا.وقد استعمل عبد القاهر الجرجاني للدلالة على هذا التمييز بين المعاني مصطلحي :" **المعاني الأُوَّل** "و " **المعاني الثواني** " أو بـــــــــ " **المعنى**"و" **معنى المعنى** "[3].

---

(1) أنظر : طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، 1998 ، ص 240 ، أيضا : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص 97 .

(2) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 239 .

(2) مسعود صحراوي ، التداولية عند علماء العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي ، دار الطليعة ، بيروت،ط2005،1، ص 30 ، أنظر كذلك الفرق بين المعنى اللغوي و المعنى المقصود ، محمد يونس علي ، المعنى و ظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، دط ، 2007 ، ص 141 .

×التـــــــــــــــــــــداوليـــــــــــــــــــــة : المفهوم و الإجراء .

توطئـــــــــــــــة :

عرف مطلع القرن العشرين تحولا مهما في تاريخ الفكر اللساني الحديث،مع ظهور أعمال اللساني فردينان دو سوسير (Ferdinand de Saussure) ،في كتابه الشهير الموسوم بـــــ : محاضرات في اللسانيات العامة .هذه المحاضرات جعلت من اللسانيات درسا جديدا،له أسسه و مقوماته التي تميزه عن بحوث سابقيه،سيما في تمييزه بين الجانب الاجتماعي في اللغة " اللسان " (Langue) و الجانب الفردي " الكلام " (Parole)[1].

ويعد هذا الفصل المنطلق الجديد نحو ظهور التداولية(Pragmatique) أو« فيما بعد البنيوية »[2]، لأنه بتمييز **سوسير** الجانب الاجتماعي عن الجانب الفردي يكون قد حصر المفاهيم المشتركة بين أفراد المجموعة

---

(1) فردينان دي سوسير ، محاضرات في علم اللسان العام ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2008 ، ص23 ، و أيضا ص 34 .

(2) الفكرة الأساسية للبنيوية هي أن اللغة بنية ، و للبنية ثلاث ميزات تجعل من البنيوية مفهوما لا يؤمن بالأشياء ؛ بل بالعلاقات الرابطة بينها ، و هي :الجملة و التحويلات و الضبط الذاتي ، جان بياجيه ، البنيوية ، منشورات عويدات ، بيروت _ باريس ، ط4 ، 1985 ، ص 9 ، 11 ، 13 ؛ فالجملة (Totalité) : تدل على أن البنية تأخذ قيمتها فقط من تآلفها و تجاورها مع بقية العناصر الأخرى ، و أما التحويلات (Transformations): فتعني أن التغيرات التي تطرأ على بنية ما تؤدي إلى إحداث تغيرات جوهرية في هيكلها العام ، أو بصيغة أخرى هي العلاقات الاستبدالية و العلاقات التوزيعية ، في حين يحيل الضبط الذاتي (Autoréglage) إلى أن اللغة تستطيع ضبط نفسها ، مما يؤدي بها إلى نوع من الانغلاق ، بحيث لا تتطلب مؤثرات أو عوامل خارجية من أجل الحفاظ على هيكلها العام من التفسخ أو الاندثار ، «و مهما بلغت خاصية تركيب العناصر من اغناء فإن آلية الضبط الذاتي تبقى شاخصة ، لتحقق تثبيت الحدود داخل نطاق كل بنية» ، أنظر : إسماعيل نوري الربيعي ، قراءة في نقد الحداثة ، مجلة علامات،جدة، ج 56 ، م 14 ، ربيع الأخر 1426 ه، يونيو 2005 ص 114 .

اللغوية الواحدة، و هي نفسها القوانين التي يؤدى فيها التواصل، فيصير الخطاب _من هذا المنطلق _ مفهوما لدى متلقيه لاندراجه ضمن المتعارف عليه .

فإنتاج اللغة من منظور اللسانيات من الأسس الاجتماعية و يجنح إلى الفردية،وتبقى مهمة اللسانيات الوحيدة هي«الكشف عن القوانين الداخلية لنظام اللغة سواء كانت قوانين ثابتة أو قوانين متطورة »[(1)].

ومع تطور البحث اللساني الحديث تجاوزت اللسانيات الاهتمام باجتماعية اللغة إلى دراستها على مستوى الأفراد ،حيث انتقلت من دراسة اللسان إلى دراسة الكلام ،ضمن ما يعرف بلسانيات الخطاب،وأصبح موضوع اللسانيات مرتبطا بالشخص المتكلم و بأفعاله الكلامية المحققة ،وطرق استعماله لها [(2)].

وسعيا نحو تحقق فكرة (المتكلم _المستمع المثالي) أحيط الخطاب بهالة تنظيرية و تقعيدية و رؤى فلسفية مختلفة ، بغرض تأطير مساره،و توضيح مقاصده،وتهذيبه بلاغة و فصاحة.وقد أعاد **هيمس**[(3)] (D. Hymes) انطلاقا من هذه الفكرة ترتيب أضلاع مثلث سوسير جاعلا قاعدته ترتكز على الكلام .

كما شنَّ هجوما عنيفا على التصور التجريدي ، الذي انحصر فيه البحث اللسانى سواء مع سوسير فى اللغة دون الكلام ، أو مع **تشومسكي**(N. Chomsky) صاحب النظرية التوليدية التحويلية،والذي قصر موضوع تنظيره على القدرة اللغوية (Compétence Linguistique)،دون الكلام أو التأدية (Performance).

و قد أسَّس **هيمس** و علماء الاجتماع من بعده اتجاها جديدا للدراسات اللغوية،يقوم على مفهوم القدرة التبليغية (Compétence de Communication)كبديل للقدرة اللغوية،التي أضحت أحد مكونات القدرة التبليغية للمتكلم / السامع[(4)].وبهذا الانتقاد المشهور لهيمس أعيد الاعتبار للنظريات السياقية،حيث دخلت مجال اللسانيات بقوة ،كنظريات أفعال اللغة لفلاسفة اللغة العادية[(5)]،و الملفوظية[(6)]،وأيضا نظريات التداول[(7)]، و نظريات النحو الوظيفي[(8)].

وما يجمع هذه النظريات والبحوث هو تركيزها على مرجع العلامة اللغوية أو المكون التداولي(compétence pragmatique)[(9)]للكلمة أو الجملة أو النص،الذي أصبح مضبوطا بوظائف تداولية

---

(1)رومان ياكبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم ، ا ط1 ، 2002، ص13 .

(2) عبد السلام المسدي ، اللسانيات و أسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر1986 ، ص 81.

(3) عالم أجناس أمريكي .

(4) أحمد المتوكل ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان ، الرباط ، 1995 ، ص 22 ، 23 .

(5) و أشهرهم كرناب (Karnap) الألماني ، و أوستين (Austin) الانجليزي، و سورل (Searle) الأمريكي .

(6) ينظر جان سيرفوني ،الملفوظية ، تر: قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1987.

(7) ينظر: فرانسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط، 1987.

(8) النظريات النحوية المشهورة ، و التي ربطت البنية التركيبية بالوظيفة التبليغية ، و هي : نظرية الوجهة الوظيفية لماتزيوس ، و نظرية النحو النسقي لهاليداي ، و نظرية النحو الوظيفي لسيمون دايك ، و نماذج نظرية البراغماتيكس في النحو التوليدي كنظرية التركيب الوظيفي.

(9) ينظر أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، الرباط ، دط ، 1989 ، ص13 .

محددة[1]، ترتبط بسياقات و طبقات مقامية ،وبشبكة من العلائق المختلفة ،كالعلائق الاجتماعية المنظمة لمقاصد المتخاطبين ،والعلاقات المنطقية التي تضبط محاوراتهم[2].

فاكتشاف الأبعاد التداولية للغة فتح آفاقا أرحب و أنتج أسئلة جديدة،ستكون مسوغا للاعتراف بالتداولية كأحدث بحث أفرزته اللسانيات الحديثة ،والذي« يولي أهمية قصوى للشروط الخارج لغوية) (Extra linguistique، والمتعلقة بالسياق و المقام و المتكلمين و مقاصدهم و نوع المعلومات المطروقة و غاية النص و سمات التفاعل،وحيثيات الاستعمال و الأفعال اللغوية و الغرض منها ، أو بعبارة التوليديين أصبحت جزء من دراسة الانجاز (Part of performance)[3].

يرى العديد من الدارسين أن التداولية اعتنت بمعالجة المشاكل اللغوية الهامشية (Marginaux) التي لم تعالجها اللسانيات؛إذ تهتم بالبعد الاستعمالي أو الانجازي للكلام،آخذة بعين الاعتبار المتكلم والسياق،« وقد عمد الباحثون إلى هذا المنهج ليمدهم برؤى متعددة،نتيجة لقصور الدراسات الشكلية،وإهمالها لمقاربة اللغة في تجليها الحقيقي؛ أي في الاستعمال التواصلي بين الناس »[4]،وعلى الرغم من أهمية هذا الجانب فقد ظل مستبعدا من طرف الألسنيين لتركيزهم على علمي التركيب(Syntaxe) و الدلالة (Sémantique)، إلا أن « اللغة لا يمكن أن تنعزل عن استخدامها و تنحصر في علمي النحو و المعاني؛بل إن الاتصال يلعب دورا فاعلا إذا أردنا أن نفهم حقيقة اللغة »[5].

وبذاك عدت « التداولية مكونا من مكونات اللغة إلى جانب المكون الدلالي و التركيبي...وعندما نقول أن ظاهرة ما خاضعة لـــــــــــــ(عوامل تداولية)فإننا نقصد ذلك المكون الذي يعالج وصف معنى الملفوظات في سياقها...التداولية توصف كذلك لتصور اللغة و بشكل أعم للتبليغ / الاتصال »[6].

و لـــــــــّا كان منتهى التداولية هو الإحاطة بملابسات وظيفتي التبليغ و الاتصال، المنوطتين بمعاش البشر،و" تحقيق أغراضهم" كما أسلف **ابن جني** في حدّه للغة ؛فإنها من أجل هذه الغاية الأولية توزعت عبر عديد التيارات المتقاطعة حول دقائق المفاهيم التداولية ، و من بين هذه التيارات نستعرض : السيميائيات (**سوسير ــ بيرس**) ، نظرية أفعال الكلام(**أوستين ــ سيرل**)، التفاعل الخطابي (**غرايس**)، لسانيات التلفظ(

---

(1) ينظر أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1985.
(2) ينظر أحمد المتوكل ، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص95،96.
(3) مقبول إدريس ، البعد التداولي عند سيبويه ، مجلة عالم الفكر ، مج33 ، سبتمبر2004 ، ص 245 ، 246 .
(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ،ص21 .
(5) ميجان الرويلي و سعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط5 ، 2007 ، ص169.
(6) دومينيك مونغانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2008 ، ص100، 101 .

بنفينيست _ يالمسليف _كوليولي)،لسانيات النص و مفاهيم الاتساق / الانسجام (**هاليداي _ شارودو _ دوبوغراند)** [(1)].

وكذلك ينظر إلى المنهج التداولي على أنه بمثابة ردة فعل على معالجات تشومسكي للغة [(2)]، بوصفها أداة تجريدية أو قدرة ذهنية قابلة للانفصال عن استعمالها و مستعمليها،ومن أسباب ظهور المنهج التداولي القناعة بأن المعرفة المتقدمة بالنحو و الصوت و الدلالة لم تستطع التعامل مع ظواهر ذات أهمية بالغة،و يمكن اعتبار الإدراك المتزايد بوجود فجوة بين النظريات اللسانية من جهة و دراسة الاتصال اللغوي من جهة أخرى سببا آخر للاهتمام بالتداولية.و على كل تعد التداولية حقلا يعيد النظر في المبادئ التي تتأسس عليها الأبحاث اللسانية السابقة،و المتمثلة في:

- أسبقية الاستعمال الوصفي و التمثيلي للغة .
- أسبقية النظام و البنية على الاستعمال .
- أسبقية القدرة على الانجاز.
- أسبقية اللغة على الكلام [(3)].

× التـــــــــــداوليـــــــــــة :

مرجعيتهـــــــــــــــا الفلسفيـــــــــــــــة واللسانيـــــــــــــــة

يقترن مصطلح **التداولية** بحقل علمي جديد،يبحث في الاستعمال اللغوي في السياقات المختلفة،و يركز فيه على علاقة المعنى بالعمل المنجز من القول،تبعا للأغراض و المقاصد التي تتنوع بحسب المعارف و الاعتقادات من جهة،وبحسب متداولي الخطاب من جهة أخرى،فهذه المعرفة هي التي تمكن من التأويل الصحيح للعبارات اللغوية .

---

(1) إن هذه التيارات اللسانية التداولية الحديثة لا تمثل إلا الخلاصات و النتائج ، حينما نقرنها ببدايات الدرس اللساني العربي ، بما أنتجه من مفاهيم تأسيسية ، على رأسها مفهوم " النظم " الذي يستفاد منه كمفهوم تداولي أيضا ، و الذي يحدد بلاغة الكلام من عدمها ، من خلال تلك العملية الانتقائية المقامية . للتوسع : راجع جهود الجاحظ في مؤلفيه : " البيان و التبيين " و " الحيوان " ، و كذلك : أبو حيان التوحيدي في" الإمتاع و المؤانسة " و عبد القاهر الجرجاني في " دلائل الإعجاز " . أنظر أيضا : محمد الأمين بحري ، أقلمة المفاهيم التداولية لنظرية النظم (من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري) ، قص للمسارات البلاغية و الفلسفية و النحوية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ،جامعة بسكرة ، العدد السابع ، جوان ، 2010 .

(2) أحدث تشومسكي أنموذجا جديدا للتفكير في اللغة أفرز مجموعة من الإشكالات ، ضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي ، عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات و اللغة العربية ، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1986 ، ص 65 .

(3) علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري ، من البنية إلى القراءة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، ط1 ، الدار البيضاء ،2000 ،ص55، 56 .

إلا أن للمصطلح استعمالات في اللاتينية، وفي الإغريقية بمعنى"**عملي**"،و قد ارتبط توظيفه في العصر الحديث في بداية ظهوره بالفلسفة الأمريكية البراغماتية،وقد جاء في الموضوعات الخاصة بالفلسفة أن كلمة "**براغماتية** " تعني «فعل و نشاط وعمل،وهو تيار مثالي في الفلسفة الغربية يرى أن المنفعة العلمية للمعارف مصدرا لها ،ومعيارا رئيسيا لصحتها»(1).

ويقترن بهذا المصطلح في اللغة الفرنسية معنيان أساسيان"محسوس"،و"ملائم للحقيقة "،أما في اللغة الانجليزية« فإن كلمة Pragmatic تدل في الغالب على ماله علاقة بالأعمال و الوقائع الحقيقية »(2).

ولابد في اللغة العربية أن نفرق في المصطلح بين" التداولية "الذي يمثل الاتجاه اللغوي الجديد ، الذي يعنى بقضايا الاستعمال اللغوي،ويقابله المصطلح الفرنسي"Pragmatique "،و" البراغماتية "، أوما يترجم أيضا بــــــــ" الذرائعية " أو" النفعية "أو غيرهما،كمذهب فلسفي تجريبي عملي،تجاوز المذهب العقلاني و طور الاتجاه التجريبي،لا تقوم على معاني عقلية ثابتة،أو تصورات قبلية،ترتبط بالواقع التجريبي**.**كما تحاول أن تفسر الفكرة ليس بمقتضياتها العقلية أو الحسية،بل بتتبع و اقتفاء أثر نتائجها"العملية"،ويقابلها مصطلح"Pragmatisme "،ومن روادها تشارل ساندرس بورس،و ويليام جيمس، وجون ديوي ،و شيلر و غيرهم .

ويعد الفيلسوف الأمريكي **بورس**(Ch .S .Peirce) المؤسس الأول للفكر البراغماتي أو التداولي،حيث نشر مقالين،الأول عام 1878بعنوان (كيف تجعل أفكارك واضحة ؟)،تساءل فيه كيف يكون للفكرة معنى،والثاني نشره عام 1905 بعنوان (ماهي البراغماتية ؟)،وقد ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسيميوطيقا(3)،فدرس الدليل و علل إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات و النشاط السيميائي .

وقد حاول **بورس** تطوير التجربة الإنسانية من خلال الأدلة،وربطها بالواقع الاجتماعي،يقول:« إن الواقع المدلول عليه يفترض تجربة إنسانية مبنية لا على ما هو فردي،بل على ما هو اجتماعي »(4)**.**و قد اختلف تصور **بورس** للتداولية بتطور مراحل فكره،إذ انطلق بداية من التساؤل و البحث عن كيفية جعل أفكارنا أكثر وضوحا،وانتهى إلى أن تصورنا لموضوع ما يقاس بالنتائج العلمية،من حيث انها منهج متصل بالمنهج العلمي .

وقد اهتم **بورس** بالإشارة اهتماما بالغا،و بحث عن الطرق التي بواسطتها يتم الاتصال بين الأفراد،وجعلها نظرية ،ليرى بعد ذلك أن التداولية فرع من السيميائيات،مهمتها نقل الواقع ،كما أنها وسيلة من وسائل المعرفة و الاتصال،و منهج لجميع ميادين المعرفة**.**و لذلك رأى بورس أنه بالتحديد التداولي تتحدد

---

(1) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، نقد المذاهب المعاصرة ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، ط1 ، 2000 ،ص 69 .
(2) فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر : صابر الحباشة ، دار الحوار ، سورية ، ط 1، 2007 ، ص 17 .
(3) أنظر: نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، دط،2004 ، ص198 .
(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

العلامة اللسانية بحكم استعمالها ، بالتنسيق مع علامات أخرى،من طرف أفراد جماعة معينة[1]، فللعلامة اللسانية علاقة بظروف استعمالها و محيطها، ومن خلاله تحمل معناها .

كذلك عرف الفيلسوف الأمريكي **وليام جيمس**(W.James) 1842_1952 .بمقولته الشهيرة :"وجود الشيء يعني كونه نافعا"،وبذلك اتجه هؤلاء إلى ما هو مشخص(Concrète) وحقيقي(Real)، بعيدا عن المبهمات الفلسفية المغلقة المتسمة بالتجريد .

كما ركز **جون ديوي** (J.Dewey) (1859_1952)في مقال له بعنوان"نمو البراغماتية الأمريكية " على وظيفة التفكير ، مؤكدا أن الفكرة هي فرضية الفعل ، تقودنا وحدها فعليا نحو الحقيقة.كما يؤكد أن التداولية هي «النظرية التي ترى أن عمليات المعرفة و أدواتها إنما تتحد بحسب الاعتبارات العلمية أو الأغراض الفعلية، فليس هناك محل للقول بأنَّ المعرفة تتحد في حدود الاعتبارات النظرية التأملية الدقيقة ، أو الاعتبارات الفكرية المجردة» [2].

انطلاقا مما تقدم يمكن اعتبار التداولية نظرية في"المعنى"، الذي هو _حسب هؤلاء الفلاسفة_ليس مفهوما ثابتا،بل يختلف باختلاف مكانه في سلم الموجودات.هذا و قد جعل جيمس صدق الشيء ووجوده من دلائل أثاره ، يقول:« كي نبلغ الوضوح الكامل في أفكارنا عن شيء لا نحتاج إلا أن ننظر في الآثار العملية التي يبعثها الشيء»[3] .

هكذا يعمد مؤسسو الفكر التداولي إلى تفسير الأفكار تبعا للنتائج العملية المترتبة عنها، و أثرها على سلوكنا و حياتنا، كما ليس المهم منشئ الفكرة أو مصدرها،و إنما الأهم النتائج العملية،التي تغير الواقع و تحقق المنفعة.

ويعود الاستعمال الحديث و الحالي للتداولية للفيلسوف الأمريكي **شارل موريس**(Morris) في كتابه " أسس نظرية العلامات"حيث يعرف التداولية بوصفها«جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات و مستعملي هده العلامات»[4]،وهو تعريف عام يجعل فيه صاحبه التداولية جزء من السيميائية،كما أنه لا يحدد طبيعة العلامة التي تعالج، هل العلامات في الاتصال الإنساني ؟ أم الحيواني؟ أم الآلي ؟ [5]،و التداولية، في نظره ، هي البعد الثالث من السيميوطيقا :

- علم التركيب (Syntaxe):ويقتصر على دراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها مع بعض .
- علم الدلالة(Sémantique):الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائمة بين العلامات و ما تدل عليه.

---

(1) أنظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2002 ،ص 41.
(2) محمد مهران ، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط 2 ، 1984 ،ص 41 .
(3) إبراهيم مصطفى إبراهيم ، نقد المذاهب المعاصرة ، ص 163 .
(4) نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، ص166 .
(5) عبد الحليم بن عيسى ، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، مجلة دراسات أدبية ، جامعة وهران ، عدد1، ماي 2008 ، ص 10 .

Ã التداولية(Pragmatique) : و تعنى بالعلاقات بين العلامات و مستخدميها أو مفسريها.

وقد نبه **موريس** إلى علاقة العلامة بمستعمليها و مؤوليها ، وطريقة توظيفها،وأثرها في المتلقين.كل هذه الفروع مرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا،فالتداولية تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامة،وهذا التفسير لا يتم بمعزل عن البنى التركيبية و النحوية للغة المستخدمة،فالنظام اللغوي قائم على العلامات و الأشياء،والتي لا تفسر إلا بالإحالة إلى مرجعها في العالم الخارجي،وهذا مبحث دلالي،فالتداولية في تصور **موريس** تعتمد على علمي الدلالة و التركيب في محاولة الكشف عن مقاصد المتكلم.

وكذلك نظر إلى العلامات نظرة سلوكية، إذ تهيئ المخاطب لاتخاذ رد فعل معين،فكل قول في وضع معين يؤدي في كل مرة إلى الاستجابة نفسها.وقد أصبح هذا البعد السلوكي محفزا لقيام العديد من الدراسات،والتي تضمنت دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام،وداخل اللغة بشكل خاص،كما تضمنت أيضا دراسة التصورات التجريدية،التي تشير إلى الفاعلين،ودراسة المفردات التأشيرية و الاشاريات .

كما لاحظ بعض الاستعمالات اللغوية مثل ألفاظ التعجب،و صيغ الأمر،و بعض الأساليب البلاغية و الشعرية التي يتعرض لها مستعملو اللغة يمكن معالجتها في إطار البحث في اللسانيات التداولية(1)،كما من شأنها دراسة ضمائر التكلم و الخطاب و ظرفي الزمان و المكان (الآن، هنا...)،والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها؛أي من مقام التواصل،«ومع ذلك ظلت التداولية،في رأيه،لا تغطي أي بحث فعلي» (2).

لم تصبح التداولية مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر،سيما و أنها لا تنتمي إلى أي من مستويات اللغة، صوتيا كان أم صرفيا أم نحويا أم دلاليا،فكل من هذه أنماط تجريدية ووحدات تحليلية على خلاف التداولية.

إلا أن هذا الأمر اختلف بعد قيام ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي بجامعة أكسفورد (Oxford) في العقد السابع من القرن العشرين بتطويرها،وهم جون **أوستين** (J.Austin)،**وجون سيرل** (J .Searle) ،**وبول غرايس**(P.Grice)،و كان هدفهم إيجاد طريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية،من خلال إبلاغ مرسل رسالة إلى مستقبل يفسرها ...و كان هذا من صميم التداولية(3).

---

(1) محمد سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ،2000 ، ص175 .

(2) آن روبول و جاك موشلار ،التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ،2003 ، ص 29.

(3) محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 9 .

فالتداولية عند **أوستين** جزء من علم أعم هو دراسة التعامل اللغوي من حيث هو جزء من التعامل الاجتماعي،وبهذا ينتقل باللغة من مستواها اللغوي إلى مستوى آخر،هو المستوى الاجتماعي في نطاق التأثر و التأثير[1].

نخلص بعد هذا إلى أن التداولية هي« الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة ،وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية، و السياقات المرجعية ،والمقامية ،والحدثية ،والبشرية »[2].

ويمكن إيراد تعريف موجز للتداولية و أقرب للقبول،وهو أنها« دراسة اللغة في الاستعمال أو في االتواصل**...**فصناعة المعنى تتمثل في تداول اللغة بين المتكلم و السامع في سياق محدد مادي و اجتماعي و لغوي، و صولا إلى المعنى الكامن في كلام ما »[3].

تصبو التداولية إذن لتجاوز النظرة الصورية للغة،والتي كانت محل اهتمام المدارس اللسانية و الفلسفية سابقا،لتدعو إلى ضرورة ايلاء العناية الكافية بظروف استخدام اللغة،الذي هو «خاصية جوهرية للغة نفسها »[4]كما يرى **هاليداي** .

على هذا الأساس تحتمل التداولية عدة مفاهيم ، أهمها ما يربطها بالتواصل و التفاعل بين مستعملي اللغة،أي كيفية إرسال و تأويل الخطابات في ظل تحقق الكفاءات التواصلية و اللغوية للمتكلمين،فالتداولية انطلاقا من هذا الاعتبار هي كما تعرفها **ماري ديير**(Marie Diller)،**وفرانسوا ريكانتي**(Francois Récanati)**:**« دراسة اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها التخاطبية »[5]، وعليه يمكن تسجيل النقاط التالية :

- التداولية علم يهتم بدراسة اللغة الإنسانية في الاستعمال.
- تسعى التداولية إلى الكشف عن المقدرة الانجازية التي تحققها العبارة اللغوية .
- التداولية بحث في الدلالات التي تفيدها اللغة في الاستعمال[6].

و يرى **فرانسيس جاك** (Francis Jaques) أن كل هذه المفاهيم تتجلى في التداولية،إذ تتطرق « إلى اللغة كظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية معا»[7].

---

(1) راضية خفيف ، التداولية و تحليل الخطاب الأدبي، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ع 399 ، تموز 2004 ، ص 56 ، الموقع :http://www.awu-dam.org ، تاريخ الاطلاع على المقال : 2011/7/8، سا: 17:06.
(2) فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر : صابر الحباشة ، ص 18 .
(3) محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 14.
(4) المرجع نفسه ، ص 271 .
(5) فرانسوا أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، ص 8 .
(6) عبد الحليم بن عيسى ، المرجعية اللغوية للنظرية التداولية ، ص 11.
(7) فرانسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، ص08 .

كما يعرفها **الجيلالي دلاش** بأنها«تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للدلالة اللغوية في صلب أحاديثهم و خطاباتهم،كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات و الأحاديث»(1).

فالأولى أن يتوفر في المتكلمين شرطا الكفاءة اللغوية و الكفاءة التواصلية(التداولية) لإتمام فعل التواصل ، فالكفاءة اللغوية « تستمد وجودها من وجود قواعد و أنظمة لغوية معينة ، بمختلف مستوياتها الصوتية و التركيبية و الدلالية»(2) .

هذا المفهوم التشومسكي اصطلح عليه **ابن خلدون** قبلا بالمَلَكَة،يقول: « اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة،إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني و جودتها و قصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها،وليس ذلك بالنظر إلى المفردات،وإنما هو بالنظر إلى التراكيب،فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ،و مراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال،بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع »(3).

وأما الكفاءة التواصلية فهي« المعرفة بالقواعد النفسية و الثقافية و الاجتماعية،التي تتحكم في استعمال الكلام في إطار مجتمع معين »(4)، فعلى المتكلم أن يدرك بنية المجتمع الفكرية، كما عليه أن يدرك دور هده البنية في صياغة قواعد تتحكم في استعمال الكلام.

ويرى **بيار بورديو** (Pierre Bourdieu) أن الكفاءة التواصلية هي« قدرة المتكلم على معرفة متى و كيف يستعمل اللغة،ومعرفة ما يجب قوله في ظروف معينة ،و متى يجب عليه السكوت،ومتى يجب عليه الكلام، إنها المعارف التي تزداد على الكفاية اللغوية الصرفة، المتمثلة في ثراء الرصيد المعجمي عند مستعمل اللغة، و تمكنه من قواعد لغته، و السيطرة على المعاني ووضوح خطابه »(5).

إنَّ مفهوم الكفاية التواصلية عند الغربيين يلتقي و مفهوم البلاغة عند **الجاحظ**،إذ «هي اسم جامع لمعان كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ، منها ما يكون في الإشارة ، و منها ما يكون في الاحتجاج، و منها ما يكون جوابا ،و منها ما يكون ابتداء»(6).

مما سلف يمكن الإقرار بأن الكفاية التداولية نسق مكون من خمس ملكات على الأقل، هي:

Ã الملكة اللغوية : حيث يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن ينتج و يؤول عبارات لغوية ذات بنيات متنوعة جدا، و معقدة جدا ، إنتاجا و تأويلا صحيحين ، في عدد من المواقف التواصلية المختلفة .

---

(1) الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 1 .
(2) هادي نهر ، الكفايات التواصلية و الاتصالية ، دراسات في اللغة و الإعلام ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ط1 ، 2003 ، ص 88 .
(3) ابن خلدون ، المقدمة من كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح : علي عبد الواحد وافي ، مكتبة الأسرة ، دط ، 2006 ، 1140/3 .
(4) هادي نهر ، الكفايات التواصلية و الاتصالية ، ص88 .
(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) الجاحظ ، البيان و التبيين ، تحقيق و شرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، دط ، دت ، 1/ 116 .

Ã **الملكة المنطقية**:بإمكان مستعمل اللغة الطبيعية على اعتباره مزودا بمعارف معينة أن يشتق معارف أخرى،بواسطة قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي،والمنطق الاحتمالي .

Ã **الملكة المعرفية**: و ذلك بتكوين رصيد من المعارف المنظمة ، واشتقاق معارف من العبارات اللغوية ، و تخزينها، و استحضارها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية.

Ã **الملكة الإدراكية**: تتأتى بادراك المحيط و اشتقاق معارف منه،و استعمالها في إنتاج العبارات اللغوية وتأويلها.

Ã **الملكة الاجتماعية**:حيث لا يكتفي مستعمل اللغة الطبيعية بمعرفة ما يقوله فحسب؛ بل لا بد من معرفة كيف يقول ذلك لمخاطب معين في موقف تواصلي،معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة [1].

انطلاقا من هذا التقسيم للكفاءة التواصلية يبدو أنه من الصعب تحديد مجال تخصص التداولية و تعيين موضوعها ،لكونها«لا تعد علما لغويا محضا - بالمعنى التقليدي - علما يكتفي بوصف و تفسير البنى اللغوية،ويتوقف عند حدودها و أشكالها الظاهرة،ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال،ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي و تفسيره،وعليه فإن الحديث عن التداولية وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي الإشارة إلى العلاقات بينها و بين الحقول المختلفة ؛ لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية ، وقواعد التخاطب،والاستدلالات التداولية ، و العمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج و الفهم اللغويين، و علاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال...»[2].

فالتداولية إذن تقع في مفترق الطرق بين علوم أو حقول معرفية عدة،مما صعب الأمر على الدارسين لتوحيد مفهومها،ومن تلك الحقول:

Ã **علم الدلالة** (Sémantique):و تشارك التداولية في دراسة المعنى على خلاف في العناية ببعض مستوياته.

Ã **علم اللغة الاجتماعي**(Sociolinguistique):يلتقي و التداولية في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث،والموضوع الذي يدور حوله الكلام ،ومرتبة المتحاورين ،وأثر السياق .

Ã **علم اللغة النفسي**(Psycholinguistique): ويلتقي مع التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين ، التي لها أثر كبير في أدائهم ، مثل الانتباه و الذاكرة و الشخصية .

Ã **تحليل الخطاب** (L’analyse du discourse):يشارك التداولية في تحليل الحوار،ووضع مبادئه،وكذا تحليل الأفعال الكلامية [3].

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص57 .

(2) مسعود صحراوي ، التداولية عند العرب ، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، ص 16.

(3) محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 10، 11.

وكان من نتائج هذا التداخل المعرفي الحاصل بين التداولية وغيرها من العلوم تعدد الترجمات،إذ ورد مصطلح التداولية [1]بصيغ عدة منها :التبادلية،والاتصالية،و النفعية، إلى جانب الذرائعية [2].

وأضاف إليه بعضهم السياقية[3]،والمواقفية، والمقامية[4]و علم المقاصد[5]،هذا الأخير (القصد) يعد من المفاهيم المرتبطة بالمتكلم،والتي تؤخذ بعين الاعتبار في الدرس التداولي،كما نجد لها صدى في التراث البلاغي و الأصولي و سنقوم بتوضيحه في فصول لاحقة .

كذلك يشير العلماء لتوجهات التداولية ،فيرى **جون ديبوا** (J dubois)أن التداولية كانت في البدء تعنى بخصائص استعمال اللغة،أي الدوافع النفسية للمتكلمين،وردود أفعال المستقبلين،والنماذج الاجتماعية للخطاب،و ذلك بمراعاة الخصائص التركيبية الدلالية، ثم تحولت مع أوستين إلى دراسة أفعال اللغة،إلى أن امتدت و اتسعت لتشمل نماذج الاستعمال،والتلفظ وشروط الصحة و التحليل الحواري [6].

وقد اعتمد البحاثة الكثير من المصطلحات،التي هي في حقيقتها تكرس الفوضى المصطلحية و لا تخدم الدرس اللغوي العربي ، لذا يبقى المصطلح الأكثر استعمالا و اطرادا في المغرب العربي بالذات هو مصطلح التداولية، وهو ما سيأخذ به هذا البحث .

هذا و قد انتقلت التداولية بمفاهيمها الغربية للفكر العربي المعاصر،وكان أول من استعمل هذا المصطلح **طه عبد الرحمن**[7]أستاذ المنطق و فلسفة اللغة بجامعة محمد الخامس بالرباط.

يقول:«وقد وقع اختيارنا منذ سنة 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)؛لأنه يوفي المطلوب حقه؛باعتبار دلالته على معنيي الاستعمال و التفاعل معا،ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين،الذي أخذوا يدرجونه في أبحاثهم »[8].

---

(1) يستخدم الباحثون مصطلحات عديدة لترجمة التداولية ، منها : الذرائعية ، و هو ما قدمه حامد أبو أحمد في ترجمته لكتاب:نظرية اللغة الأدبية لــــــــــــــ : خوسيه ماريا بوثويلو ايفانكوس ، مكتبة غريب ، القاهرة ، دط ، دت ،ص88 ،و يسميها محمد محمد يونس علي بــــــــ : علم التخاطب في كتابه المعنون:مقدمة في علم التخاطب الإسلامي _ دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص ، و نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 165 ، و فان دايك ،علم النص ، مدخل متداخل الاختصاصات ، تر : سعيد حسن بحيري ،دار القاهرة للكتاب ،القاهرة ، ط1،2001، ص 114.

(2) سعد البازعي و ميجان الرويلي ، دليل الناقد الأدبي ، ص167 .

(3) فقد صرح ماكس بلاك " Max blak " أنه يجب أن تسمى بهذا المصطلح ، أنظر : علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري ، من البنية إلى القراءة ، ص 57 .

(4) أنظر : ج براون و ج بول ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي و منير التريكي ، ص 342 .

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) نعمان بوقرة ، المدارس اللسانية المعاصرة ، ص 165 .

(7) للباحث نظرات هامة في شأن تكامل العلوم ، و تناسقها ، و تداخلها ، و قد استدل بآراء كل من الغزالي و ابن حزم في أن العلوم متعاونة و مترابطة و متعلق بعضها ببعض ، فعلم النفس المعرفي الذهني مثلا كان ميدانا لتلاقح عدة تخصصات :كعلم النفس ، و علم اللسانيات ، و الفلسفة ، و علم الاجتماع ، و علم النفس الاجتماعي... فجميعها تتحرك داخل دائرة تكاملية واحدة.و قد كان مجال اشتغال الباحث هو التراث الإسلامي العربي ، فبحث في آليات إنتاج النص التراثي ، منطلقا من مسلمة منهجية و هي « أن المجال التداولي الإسلامي العربي ينبني على أصول عقدية و لغوية تضبط قواعد تقوم بوظائف مخصوصة ، و تؤدي مخالفتها إلى آفات تداولية ، تختلف درجة ضررها باختلاف أنواع هذه القواعد و عددها » أنظر: محمد همام ، نظرية تكامل العلوم ، مجلة جذور ، ربيع الآخر 1425 ه ، يونيو 2004 ، ص223 .

وانطلق الباحث في كل ما سبق من فكرة أساسية مفادها أن الخطاب« لغة تبليغية تدليلية توجيهية »[1]، كما جعل التداولية فرعا ثالثا من فروع اللسانيات،بوصفها دراسة تجمع بين الدوال،ومدلولاتها،والدالين عليها،كما تشمل أعراض الكلام ،ومقاصد المتكلمين،وقواعد التخاطب .

كذلك بحث العلماء العرب في مجال التداول،سيما في أصول الفقه [2] ،و النحو و البلاغة ، هذه الأخيرة بوصفها « فن القول»[3]: فالفن،هو كل ما يرتبط بالذوق و الاستخدام الشخصي للغة؛أي أنه يقابل أثار المتكلمين على كلامهم ،وكيف يمكن للمتكلم أن يعدل من موقف سامعه،و هو مجال التداولية الأوسع،الذي حدده موريس في دراسة العلامات و علاقتها بمستعمليها.

وأما القول فيشمل الأداء الفعلي للغة،ولذلك لم يفرق بعض الدارسين المحدثين بين البلاغة و التداولية،حيث يرى **ليتش** (Litch) في سياق حديثه عن البلاغة أنها تداولية في صميمها[4].

نستنتج من هذا التعريف أن البلاغة العربية هي استعمال و أداء للغة من طرف المتكلمين،بغية التأثير في بعضهم، و في هذا تشترك مع التداولية؛بل أكثر من ذلك يرى محمد العمري أنه تم إعادة الاعتبار للبلاغة العربية في الدراسات السيميائية الحديثة تحت عنوان جديد " التداولية "[5].

كذلك عرفت البلاغة بأنها فن الإقناع؛أي الاهتمام ببنية القول للوصول إلى النتائج المتوخاة منها،والبلاغة هي الإبلاغ أو التوصل إلى موضوع الاتصال،يقول أبو هلال العسكري« البلاغة كل ما تبلغ به من المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه لتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة و معرض حسن»[6].

ويمثل البيان المحور الرئيس للجمع بين المجالين البلاغي و التداولي،حيث استقطب اهتمام الباحثين،خاصة و أنه أضحى يشكل المعادل الموضوعي لعلاقة اللغة بالمتكلمين في السياقات المختلفة.

والبيان عند **الجاحظ** « اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى... حتى يفضي السامع إلى حقيقته ، و يهجم على محصوله...لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع؛إنما هو الفهم و

---

(2)طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء،بيروت،ط3،2007، ص 28 .

(1)المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

(2) بحث الأصوليون في ماهية البيان و أركانه و أقسامه و حدوده اللغوية بتأثر من علمي الكلام و أصول الفقه ، فجعلوه مرادفا للفصاحة ، التي تعني الإظهار ، و المراد به إظهار الحق بالقرآن ، و هنا يتجلى الفعل الكلامي الانجازي الممثل في وظيفة النبوة المرسلة بالتعاليم الإلهية للمخاطبين . كما تحدثوا عن السياق ، و هو مبحث خصب لاستنباط الأحكام الشرعية ، و استنتجوا القرائن التابعة له لفظية كانت أو عقلية أو حالية ، كذلك بحثوا في كيفيات تلقي المكلفين للأقوال الإلهية ، و في انجازهم لها .كما أدركوا أهمية المقام في فهم خصوصيات المقال . أنظر في مؤلفاتهم : كشاف اصطلاح الفنون للتهانوي ، و الأصول للسرخسي ، و التعريفات للشريف الجرجاني ، و المستصفى للغزالي ، و الإحكام في أصول الأحكام للآمدي و غيرهم . كذلك تطرقوا إلى مفهوم "الاقتضاء" ، و هو من أهم المفاهيم التداولية المعاصرة ، التي ترى فيه تعبيرا عن قدرة المتكلم على أن يفهم أكثر مما يعلن عنه بالمعنى الحقيقي للألفاظ المستعمل. ، عادل فاخوري ، الاقتضاء في التداول اللساني ، عالم الفكر ،ع3، 1986، ص 141. و للتوسع في مفهوم الاقتضاء طالع : جورج لايكوف ، اللسانيات و منطق اللغة الطبيعي ، تر: عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق، 2008، ص 57.

(3) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مكتبة لبنان ، ط1 ، 1984 ، ص142 .

(4) خليفة بوجادي ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، ط1 ، 2009 ، ص 155 .

(5) محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها و امتداداتها ، إفريقيا الشرق ، دط ، 1999 ، ص 294 .

(6) أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين (الكتابة و الشعر) ، تح : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، دت ، ص 19 .

الإفهام،فبأي شيء بلغت الإفهام،وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع »[1]،فتبليغ السامع القصد و تمرير الرسالة هي وظيفة المتكلم،الساعي إلى إظهار الخفي و توضيحه بكل ما أوتي من فصاحة وبلاغة،لتحقيق الفهم،إذ« أنها تنهي إلى قلب السامع فيفهمه»[2].

ويقترب مفهوم البيان في بعده التبليغي من الغرض التداولي للخطاب التواصلي،إذ تكمن الخاصية الأساسية للبيان في تحقيق التواصل العالي،و الإفادة بين المخاطب و المخَاطَب[3].

و**للجاحظ** نص هام يحيل إلى أسس العملية التواصلية،يشتمل على ما جاء به جاكبسون،وفان دايك، و موريس، و أوستين و غيرهم في إطار اللسانيات المعاصرة.

يقول:«...المعاني القائمة في صدور المتكلمين،المتصورة في أذهانهم ، و المختلجة في نفوسهم ،و المتصلة بخواطرهم ،والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية ،و بعيدة وحشية،و محجوبة مكنونة ،و موجودة في معنى معدومة، لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه،و لاحاجة أخيه و خلطه ،ولا معنى شريكه و المعين له على أموره،وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره ؛و إنما يحي تلك المعاني ذكرهم لها،و إخبارهم عنها ،واستعمالهم إياها ،وهذه الخصال هي التي تقرها من الفهم،و تجليها للعقل،و تجعل الخفي منها ظاهرا ، و الغائب شاهدا ، و البعيد قريبا،و هي التي تخلص الملتبس،و تحل المنعقد،و تجعل المهمل مقيدا،و القيد مطلقا،والمجهول معروفا،والوحشي مألوفا،والغفل موسوما ،و الموسوم معلوما،و على قدر وضوح الدلالة،وصواب الإشارة ،وحسن الاختصار،و دقة المدخل،يكون إظهار المعنى .وكلما كانت الدلالة أوضح و أفصح كانت الإشارة أبين و أنور، كان أنفع و أنجح، و الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان »[4]، فالمعـــــــــــــاني المستورة والخفية لا يتم التعرف عليها إلا بالاستعمال،وكذلك بالإخبار عنها؛ أي بالإبانة و البيان و الإفهام، الذي هو مطلب أساسي للإقناع و التأثير.

كما تحدث الجاحظ عن العلاقة الكائنة بين العلامات و منشئها و مستعمليها،وفي هذا الصدد تتجلى العلاقة بين علم العلامات(السيميولوجيا)والتداولية،يقول:« أصناف الدلالات على المعاني من لفظ،و غير لفظ ،خمسة أشياء ، لا تنقص ولا تزيد، أولها اللفظ،ثم الإشارة، ثم العقد ، ثم الخط،ثم الحال،التي تسمى نصبة،و النصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف،و لا تقصر عن تلك الدلالات...»[5]،و يبدو من هذا النص أن الجاحظ كان دقيقا في تمييز هذه الأدلة من بعضها،في ضوء أهمية و شيوع كل صنف في الحياة التواصلية الإنسانية،وهو كما يظهر تصور تداولي بحت.

---

(1) الجاحظ ، البيان و التبيين ،1/ 42،43 .
(2) أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين ، ص15.
(3) محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها و امتداداتها ، ص 191.
(4) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 1/ 35 .
(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

والشأن نفسه بالنسبة **للسكاكي**،فقد بدت ملامح التداولية عنده من خلال توصيفه لعناصر العملية التواصلية ، وربطها بمقتضى الحال،لأن وضعية المتلقي و أحواله تساهم مساهمة فعالة في فهم المقصد فهما جيدا،و تحدد أيضا نوعية الكلام المرسل من المتكلم،لأن المتلقي سيكون خالي الذهن،أو مترددا في الحكم ، أو منكرا له.وقد يخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر فيجعل غير السائل _ و هو خالي الذهن _كالسائل،وقد يجعل غير المنكر كالمنكر،و قد يجعل المنكر كغير المنكر [(1)].و يكشف لنا نص السكاكي عن أوضاع غير لسانية تؤطر الفعل التبليغي و عملية التلقي،وهي أوضاع نفسية و ذهنية في الأساس.

كذلك كانت لنظرية الأفعال الكلامية نصيب من اجتهادات **السكاكي**؛ إذ اهتم بالأساليب الإنشائية،من حيث البنية و الدلالة و الغرض،ولأن بلاغته تجمع بين النحو و المنطق و الشعر عُدَّ السكاكي أنموذجا عربيا متميزا، يمكن أن تكون آراؤه أساسا نظريا للسانيات تداولية عربية بعامة ،و لنظرية الأفعال الكلامية بخاصة [(2)].

ويعد **ابن خلدون** الأنموذج المغربي الأمثل لدراسة التصور التداولي العربي،إذ نظر إلى الغـــــــــــــــــــــــــاية من دراسة الأدب ، و تحدث عن اكتساب الملكة اللسانية(اللغة)، ليؤكد أن وظيفتها الإبانة و الإفهام،يقول:«اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة ،إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني و جودتها و قصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها،وليس ذلك بالنظر إلى المفردات،و إنما هو بالنظر إلى التراكيب، فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة،ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال،بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصودة للسامع ،وهذا هو معنى البلاغة»[(3)].

و نلخص أهم المقولات التداولية الواردة في نص ابن خلدون في النقاط التالية :

- ✖الملكة اللغوية .
- ✖الجودة و القصور .
- ✖التعبير عن المعاني المقصودة.
- ✖مراعاة التأليف.
- ✖مراعاة مقتضى الحال.
- ✖ التبليغ .
- ✖الغاية من إفادة المقصود للسامع
- ✖البلاغة.

وهي مقولات أعيدت صياغتها في التداولية المعاصرة بمفاهيم مثل:الآداء،الكفاءة، المقاصد ، التركيب ، السياق، المتلقي، الابلاغية و غيرها.

ولنعد إلى فكرة مراعاة المقام و مقتضى الحال؛إذ ربط **صلاح فضل** بين مفهوم التداولية،بوصفها العلم الذي يعنى بالعلاقة بين النص و عناصر الموقف التواصلي،و بين فكرة مقتضى الحال،يقول:«ويأتي مفهوم

---

(1) أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ضبط و شرح و تعليق : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2،1987، ص70 .
(2) محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها و امتداداتها ، ص 27 .
(3) ابن خلدون ، المقدمة ، تح : علي عبد الواحد وافي ، 3/ 1140 .

التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال، و هي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية :لكل مقام مقال»[1].

هذه الفكرة الهامة يراعى فيها السياق و الغاية و بيان صاحب الحال متكلما أو سامعا أو هما معا ، و بنية المحادثة و فائدتها،يقول العسكري «و إذا كان موضوع الكلام على الإفهام فالواجب أن تقسم طبقات الكلام على طبقات الناس ،فيخاطب السوقي بكلام السوقة،والبدوي بكلام البدو،ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى مالا يعرفه،فتذهب فائدة الكلام ،و تنعدم منفعة الخطاب»[2].

كذلك ينوه **السكــــــاكي** إلى وجوب الالتفات إلى مقام التخاطب ، و مقامـــــــات المتخاطبين ، و أغراض الخطـــــــــــــاب و مقاصده،يقول :« فمقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار،ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار،وكل ذلك معلوم لكل لبيب.وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي،وكل ذلك مقتضى غير الآخر»[3].

و لم يقتصر البلاغيون على وضع المقام في إطار خارجي؛بل تحدثوا عن مقام التركيب فقالوا :" إن لكل كلمة مع صاحبتها مقاما "، فيما أسموه المعنى المقالي .

ولاهتمام اللسانيين التداوليين بالمقام سميت التداولية بالمقامية،وحللوا النصوص تحليلا شاملا يجمع بين المكون اللغوي،الذي يتمثل في التراكيب أو الجمل التي ينطق بها المتكلم ،والمكون غير اللغوي الذي يتمثل في المصاحبات اللغوية أو الملامح شبه اللغوية المصاحبة لنطق المتكلم،مثل:النبر،والتنغيم،و الأداء الكلامي،والتعبيرات،والحركات الجسمية [4].

هذه المصاحبات هي ما يحدد قصد المتكلم بالرغم من تنوع مقامات الكلام« فلا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية،ومقام التهنئة يباين مقام التعزية،ومقام المدح يباين مقام الذم،ومقام الجد يباين مقام الهزل،ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار»[5].

نستنتج من كل ما سبق العلاقة بين التداولية وبين المقام و السياق جد وثيقة،ذلك أنها«تعنى بالشروط و القواعد اللازمة للملاءمة بين أفعال القول و مقتضيات المقامات الخاصة به ؛أي العلاقة بين النص و السياق،و يلاحظ باستمرار تلك العلاقة الوثيقة بين التداولية و الدلالة و النحو،حيث يجمع بينها مستوى السياق المباشر، مما يجعل التداولية قاسما مشتركا بين أبنية الاتصال النحوية و الدلالية و البلاغية » [6].

---

(1) صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، ص 26 .
(2) أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين ، ص39 .
(3) أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 73.
(4) كريم زكي حسام الدين ، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط3 ، 2001 ، ص 47 .
(5) أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 80.
(6) سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص ، المفاهيم و الاتجاهات ، ص 288 .

×درجات التداولية:

ويعود هذا الاصطلاح إلى الهولندي هانسون(Hanson)[1]،الذي كان أول من حاول التوحيد بين المكونات التداولية بطريقة نظامية،وذلك بتقسيم التداولية إلى ثلاث درجات متتالية،واختيار مصطلح الدرجات يوحي بفكرة العبور من درجة إلى درجة،لارتباط كل درجة بمظهر من مظاهر السياق، الذي يغتني كلما انتقلنا من درجة إلى درجة أعلى،و هذه الدرجات هي :

1_**تداولية من الدرجة الأولى:**وذلك بدراسة الرموز الاشارية ضمن سياق استعمالها،أي المخاطبين و محددات المكان و الزمان،إذ أنها« توجد في المعجم الذهني للمتكلمين دون ارتباطها بمدلول ثابت»[2]،وعليه يتحدد مرجعها في سياق التخاطب،لخلوها من أي معنى في ذاتها،ولذلك سميت مبهمات أو متحولات،لتغيرها تبعا للسياق الواردة فيه.

2_**تداولية من الدرجة الثانية :** تتضمن دراسة الأسلوب أو الطريقة التي يتم بها التعبير عن القضايا المتحدث فيها ، كما تدرس كيفية الانتقال بالدلالة من المستوى الصريح إلى المستوى الضمني (التلميحي)،وعلى كل يتم في هذه الدرجة دراسة: قوانين الخطاب،مبادئ المحادثة،الحجاج،الأقوال المتضمنة...والسياق في هذا المستوى موسع، لأنه لا يهتم بمظاهر المكان و الزمان، و إنما يتعداها إلى المعلومات و مجمل الاعتقادات التي يتقاسمها المتخاطبون.

2_**تداولية من الدرجة الثالثة:**وهي دراسة أفعال اللغة،و التي مفادها أن الأقوال المتلفظ بها ضمن وضعيات محددة لا تصف الحالة الراهنة للأشياء،بل إنها تنجز أفعالا سواء صريحة أو ضمنية،والسياق الاجتماعي في هذه الحالة يحدد لنا ما إذا كانت هده الأفعال تفيد الأمر أو النهي أو الاستفهام...إلخ.

كذلك تتأسس التداولية على مجموعة من المفاهيم،أصبحت مجالا للدرس اللغوي المعاصر،منها: مضمرات الخطاب، نظرية أفعال الكلام و نظرية الحجاج المشار إليهما سابقا ضمن درجات التداولية، و التي سيتم التطرق إليها في فصول لاحقة من هذا البحث.

×متضمنات القول Les implicites

وهو من أهم المفاهيم التداولية يتعلق « بجوانب ضمنية و خفية من قوانين الخطاب »[3]؛ إذ ينتخب المتكلم ما يسمى بالإستراتيجية التلميحية في صياغة خطابه و ذلك استجابة لدواع سياقية،وانطلاقا من قانون الإخبارية وقانون الشمولية يتحدد مقدار المعلومات التي على المتكلم أن يوفرها للمستمع،فللمتكلم مسوغاته التي تجعله يعدل عن استعمال الخطاب المباشر إلى خطاب التلميح،بدافع من عوامل معينة مثل:السياق المحيط،أو

---

(1) فرانسواز ارمينيكو ، المقاربة التداولية ، ص38 .
(2) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 79 .
(3) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص30 .

السلطة(مرتبة المستمع)،أو الأعراف الاجتماعية و الضوابط الأخلاقية الشرعية ، أو رغبة من المتكلم في التملص و التهرب من مسؤولية الخطاب، أو مراعاة للتأدب،وما إلى ذلك .

وبالمقابل فإن المستمع و انطلاقا من ميثاق التعاون المنعقد بينه و بين المتكلم،يسعى إلى الكشف عما وراء الضمني،من خلال عمليات ذهنية استنتاجية ، بالنظر إلى المعطيات اللغوية للأقوال،أو بالنظر إلى الأحوال المصاحبة للخطاب ، و يدخل ضمن متضمنـــــــــــــات القول بوصفه مفهوما تداوليا ، مظاهر عدة منها:الأفعال اللغوية غير المباشـــــــــــــرة ، و الافتراض المسبق،والقول المضمر.

×**الأفعال الكلامية غير المباشرة :** سيتم الحديث عنها في الفصل الثاني ضمن نظرية أفعال الكلام .

×**الافتراض المسبق :**

وتعرفه **أوركيوني** بأنه« تلك المعلومات التي لم يُفصَح عنها،فإنها و بطريقة آلية مدرجة في القول الذي يتضمنها أصلا،بغض النظر عن خصوصيته»[(1)]. ومن الممكن وصف الافتراضات المسبقة على أنها أفعال كلامية افتراضيةActes du parole prisupositionnels [(2)]،وهو ما يؤكده **ديكرو**، فهو مثل الإثبات،و الاستفهام،أو الأمر، لأنها تقوم بتعديل العلاقات بين الذوات المتخاطبة،تخلق الالزامات،و تؤسس الحقوق و الواجبات،و تُعيّن الأدوار ،وتكمن خصوصية الافتراض في الطريقة التي يفرض بها على المخاطب إطارا لاستمرار الخطاب : يجبره على الفعل،و كأن محتوى الافتراض حقيقة مؤكدة لا يمكن أن يعاد النظر فيها،و إذا وجد ربط ، فهذا الأخير لا يمكن من حيث المبدأ أن يؤدى إلا على مستوى المثبت ، و ليس على مستوى المفترض [(3)].

×**الأقوال المضمرة :** القول المضمر شكل آخر للضمنية،يستنتج من المعنى"الجانبي"، ومن السياق،بواسطة الأسلوب الخطابي "الاستدلال"، بالاستعانة بقوانين الخطاب،أهمها قانون الإخبار و قانون الشمولية[(4)].

ويتمثل الأسلوب الخطابي،الذي بواسطته نؤول ملفوظا يحتوي على الأقوال مضمرة أولا في ملاحظة:أنَّ هذا الملفوظ على مستوى المعنى الجانبي يخترق معيارا تواصليا في مستوى معناه الجانبي،وطبقا لمبدأ المشاركة نزعم أن المتكلم يقوم بهذا الاختراق لجعلنا نفهم أن المعيار قد احترم في مستوى آخر من المعنى،أو أنه لا يخترقه

---

(1)C.K.Orecchioni,L'implicite,p25

(2) ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، دار الأمل للطباعة و النشر و التوزيع ، دط ، دت ، ص124.

(3) أنظر: جون سيرفوني ، اللسانيات و التداولية ضمن كتابه : الملفوظية ، تر : ذهبية حمو الحاج ، ص 2.

(4) المرجع نفسه ، ص 3 .

إلا لاحترام معيار آخر أكثر أهمية . في كل الأحوال ما يثير التأويل ليس السؤال:ماذا يقول المخاطب؟؛ولكن السؤال: في السياق الحالي، لماذا يقول المتكلم ما يقوله ؟ [(1)].

وعلى كل يتحدد القول المضمر من خلال مجموعة من الاستنتاجات،يقوم بها المستمع «انطلاقا من الملكة البلاغية -التداولية– الموسوعية والمنطقية له»[(2)]،ومن الأحوال المصاحبة لسياق موضوع الخطاب، ودور المتكلم في إبرازه لهذا الموضوع.وبذلك يمكن تعريفه بأنه « كل المعلومات التي يحتويها الخطاب، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث » [(3)].

إن التزام المتخاطبين بهذه القوانين و القواعد ليس إجباريا،وقد صنف **براون لوفينسون**(Levinsen . B) «عددا من الاستراتيجيات، التي ينتج المرسل بها خطابه ليخرق بها قواعد مبدأ التعاون » [(4)] ،من قواعد: الكم،والكيف،والعلاقة ، و ذلك كالآتي:

Ã**خرق قاعدة الكم**:و تتمثل الاستراتيجيات التي يخرق بها المرسل هذه القاعدة في:التهوين ، المبالغة أو المغالاة، تحصيل الحاصل.

Ã**خرق قاعدة الكيف**:وتتمثل الاستراتيجيات التي يخرق بها المرسل هذه القاعدة: التناقضات (Contradiction)،والتهكم(Ironie)،والاستعارة(Métaphore)،والأسئلةالبلاغية (Questions rhétoriques).

Ãخرق قاعدة العلاقة :وتتمثل الاستراتيجيات التي يخرق بها المرسل هذه القاعدة : التلميحات(Hints) ، ذكر معلومات تمهيدية ، إفادة الاقتضاء (Présupose) .

---

(1) انظر: جون سيرفوني ، اللسانيات و التداولية ضمن كتابه : الملفوظية ، تر : ذهبية حمو الحاج ، ص 3 ،و ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، ص 124 .

(2) C.K.Orecchi oni, L'implicite ,p40

(3) Ibid ,p39

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 437.

الفصل الأول

إشكالية المقاربة التداولية للخطاب الأدبي

توطئة

- ✖الخطاب الأدبي خطاب تواصلي .
- ✖الخطاب الأدبي خطاب في سياق .
- ✖الخطاب الأدبي خطاب ذو مقاصد .
- ✖ الخطاب الأدبي خطاب حواري .
- ✖الخطاب الأدبي خطاب لغوي مخصوص .

توطئة :

إنَّ من المحاسن التي تحسب للتداولية أنَّها لم تقصر اهتمامها على مجال الدراسة اللغوية وتحليل الخطاب في مستوى الاستعمال العادي أو التواصلي؛بل وسعت مجال اهتمامها ليشمل تحليل الخطاب الأدبي،وذلك من خلال تطوير مفاهيمها النظرية و أدواتها التحليلية لتوائم هذا " الاستخدام المخصوص " للغة .

إلاَّ أنَّ التداولية كمنهج جديد لتحليل الخطاب الأدبي واجهت معارضات من مختلف المناهج الأخرى؛ البنيوية و الأسلوبية و غيرها،وذلك لانصرافها بادئ الأمر إلى تحليل الكلام في بعده التواصلي و الانجازي،ومن ناحية أخرى يغلب على الخطاب الأدبي أن قيمته في ذاته لا في وجوه استخدامه.وقد انتهت هذه المسألة عند الكثير من الدارسين إلى القول بأن « الرغبة في الوصل بين التحليل التداولي و اللغة الأدبية تمثل تحديا، و تفضي إلى ما يشبه المفارقة... و ذلك لأن التداولية تتعلق بتحليل اللغة العادية و دراسة الحياة اليومية ، أما الأدب فيستعمل خلافا لذلك خطابا تخييليا يحيل على الحياة المتخيلة »(1).

ولتجاوز هذا التعارض سعى التداوليون إلى محاولة التعديل في مفاهيم المنهج التداولي،وتطويعها لتلائم الخطابات الأدبية،وكذلك الوقوف على المعطيات اللسانية و البلاغية و الانطلاق منها في التحليل،كما سعى اتجاه آخر لتغيير النظرة السائدة إلى الأدب،على اعتبار أنه خطاب بلا مرجع و لا سياق .

كذلك عمد المهتمون بمجال التداولية إلى نقد المناهج السابقة ، بإكساب بعض المصطلحات النقدية و المفاهيم الأدبية التي أفرزتها مضامين و مدلولات جديدة ، أضافت إليها روحا مغايرة ؛ بل و أحيت مفاهيم كانت قد أقصيت : كالمؤلف ، و المتلقي ، و السياق ، و المرجع ، و الذاتية ، و التواصل ،و المقصدية ... على نحو يجعل المقاربة التداولية للأدب ممكنة بل ضرورية .

ولقد توصلت الأبحاث التداولية إلى إرساء مفاهيم جد هامة في مجال تحليل الخطاب الأدبي، لعل أهمها:

---

(1) Elfie Poulin, Approche Pragmatique de la Littérature, p 08

نقلا عن : مجلة كتابات الالكترونية ، المقاربة التداولية للخطاب الأدبي ، تاريخ صدور المقال : 10 /06 /2011 ، تاريخ الاطلاع عليه : 8 /7 /2011 ، سا: 56 : 17.

×الخطاب الأدبي خطاب تواصلي :

تضطلع اللغة بأداء وظيفة ربط جسور التواصل بين البشر،وهي في جوهرها نظام من الرموز الصوتية تختزنها أذهان الجماعة اللغوية،وتستعمل للتفاهم بينهم،ولتوصيل مقاصدهم كما ذكر **ابن جني** ذلك في حده للغة(1)، التي « هي الأداة العجيبة التي تميز النوع البشري عن الأنواع الحيوانية الأخرى »(2).

وقد أعطى **ابن جني** للغة سمة الجماعية،وهي من سمات التواصل،إذ لا تقوم اللغة إلا بتوفر ملق و متلق يتبادلون فيما بينهم الخبرات،ويبلغون أغراضهم،ذلك«أن الكلام غير مقصود في نفسه؛وإنما احتيج ليعبر الناس عن أغراضهم و يفهموا المعاني التي في نفوسهم »(3) .

فاللغة من هذا المنطلق لازمة الحضور مع الإنسان،فما يميزه منذ الأزل أنه « كان دليلا مستدلا »(4) فلم يكن للإنسان وسيلة يمارس بها خاصيته المميزة (الاستدلال) إلا البيان أو اللغة .وإذ ذاك « حد الإنسان : الحي الناطق المبين »(5)، و في ذلك تحديد لأطراف التواصل كلها : مبينا له،ومبينا عنه،ومبينا .

ويعرف **الجاحظ** البيان بقوله:«والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى...حتى يفضي السامع على حقيقته، و يهجم على محصوله ...لأن مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل و السامع،إنما هو الفهم و الإفهام »(6)،والجاحظ في موضع آخر اخرج التواصل من دائرته الضيقة من خلال تعلقه بالمنطوق فقط،فوسعه ليشمل « جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ و غير لفظ خمسة أشياء،لا تنقص و لا تزيد:أولها اللفظ،ثم الإشارة،ثم العقد، ثم الخط،ثم الحال التي تسمى نصبة »(7).

فالتواصل لا يقتصر على اللفظ فحسب،فقد يكون بالكتابة،أو بالإشارة و الإيماءة،أو بالعقد،أو بالنصبة،التي «هي الحال الناطقة بغير اللفظ،والمشيرة بغير اليد،وذلك ظاهر في خلق السموات و الأرض،وفي كل صامت و ناطق،و جامد و نام...فالصامت ناطق من جهة الدلالة،والعجماء معربة من جهة البرهان،ولذلك قال الأول:سل الأرض، فقل:من شق أنهارك،وغرس أشجارك،وجنى ثمارك،فإن لم تجبك حوارا ،أجابتك اعتبارا »(8).

وكلما كان الإنسان أقدر على التعامل مع اللغة...تعبيرا و استجابة،كان أكثر امتلاكا لما به الإنسان هو إنسان : كونه«حيوان فصيح»؛فبالفصاحة و ليس بمجرد « العقل» تتحدد ماهيته(9).

---

(1)ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، الخصائص، تح : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ،1952 ، 33/1 .
(2) جورج مونان ، اللسانيات و الترجمة ،تر: حسين بن زروق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2000، ص 53 .
(3)ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ،1982 ، ص221 .
(4)الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 3 ،1969 ، 70/1 .
(5) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 77/1 .
(6) المرجع نفسه ، 42/1 ، 43 .
(7)المرجع نفسه ، 76/1 .
(8) المرجع نفسه ، 81/1 .
(9) أنظر : محمد عابد الجابري ، تكوين العقل العربي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط2 ، 1985 ، ص75 .

كما يظهر مفهوم التواصل عند العلماء العرب من خلال حديثهم عن البلاغة،يقول **ابن سنـــــــان الخفاجي** :«يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء فهم الناطق،ولا الناطق من سوء فهم السامع »[(1)]،إذ يركز على الوظيفة الافهامية للغة؛أي أنها فهم و إفهام بين المتكلم و المستمع،ومن ذلك تعريف **ابن المقفع** للبلاغة،يقول: «البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة،منها ما يكون في السكوت،ومنها ما يكون في الاستماع...و منها ما يكون خطبا »[(2)]،فيما يؤكد **السكاكي** على شرط حسن التركيب حتى تجري عملية التواصل على أحسن وجه،فالبلاغة عنده :« هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفيه خصائص التراكيب حقها »[(3)].

فيما ركز سيبويه على استقامة الكلام[(4)]حتى يصل المتكلم إلى ذهن المتلقي؛فالمستقيم الحسن يفهم بطريقة سهلة بسيطة من خلال حسن اللفظ واستقامة المعنى،أما المستقيم الكذب مستساغ من حيث حمله على المجاز،وأما المستقيم القبيح فإن السامع يصعب عليه فهمه؛لأن الألفاظ في غير موضعها،وأما المحال الكذب و المحال فينقطع فيهما التواصل لعدم استقامة الكلم،وهنا يبدو لنا اهتمام النحاة بالتواصل،فالغاية من اللغة إفهام السامع من خلال التعابير المستقيمة[(5)].

من خلال ما سبق يتضح أن الحديث عن التواصل في المدونات اللغوية و النقدية القديمة لم يرد كمفهوم مستقل ؛ بل اندرج ضمن تعاريف اللغة و البلاغة،وبالرغم من ذلك لم يغفلوا أيا من أطراف العملية التواصلية بدءا من قناة التواصل (اللغة أو ما يقوم مقامها)،ووصولا إلى الرسالة (الخبر المنقول)،والسياق (المقام أو ما سموه مقتضى الحال)،الشفرة (المواضعة)،بالإضافة طبعا إلى المتكلم و السامع .

---

(1)ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة ، ص 61 .

(2)الجاحظ ،البيان و التبيين ،1/ 115 ، 116 .

(3) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 415 .

(4) أولى سيبويه عناية كبيرة لعملية التخاطب في فهم الكلام المفيد ، و في إدراك لطائف التركيب اللغوي في العربية ، و استحضار البعد السياقي في تعليله للمسائل النحوية ، و ليس أدل على ذلك من تقسيمه للكلام من حيث الاستقامة و الإحالة ،فقد قسم الكلام إلى حسن و محال و مستقيم كذب و مستقيم قبيح و محال كذب ، انظر :أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، كتاب سيبويه تح : عبد السلام محمد بن هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط1 ، دت، 25/1 ، 26 ، و هذا التقسيم للكلام يستند إلى المتصورات التداولية التي تحتكم إلى السياق ، الذي يقرر استقامة الكلام أو إحالته ، كذبه أو قبحه ، وفق تقدير النسبة الواقعية أو العقلية بين الكلام و المرجع ، و بناء على ذلك يتم تداول اللغة و تبادل المعنى على مواضعات اجتماعية و ثقافية ، أحمد يوسف ، السيميائيات و التواصل ، علامات 24 ، 2005 ، محور العدد : التواصل الإنساني و أشكاله ص : موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net، ص 42،41 ، أنظر أيضا : المثال النحوي بين الدلالة الاجتماعية و القاعدة النحوية ،كتاب سيبويه أنموذجا ضمن كتاب : حسن خميس الملخ ، رؤى لسانية في نظرية النحو العربي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007 ، ص 139.

(5)أنظر ، مقبول إدريس ، البعد التداولي عند سيبويه ، ص245 .

هذا عن التواصل في المدونة العربية،أما الدراسات االمعاصرة فقد اهتمت بهذا المفهوم يشكل برز في مختلف التخصصات و الميادين . وقد بلور **شينون** و **ويفر** نظاما عاما للتواصل تظهر الطريقة التي ينتقل بها الخبر كما في الترسيمة الآتية(1):

مصدر الخبر ← الباث ——— ← الإشارة النهائية —— ← المتلقي—— ← الهدف

الإرسالية الإشارة المبثوثة الإرسالية

ويرى **مارتيني** أن الاتصال«إحدى وظائف اللغة...وهي الوسيلة التي تسمح لمستعمليها الدخـــــــــــــــــول في علاقات مع بعضهم بعض،وهي التي تضمن التفاهم المتبادل بينهم»(2)،إذ للغة وظائف متعددة الاتصال أهمها،نظرا لسماحه بإقامة علاقات متبادلة بين مستعملي اللغة .

وقد قسم **جاكبسون** وظائف اللغة إلى ست خانات«مرتبطة بوظائف محددة،فكل خانة تشير إلى وظيفة معينة، فالانفعال مرتبط بالمتكلم (الوظيفة الانفعالية)،أما المتلقي فقد يكون عرضة للزجر،والأمر،والنهي،والتوجيه (الوظيفة الافهامية)،أما الشعري فمثواه الإرسالية (الوظيفة الشعرية)،و يتحدد المرجعي من خلال الإحالة على السياق(الوظيفة المرجعية)،ويرتبط السنن باللغة الواصفة(الوظيفة الميتا لغوية)،وقد لا تتجاوز الواقعة الابلاغية حدود الحفاظ على حالة من التواصل من خلال التأكيد على أداة الاتصال (الوظيفة اللغوية)»(3).وتلكم هي الوظائف الست التي يشير إليها **جاكبسون** من خلال صياغة نموذجه التواصلي الآتي :

مرجعية (السياق)

انفعالية (المتكلم)..... شعرية (الرسالة)......افهامية (المتلقي)

لغوية (أداة التواصل)

ميتالغوية (السنن) (4) .

ويشير **روبول** (Robéole) إلى تزامن هذه الوظائف في الرسالة الواحدة ولكن الفرق يكمن في قوة حضور كل وظيفة ،وذلك حسب الخطاب نفسه.فيما« يستعرض (**ليتش**) الوظائف اللغوية من وجهة نظر وظيفية عند عدد من الباحثين من خلال مستويات متنوعة انطلاقا من أن النظرية الوظيفية تعد اللغة شكلا

---

(1) سعيد بنكراد ، استراتيجيات التواصل ، مجلة علامات،المغرب، ع21 ، 2004 ، محور العدد : استراتيجيات التواصل ، موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net، ص 08 ،وأيضا:عبد الله إبراهيم و آخرون ، معرفة الآخر ، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ، المركز الثقافي العربي ،ط2 ، 1996،ص 91.

(2) عبد الجليل مرتاض ، اللغة و التواصل ، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2003 ، ص 80 .

(3) سعيد بنكراد ، استراتيجيات التواصل ، مجلة علامات 21 ، ص 9 ، 10.

(4)المرجع نفسه، ص 10 .

اتصاليا يعمل في أنظمة اجتماعية كبرى،ليصبح كل ما يتعلق بالأهداف، و الخطط، و الافتراضات،والمقاصد،من صميم هذه النظرية »[1]،كما تنحصر وظائف استعمال اللغة عند **بوبر**(Popper) في أربعة وظائف،مرتبة من الأدنى إلى الأعلى هي:

1_الوظيفة التعبيرية (لتعبير الشخص عن حالاته الداخلية) .

2_الوظيفة الاشارية (لتبليغ الشخص المعلومات المتعلقة بحالاته الداخلية إلى الآخرين) .

3_الوظيفة الوصفية (لوصف الأشياء في المحيط الخارجي) .

4_الوظيفة الحجاجية (لتقييم الحجج و تبريرها)[2].

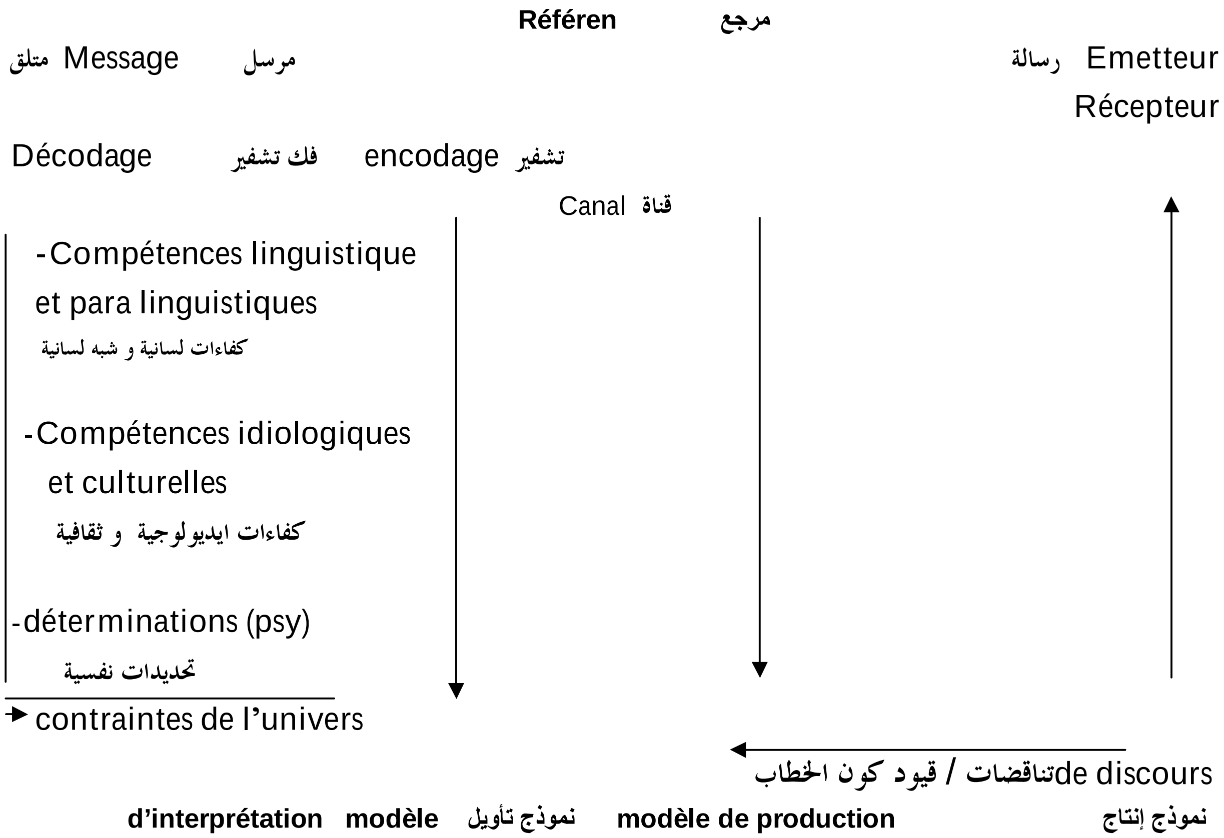
ويرى **بوبر** أن هذه الوظائف تكون هرما،بحيث ينطلق المتكلم أولا من التعبير عما في نفسه[3]،و توضيح حالاته الداخلية (التعبيرية)،ومن ذلك فهو يبلغ شخصا ما معلومات تتعلق بهذه الحالة (الاشارية)،على أن ذلك يرتبط بما في المحيط الخارجي،فيذهب واصفا إياه (الوصفية)في إطار خارجي به يقنع مستمعه(الحجاجية) ، وهكذا تؤدي اللغة عند (بوبر) الوظيفة المنوطة بها ، و هي الاتصال .

وقد أعادت **أوركيوني** تشكيل نموذج الاتصال الذي قدمه **جاكبسون** كالآتي :

(1)عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ص 14 .

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(3)و هي نفسها الوظيفة الانفعالية عند جاكبسون ، إذ يرى (روبول) أن التسمية الملائمة لها هي الوظيفة التعبيرية ، لأنَّ التعبير عن الذات ليس محصورا في الانفعال . أنظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص13 .



(1)

ووفقا لهذا المخطط يقوم طرفا الخطاب،الذي يمتزج فيه اللساني برموز تبحث هي الأخرى عن التأويل ،بفعل التواصل،مزودين بالكفاءات اللسانية و شبه اللسانية و الإيديولوجية الثقافية،إضافة إلى الوضع النفسي،بحيث يقوم المتكلم بالتشفير، الذي يقتضي بالضرورة فك التشفير الملقى على عاتق المتلقي،باعتبار أن« كل نص يمتلك هدفا صريحا أو مكنيا) يشتغل على تمظهرات و معتقدات و/أو سلوكات المتلقي (فردا أو جماعة)»[2].

ولأن موضوع الاتصال موضوع في غاية الأهمية فقد تعددت تعاريفه عند الباحثين المعاصرين،فقلما نجد تعريفا يضم جل عناصر العملية التواصلية،على أن (جون ديبوا) اقترح في معجم اللسانيات تعريفان نوردهما كالآتي:

(1) Catherine kerbrat orécchioni , De la subjectivité dans le langage ,p 17

نقلا عن : أحمد مداس ، المعينات و الموجهات في سيمياء التواصل من تشكيل الخطاب إلى تضاد العوالم ، الملتقى الدولي الخامس (السيمياء و النص الأدبي) ، ص03 .

(2) المرجع نفسه ، ص 04 .

×التواصل la communication تبادل كلامي بين المتكلم الذي ينتج ملفوظا أو قولا موجها نحو متكلم آخر يرغب في السماع أو إجابة واضحة أو ضمنية Explicite ou implicite ،وذلك تبعا لنموذج الملفوظ الذي أصدره المتكلم »[1].

×التواصل حدث، نبأ ينتقل من نقطة إلى نقطة أخرى، و نقل هذا النبأ يكون بواسطة مرسلة استقبلت عددا من الأشكال المكفوفة qui a été codé » [2].

ففي هذا التعريف ركز **جون ديبوا** و زملاؤه على جميع أقطاب العملية التواصلية من متكلم/ سامع/ رسالة/ قناة / شفرة ، و فيما يلي عرض لكل طرف على حدة:

1_ **المتكلم** : و يعد الطرف الأساس في عملية التواصل ذلك لأنه:

Ã المبتدئ لعملية التواصل .

Ãولأن حضوره يتطلب حضور العناصر الأخرى (الرسالة ، السامع ، المقام).

وتجدر الإشارة ،هنا،إلى أن صفتي التكلم و السمع صفتان لا تنفصلان،إذ لا يمكن أن يكون الفرد متكلما أبدا ، و لا مستمعا أبدا،وإنما يكون على إحدى الحالتين التاليتين :

Ã إما أنه كان مستمعا أولا ثم تكلم استجابة لطرف آخر .

Ã وإما أنه أصبح مستمعا بعد إلقائه الكلام و انتظار رد السامع الذي يتحول بدوره إلى متكلم،ولذلك كانت العرب ترى أن المتكلم الجيد هو المستمع الجيد،وهذا التصور هو ما تهتم به اللسانيات العصبية (Neurolinguistique) ؛ إذ تقرر أن ألياف الحركة في الجهاز العصبي تنقل الحوافز العصبية إلى العضلات المتحكمة في جهاز النطق من منطقة بروكا التي تتحكم في النشاط الحركي لأعضاء النطق ، كما ثبت أن ممارسة عملية الكلام تقتضي تعاونا بين مركز النشاط الحركي لأعضاء النطق و مركز السمع في المخ [3].

إن عملية التكلم،انطلاقا مما سلف،عملية جد معقدة[4]،إلا أن حدوثها باستمرار في حياة الإنسان جعله يراها بغاية اليسر و السهولة ،وعلى أي لا بد لكل متكلم مراعاة ما يلي :

Ã ضبط المعنى أو المعاني التي يريد تبليغها و ترتيبها ترتيبا مناسبا .

Ã اختيار القوالب اللفظية المناسبة لتلك المعاني .

Ã اعتبار طبيعة المقام و مراعاته .

Ã التنسيق بين عناصر التواصل : المتكلم ، السامع ، المقام ، الرسالة ، ...

---

(1) Jean Dubois et autres , dictionnaire de linguistique et des sciences du langage ,Larousse Bordas ,2éme édition , 1999, p 94

(2) Ibid. , p 94 ,95

(3)سعد عبد العزيز مصلوح ، دراسة السمع و الكلام ، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ،2000 ، ص 268 .

(4)للتوسع في الموضوع أنظر: عبد الرحمن أيوب ، تحليل عملية التكلم و بعض نتائجه التطبيقية ، عالم الفكر ، مج20 ، عدد 3 ،أكتوبر_ نوفمبر_ديسمبر1989 ، ص593 .

والمتكلم على هذا الأساس هو الذات الناطقة،أو بعبارة أخرى هو مستعمل اللغة المنطوقة في موقف تواصلي قصد إبلاغ المستمع رسالة ما ،وعليه يخرج من دائرة التكلم مستعمل الكتابة؛لأنها لغة صامتة،و يسمى مستعملها كاتبا ،كما لا يدخل مستعمل الإشارة سواء باليد أو بالوجه أو بالثوب أو بالآلة ؛إذ يسمى مشيرا ، كما لا يدخل فيه ناقل الكلام ؛ إذ ينحصر دوره في عقد الخبر، و بهذا لا يمكن أن يعد متكلما حقا ، و إنما يعرف باسم المرسل بينما المتكلم « ينشئ »[1]، و ما إطلاق مصطلح التكلم على كل تلك الحالات إلا من باب التجوز لا غير.

وفي كل تلك الحالات لا يمكن التغاضي عن أهمية القصد في تشكيل اللغة؛إذ به يتميز المتكلم عن المرسل ، فالمتكلم ذات تتوفر على مقصد أو مقاصد يبلغها بطريقة الإظهار و الإضمار،بينما المرسل يفتقر إلى القصد،كما أنه لا يستعمل إلا طريقة الإظهار[2].

ويعد المتكلم صاحب السلطة على اللغة يشكلها و يستعملها كيفما شاء، فاللغة خارج الممارسة و الاستعمال كبعض الأجسام؛لا هي ساكنة،ولا هي متحركة [3] ،كما« يحتل من نظرية...البلاغية منـــزلة مرموقة، فهو طرف أساسي في عملية الكلام،وعنصر فعال في تحديد خصائص النص،إذ على عاتقه تقع كلفة إخراجه على سمت يستجيب لمقتضيات الوظيفة والإبانة والمقام »[4].

وهو الذي يعمل الأعمال الدلالية التي تنقلب عند النحوي إلى مفاهيم نحوية، ويعمل الأعمال الدلالية التي تنقلب عند البلاغي إلى مفاهيم بلاغية معنوية أو مجازية أو بديعية[5] ،كما أنه « مدعو لتحقيق المناسبة المرجوة و حتى لا يخرج عن حد البلاغة إلى مراعاة الغرض الذي يسعى الحديث إلى تحقيقه، فلا يخلط بين أقدار الألفاظ وأقدار المعاني ، ولا يتصنع الجد حيث يجب الهزل[6].

وكذلك مطابقة الكلام لمقتضى الحال من عمل المتكلم فهو الذي يطلب منه أن يراعي المقامات وتفاوتها طبقا للقواعد والأصول الموضوعة«لأن تنـــزيل الكلام هذه المترلة يحتاج إلى إتمام الآلة وإحكام الصنعة »[7]،كما يحتاج إلى اقتناع المتكلم بأن «سياسة البلاغة أشد من البلاغة»[8].

---

(1)طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص258 .

(2)المرجع نفسه ، ص216 .

(3) أنظر : السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 470 .

(4)حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه و تطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) ، منشورات الجامعة التونسية المطبعة الرسمية ، دط،1981 ، ص 248 .

(5)أحمد العلوي ، الطبيعة والتمثال، ص 228 ، نقلا عن : رشيد بلحبيب ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، مجلة اللسان العربي ، الموقع : www.allesan.org تاريخ الاطلاع على المقال : 23/ 04 / 2011 ، سا : 08 : 07 ، ص 12 .

(6) حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص 211 .

(7) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 1/ 197 .

(8) و هو قول لسهل بن هارون كما ورد في البيان و التبيين ، الصفحة نفسها.

من خلال ما سبق يتوضح أن المخاطب إنما هو« الذات المحورية في إنتاج الخطاب ، لأنه هو الذي يتلفظ به من أجل التعبير عن مقاصد معينة،و بغرض تحقيق هدف معين ، و يجسد ذاته من خلال بناء خطابه باعتماده استراتيجية خطابية تمتد من مرحلة تحليل السياق ذهنيا و الاستعداد له ، بما في ذلك اختيار العلامة اللغوية الملائمة »(1).

وبالنسبة لكتاب **كليلة ودمنة** فإننا نكتشف من الوهلة الأولى أن مؤلفه هو نفسه المترجم **عبد الله بن المقفع** ، لكننا نصدم باعتراف هذا الأخير أن الكتاب إنما هو:

« مما وضعته علماء الهند من الأمثال و الأحاديث التي ألهموا أن يدخلوا فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذي أرادوا،و لم تزل العلماء من كل أمة و لسان يلتمسون أن يعقل عنهم،و يحتالون لذلك بصنوف الحيل،و يبتغون إخراج ما عندهم من العلل في إظهار ما لديهم من العلوم و الحكم حتى كان من تلك وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم و الطير،فاجتمع لهم بذلك خلال،أما هم فوجدوا منصرفا في القول و شعابا يأخذون منها ،ووجوها يسلكون فيها »(2).

إذن لا وجود لمخاطب واحد،وإنما عدة مخاطبين أو مرسلين إلا أنهم غير محددين لا زمانا و لا مكانا،لذلك فإننا سنعُد كلا من المترجم **ابن المقفع** و الفيلسوف **بيدبا** مرسلين لخطاب **كليلة ودمنة**،الأول منهما لترجمته الكتاب في ظل العصر الذي عاش فيه،وهو العصر العباسي تحت حكم الطاغية أبو جعفر المنصور ، و الثاني بيدبا الذي يجيب مخاطبه الملك دبشليم عن كل تساؤل يطرحه عليه ، فالمرسل أو المخاطب، ههنا ، هو الفيلسوف بيدبا ، ورد على لسانه : « **إن الملك دبشليم قد بسط لساني في أن أضع كتابا فيه ضروب الحكمة**»(3) ،

و لما مكث الملك بعد مناصحة بيدبا على حسن السيرة«**صرف همته إلى النظر في الكتب التي وضعتها فلاسفة الهند لآبائه و أجداده فوقع في نفسه أن يكون له أيضا كتاب مشروح ينسب إليه و تذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه و أجداده من قبله،فلما عزم على ذلك علم أنه لا يقوم إلا ببيدبا** »(4)على أن يكون« **كتابا بليغا تستفرغ فيع عقلك يكون ظاهره سياسة العامة و تأديبها على طاعة الملك ، و باطنه أخلاق الملـــــــوك و سياستها للرعية** »(5). وبالفعل تمَّ تأليف الكتاب كما ينبغي، وألقي في جو احتفالي مشهدي (Scénographie) ، و قد ورد في الكتاب:« **ثم نادى في أقاصي بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب،فلما كان ذلك اليوم أمر الملك أن ينصب لبيدبا سرير مثل سريره و كراسي لأبناء الملوك و العلماء** »(6).

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص45 .

(2)كليلة و دمنة ، ص55 .

(3)المصدر نفسه، ص32 .

(4) المصدر نفسه ،ص33

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص38 .

وعليه توفر أهم أقطاب العملية التواصلية وهو المرسل متمثلا في شخص الفيلسوف بيدبا ،و المتلقي الملك دبشليم و من حضر من الخواص و العوام في إطار الحوارية،وذلك من خلال تكرار بعض العبارات من قبيل:(حدثني عن ، قد سمعت ، أخبرني...).

أما عن احتمالية أن يكون ابن المقفع هو المرسل الفعلي أو المؤلف الحقيقي لخطاب **كليلة و دمنة** فلا يمكن الجزم بذلك ، سيما و أن كل الخطابات نسبت إلى الفيلسوف بيدبا، وبحسب **ليتش** و **شورت** (G.N.LEECH ET M.H. SHORT) لابد من الحديث هنا عن « كاتب ضمـــــــــــــــــني ، و قارئ ضمـــــــــــــــــــــني (مفترض) » وفق الشكل الآتي :[1]

كاتب ضمني (ابن المقفع) ⟵ قارئ ضمني (في العصر العباسي).

مخاطب مباشر (الفيلسوف بيدبا) ⟵ مستمع مباشر (الملك دبشليم).

2_السامع/القارئ :إن« السمع أبو الملكات اللسانية »[2]،ولذلك يحتل السامع المترلة نفسها التي يحتلها المتكلم في عملية التواصل،إذ هو المقصود من الخطاب،والذي من أجله أنشئ،وعملية السمع كما هي عملية الكلام جد معقدة،وتتم على مراحل متعددة،بداية من خروج الصوت من فم المتكلم و انتهاء برد الفعل،مرورا بالسماع و الإدراك و التأويل و التحليل و الفهم .

ولفهم الرســــــــــــــــــــالة الشفوية يستثمر المستمـــــــــــــــع أمورا غير المعلومات السمعية ،كأن يرتكز على معرفته بالمتكلـــــــــــــــم و حاله ، و قد يلجا إلى الدلالات البصرية من خلال مراقبة وجهه و سماته و حركاته ، إضافة إلى المهارات اللغوية والإدراكية و المعلومات المخزنة في الذاكرة،وكل ذلك يجعل من عملية السمع عملية معقدة متعددة الجوانب،تتشابك فيها العلاقات بين هذه العناصر،وتتضاعف كلما كان التواصل نوعيا،وعلى قدر من الأهمية،من حيث موضوعه،و من حيث لغته،ومن حيث تعلقه بالسامع .

كما يعد المخاطب (المستمع / المتلقي) قطبا آخر من أقطاب العملية التواصلية،فمراعاته ومراعاة مقامه وجلب انتباهه مما يؤثر في تركيب الجمل وحشر مكوناتها وفق ترتيب معين،كما أن عدم اعتبار المخاطب قد يؤدي إلى خلق حالة فيه معاكسة تماما لما كان المتكلم يروم فيه.

فمعرفة "أقدار المترلة" واجبة لأن« مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم،والحمل عليهم على أقدار منـــزلتهم »[3] ،وذلك من مهام المتكلم الذي يجب أن يبلغ من السامع مقصده و أولاها نشاط السامعين

(1) محمد خطابي ، لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام الخطاب ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،بيروت،ط2،2006، ص302.
(2) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق و شرح : علي عبد الواحد وافي ، 3/ 1129 .
(3) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 93/1 .

ووجودهم على هيئة جسدية وعقلية تسمح لهم بتمثل ما يقال لهم[4].

انطلاقا مما سبق لا يمكن الفصل بين طرفي الخطاب، المتكلم و السامع،لأنهما يشكلان بؤرة العملية التواصلية ، فهما اللذان ينقلان اللغة من مجال الموجود بالقوة إلى مجال الموجود بالفعل،وبذلك يشترط وجودهما في كل موقف تواصلي ،حتى و لو كان « أحدهما فاعل حقيقي و الآخر فاعل على وجه الإمكان »[1].

ولأهمية المتلقي و لقيمة الرسالة في خطاب **كليلة و دمنة** تفطن المرسل **الفيلسوف بيدبا** إلى تعدد المتلقين لهذا الخطاب الواحد،تبعا لقدرات و درجات استيعاب كل منهم، و انطلاقا من هذه الاحتمالية يفترض وجود ثلاثة أنماط من القراء أو المتلقين هم على التوالي :

أ_القارئ الهاوي :كالمحبين للهو ، و الأطفال الصغار ، ممن تستهويهم الحكاية الخرافية ، ورد في الكتاب :«**وأما الكتاب فجمع حكمة و لهوا ، فاختاره الحكماء لحكمته ، و الأغرار للهوه ...**»[2]، و قول بيدبـــــــــا «**وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض:أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من مسارعة أهل الهزل من الشبان إلى قراءته فتستمال به قلوبهم،لأن هذا هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات** »[3]فكثير من حكايات **كليلة و دمنة** تحمل ما تحمل من روح الدعابة التي بلا شك تتلاءم و عقلية السذج من الكبار و الصغار .

ب_القارئ المهتم أو المستهدف: وقصد به **ابن المقفع** متلق محدد هو الحاكم أو السلطان،وأدرجه ضمن التصنيف الثاني و الثالث يقول:«**و الثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ليكون أنسا لقلوب الملوك،و يكون حرصهم عليه أشد للنزهة في تلك الصور.و الثالث أن يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك و السوقة فيكثر بذلك انتساخه،ولا يبطل فيخلق على مرور الأيام ،ولينتفع بذلك المصور و الناسخ أبدا** »[4]،فمما لا شك فيه أن الكتاب موجه إلى الحكام بالدرجة الأولى على اعتبار أن المغزى من الكتاب برمته هو مغزى سياسي ، وذلك في الرغبة بإصلاح سياسة الملك ، و إرجاع الحكام إلى جادة الصواب .

ج_القارئ النموذجي:يقول:«**و الغرض الرابع وهو الأقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة**»[5]،وهذا الصنف من المتلقين لا بد أن يسير وفق إستراتيجية قرائية معينة،إذ يجب« **ينبغي أن يعرف الوجوه التي وضعت**

---

(4) حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص 210 .

(1)فان دايك ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، المغرب ، دط ، 2000 ، ص 258 .

(2) كليلة و دمنة ، ص56 ، الأغرار : السذج الغفل .

(3) كليلة و دمنة ، ص72.

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

له و الرموز التي رمزا فيعلم غرضه ظاهرا و باطنا...و ألا تكون غايته التصفح لتزاويقه...و أن يديم النظر من غير ضجر،ويلتمس جواهر معانيه»(6).

3_**الرسالة** Message :

و بها يتحقق التواصل بين الطرفين: المتكلم و السامع،إذ تمثل« الجانب الملموس في العملية التخاطبية ، حيث تتجسد عندها أفكار المرسل في صور سمعية لما يكون التخاطب شفهيا،و تبدو علامات خطية عندما تكون الرسالة مكتوبة »(1).

وعلى اعتبار أننا أمام رسالة أو نص سردي(Texte Narratif) متكامل **(كليلة و دمنة)**؛فإننا نسعى إلى استثمار ما ورد في الكتاب من عتبات أو موجهات نصية في تحليل هذا النص السردي،بالتركيز على كيفية ورودها، وكذا أوجهها ذات الطابع الإيحائي، وذلك بالوقوف على الوحدات أو الإشارات الدالة التي استثمرت في كليلة و دمنة كمشروع سردي مشحون بشحنات دلالية متعددة.

و يعد **العنوان** أولى العتبات النصية التي تواجه متلقي الكتاب، و المعروف أن العنوان و المتن الحكائي إنما يدخلان في علاقة تكاملية وترابطية ، الأول يعلن و الثاني يفسر ،إنه فعلا مفتاح النص الذي «يظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري و محفز للقراءة »(2) ، ولأننا أمام مشروع سردي قصدي فإن العنوان لم يأت عبثا ، وإنما انطلاقا من مقصدية ذاتية مقنعة ، فالسارد (ابن المقفع / الفيلسوف بيدبا) يتحرك بالمسرود ضمن وعي مسبق، العنوان ، و الحال هذه ، اختزال و تمثيل تام لما يريد المتكلم تبليغه .

و المتأمل للعنوان يحسب أن أحداث الكتاب تدور حول هذين البطلين :**كليلة و دمنة** ، و لكن يكتشف بتوغله إلى المتن أنهما لم يذكرا إلا في بابي : **الأسد** و الثور ، و **الفحص عن أمر دمنة** ،وإنما سمي الكتاب باسمهما من قبيل إطلاق الجزء على الكل.وبذلك قد يتعسر للمتلقي إيجاد تعليل لنسبة الكتاب ككل إلى هاتين الشخصيتين دون غيرها من الشخوص الحكائية الحيوانية ، إن نص **كليلة و دمنة** بتعبير ابن المقفع أشبه بالجوز الذي لن ينتفع منه إلى بعد تكسيره،يقول:« **من قرأ هذا الكتاب و لم يفهم ما فيه و لم يعلم غرضه ظاهرا و باطنا لم ينتفع ...كما لو أن رجلا قدم له جوز صحيح لم ينتفع به إلاَّ أن يكسره و يستخرج ما فيه** »(3).

---

(6) المصدر نفسه ، ص56-70.

(1) الطاهر بومزبر ، التواصل اللساني و الشعرية ، ص 27.

(2)رشيد بن مالك ، السيميائية بين النظرية و التطبيق ، مخطوط دكتوراه ، جامعة تلمسان ، ص162، نقلا عن : حسين فيلالي ، بنية السرد في رواية الزلزال ، الاسم /الصفة و الشبيه المتخفي ، مقاربة سيميائية .http://www.wattar.cv.dz .

(3) كليلة و دمنة ، ص58 .

ولأنَّ الشخصية بمثابة دليل(signe) له وجهان أحدهما دال(signifiant) ،والآخر مدلول(signifie) ،فإن شخصيتي **كليلة ودمنة** دوال لدلالات متناقضة تماما؛ الأولى ايجابية ، و الثانية سلبية، أو بتعبير آخر إن نص **كليلة و دمنة** إنما هو بناء دلاليّ قائم على الّثنائية الضّدية : **الخير(كليلة) و الشر (دمنة).**هذا عن العنوان الرئيسي ، أما العناوين المتفرعة عنه فإنها تحيل إلى قصص تطول وتتسع لتضم في جوانبها قصصًا أخرى متداخلة، إلى أن تصل في النهاية إلى حلقة متشابكة من القصص يفضي بعضها إلى بعض،لذا يمكن توصيف العلاقة التي تربط العنوان الرئيسي بالعناوين الفرعيّة، وبين هذه والعناوين و الأمثال بأنها **علاقة احتواء**، حيث نجد الأوّل يحتوي الثاني والثالث، والثاني يحتوي الثالث بدوره ، وهكذا إلى غاية انتهاء الكتاب **.**مع ارتباط كل عنوان رئيسي أو فرعي بسؤال جديد للملك دبشليم ، والذي على الفيلسوف بيدبا بوصفه السارد الإجابة عليه**.**

ندرك من خلال ما سبق أهمية العنوان في دراسة الخطاب الأدبي _السردي ، إذ يعد مفتاحا إجرائيا في التعامل مع النص في بعديه الدلالي و الرمزي ، كما يقوم العنوان بتأدية وظائف عدة يمكن حصرها تبعا لوظائف اللغة التي تحدث عنها جاكبسون ، وكذلك انطلاقا من مدونتنا **كليلة و دمنة** في النقاط الآتية :

×وظيفة الإعلان عن المحتوى : و تسمى كذلك **وظيفة** التخصيص و التحديد [1]، أو الوظيفة التّعيينية La Fonction de désignation وتسمى أيضًا وظيفة التّسمية، لأنّها تتكفّل بتسمية العمل وبالتّالي مباركته، وهي أكثر الوظائف شيوعًا وانتشارًا، بل لا يكاد يخلوُ منها أي عنوان، وهي تقترب من كونها اسمًا على مسمًى، لأنّها في أصلها تحديد لهوية النّص وتبدو إلزامية، ولكن دون أن تنفصل عن الوظائف الأخرى، لذلك كانت أولى الوظائف وأشهرها**.**

أما في مدونتنا وإن لم يحيل العنوان الرئيس في الكتاب**(كليلة و دمنة)**بشكل تام إلى جميع أبواب الكتاب و فصوله ، إلا أنه بمثابة النص المختصر ، أو بمثابة المسند إليه ، فيما يشكل الخطاب الحكائي مسندا بجميع أبعاده و أفكاره الأساسية **.**كما أنّ العناوين الفرعية في **كليلة و دمنة** إنما تعبّر عن محتوى الخطاب المندرج ضمنها**.**

ومثال ذلك في **كليلة و دمنة** [2]:

العنوان الرئيس :« **قد قالت العلماء : ليس من كل الأصوات تجب الهيبة** »

السؤال المحفز لفعل الحكي: « **قال الأسد : و ما مثل ذلك ؟** »

---

(1)الطيب بودربالة ، قراءة في كتاب "سيمياء العنوان" لبسام قطوس ،الملتقى الوطني الثاني "السيمياء و النص الأدبي"15-16، أفريل 2002، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، ص26.

(2) راجع الحكاية في كليلة و دمنة ، ص109 .

العنوان الفرعي :« **مثل الثعلب و الطبل** ».

وبطبيعة الحال فإن مضمون أو محتوى الحكاية متعلق بشكل كبير بالسؤال المطروح ،سواء من الملك ديشليم إلى الفيلسوف بيديا ، أو ما يقوم مقامهما من الشخوص الحكائية الحيوانية فيما بينها.

×**الوظيفة التواصلية** La Fonction du communication :وذلك سواء في العنوان الرئيس (كليلة و دمنة) أو في العناوين الفرعية ،فأما الأول و على الرغم من إحالته لبابين فقط من الكتاب إلا أنه شكل حافزا للمتلقي وشدَّه بطريقة آلية و بخطة تكتيكية منظمة و قصدية إلى إتمام القراءة ؛بل و أكثر من ذلك بروز عنصر التشويق و الفضول لدى المتلقي إلى ما هو آت من قصص و عبر وعلاقتها بالعنوان الرئيس و العنوان الفرعي .

كذلك لا يخفى علينا ما للسؤال الذي يستلزم انجاز الطلب ،و الذي يشكل كذلك افتتاحية كل حكاية من حكايات **كليلة و دمنة** من دور في الحفاظ على سيرورة العملية التواصلية ، و المتمثل مجملا في إحدى هذه الصيغ : «**اضرب لي مثلا** »و «**كيف كان ذلك؟** » و« **و ما مثل ذلك** ؟ ».

×**الوظيفة الاغرائية** La Fonction de ductive : **وهي نوع من الإشهار للنص** ،تدفع القارئ وتجذبه نحو النص لقراءته ، فالعنوان كالنواة التي يركّز فيها الكاتب مجمل نصه، ولكن هذه النواة تبقى ناقصة، مفتقرة إلى الكمال وتقف كتساؤل يحتاج إلى الإجابة ، هذه الإجابة هي النص.و في **كليلة و دمنة** فإننا نتساءل كمتلقين جدد لهذا المنتج السردي عن ماهية العنوان ، وما العلاقة بين طرفيه (كليلة- دمنة) ، و ما علاقة ذلك كله بالمتن أو الأحداث الواردة فيه، وأما بالولوج إلى عالم القص في **كليلة و دمنة** ، فإنَّ القارئ يتفاجأ بعناوين أخرى فرعية بالنسبة للعنوان الأول، بينما هي عناوية رئيسة بالنسبة لعناوين فرعية تندرج ضمنها ،وهكذا دواليك .

نخلص إلى أنّ الوظيفة الإغرائية تكاد تكون سمة عامة في معظم العناوين، فما دام المرسل يضع في الحسبان ذوق المتلقي ،إضافة إلى متطلبات الكتابة ، فإنّه يميل إلى أقرب العناوين إلى نفسية المتلقي ليستميله إلى نصه، رغبة منه في انتشار النّص، وتداوله.

×**الوظيفة الاحالية أو المرجعية** La Fonction référentielle :وقد تسمى **وظيفة الغرض** ، إذ يشكل العنوان في **كليلة و دمنة** بشكل عام إحالة ضمنية إلى موضوع الكتاب و مضمون ما احتوى عليه من قصص و عبر.

و يجدر التنبيه إلى أن هناك وظائف أخرى للعنوان لا تخرج هذه الوظائف التي ذكرناها ، بالإضافة إلى الوظيفة الإيديولوجية ، الوظيفة الإيحائية، الوظيفة التناصية، وظيفة الإحالة، وظيفة الاستحالة، وظيفة الحث،

الوظيفة التأسيسية ، الوظيفة الانفعالية ، الوظيفة الاختزالية ، الوظيفة التّكثيفية[1]، إلاّ أنّ وظائــف العنوان لا تقفُ عند هذا الحد ؛ بل تزيد عن ذلك ،كما نلمس تشابكها وتمازج بعضها ببعض.

وإلى جانب العنوان فقد حوى الكتاب **مقدمات** عدة لعلَّ أهمها تلك التي تحدث فيها ابن المقفع عن الغرض العام من وضع الكتاب،فضلا عن القيم الفكرية و التربوية الأخلاقية التي تزخم بها نصوص **كليلة ودمنة** ، مبينا للقارئ الطريق الأمثل لتحصيل الفائدة من الكتاب،يقول: « **يجب على قارئ هذا الكتاب أن يديم النظر من غير ضجر و يلتمس جواهر معانيه ،ولا يظن نتيجته إنما هي الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع بثور فينصرف بذلك عن الغرض المقصود** »[2]،فالغاية من الحكي بأكمله ليس إفهام المتلقي أنَّ حيوانا يتحدث إلى حيوان ، و إنما أرغم السياق الاجتماعي و السياسي بالخصوص مؤلف الكتاب انتخاب استراتيجية التلميح لتمرير الخطاب ، وسنعرف كيفية حصول ذلك في مواضع لاحقة من هذا الفصل .

4_القناة Canal:

وهي المسلك الذي تنتقل عبره المقاصد، فالجهازان الصوتي و السمعي مسئولان عن الرسائل في التواصل الشفوي ، فكل نقص أو خلل فيهما من شأنه أن يعيق العملية التواصلية،إذ سلامة الرسالة من سلامة القناة[1] .

ولقناة المشافهة وسائلها الاغرائية و التأثيرية في توجيه الخطاب،كما تمكن من رصد بعض الظواهر التي من شأنها أن توضح المعنى أو تغنيه« فالتواصل الشفاهي، وهو وحده الطبيعي،هو الحامل الوحيد لكامل المعنى الأصلي، إنه متعدد الطبقات لا يحفظ أي نظام في الكتابة أثره ،و إنما تظهره بجلاء ظاهرة أساسية واحدة : إنها أداء الصوت »[2].

ولا يخفى علينا ما للسامع من دور بالغ الأهمية في تفعيل العملية التواصلية الشفاهية ؛إذ يساهم في نجاحها من خلال إصغائه الجيد،ذلك أن «التواصل الجيد مبني على الإنصات الجيد »[3]،وكذلك من خلال تدخلاته لإعانة المتكلم لتوضيح مقصديته من حين لآخر،فإذا ما حدث و تشرد ذهنيا،وأعرض عن السمع الفعلي،واكتفى بالحضور الجسدي فمن حق المتكلم أن يعيده إلى جو التواصل بألفاظ من قبيل: انتبه،هلا سمعتني ، ركز معي ، ألا توافقني الرأي ...ذلك أن « نشاط القائل على قدر فهم السامع »[4].

---

(1) أنظر: الطيب بودربالة ، قراءة في كتاب "سيمياء العنوان" لبسام قطوس ،الملتقى الوطني الثاني "السيمياء و النص الأدبي" ، ص26.

(2) كليلة و دمنة ، ص70 .

(1) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، دط، 2000 ، ص 88 .

(2)كلود حجاج ، إنسان الكلام ، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية ، تر : رضوان ظاظا ، مراجعة : مصباح الصمد و بسام بركة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ،2003 ، ص 109 .

(3)جان كلود مارتان ، ما التواصل ؟ علامات 21 ، 2004، محور العدد : استراتيجيات التواصل ، ص49 ، موقع سعيد بنكراد www.saidbengrad.net.

(4)الجاحظ ، البيان و التبيين 2/ 58 .

وفي المقابل للسامع القدرة على التحكم في سير العملية التواصلية، طولا و قصرا ، بتشجيعاته ،بالانتباه و الإصغاء ،مع تحريك الرأس من حين لآخر دلالة على موافقة المتكلم (باختلاف الأمم)،فهذه المساهمات من شأنها أن تطيل التواصل ، أما التلفظ بأقوال معارضة أو السخرية أو الانسحاب من المجلس أو الإعراض عن السمع ، أو إظهار علامات التضيق و التشويش ، أو التأفف و إكثار الحركة المصطنعة و الاعتناء بالهندام و ما إلى ذلك ، فهي سلوكات من شأنها قطع التواصل ، و تقصير مدته[1].

ويعد اللفظ العنصر الأساس في التواصل الشفاهي[2]،واختياره ضروري لأنه ميزان الحكم على صاحبه،فيكون إما له،وإما عليه،و لهذا اهتم علماء العربية،ولا سيما البلاغيون به ،وأوردوا له شروطا للجودة،فلا بد أن يكون لتأليف اللفظة في السمع حسنا و مزية على غيرها.

و لئن كانت قناة المشافهة كذلك فلا يمكن بحال الاستغناء عن ، فالكتابة تنقل الذات الكاتبة عبر أزمنة مختلفة أزمنة القراءة حيث ترد في سياق مغاير جدا ،كما أن تلقي الرسالة المكتوبة هو نوع من «فك التشفير عن طريق العودة بها إلى إطارها المرجعي »[1]،فمتلقي النص المكتوب هو متلق كوني ، ذلك أن « الأصل في الخطاب أن يكون لمعين،وقد يخرج على غير معين ليفيد العموم »[2].

وعلى الرغم من أهمية الكتابة كعامل أساس في توثيق المكتوب و حفظه،إلا أننا ننظر إلى الخطاب كعامل يمد الخطاب بأبعاد تواصلية تداولية،فالشفوية تعني أن المتكلم و السامع يجمعهم مقام واحد[3]،أو« تعني وحدة العرف و الإطار المرجعي اللغوي بين المرسل و المتلقي،إذ يجمعهما عصر واحد و مكان واحد »[4].

---

(1)أنظر :مرتضى جواد باقر ، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، دار الشروق للنشر ، عمان ، الأردن ، ط1 ،2002 ، ص 28 .

(2)إن العيش في عالم الكلمة الذي يبدو أنه العالم الحقيقي لا يعني أن التواصل بأنماط السلوك الأخرى غير ذي قيمة تذكر ، فرُبَّ إشارة أبلغ من عبارة، فالخطاب يقول على مستوى اللفظ شيئا معينا ، في حين يتم على مستوى آخر إبلاغ أشياء لم تفصح عنها الكلمات . و قد أطلق توماس هال على التواصل باللغة غير اللفظية مصطلح (اللغة الصامتة) ، وهو كذلك عنوان مؤلفه الصادر عام 1959 بنيويورك ، توماس هال ، الثقافة و التواصل ، تر = أحمد الفوحي ، علامات 21 ، موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net، ص 19، وقد ورد مثله في قوله سبحانه و تعالى لزكريا: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾[سورة آل =عمران،آية 41] ، و لهذا نجد جاك لاكان يقرر بأن الرمز هو الذي يجعل من الحيوان الناطق إنسانا ، أحمد يوسف ، السيميائيات و التواصل ، علامات 24 ، ص 38 إذ في البدء كانت الإيماءة ، أنظر : جان كلود مارتان ، ما التواصل ؟ ، تر : س . ب ، علامات 21 ، ص44.

(1)عبد الجليل مرتاض ، الظاهر و المختفي ، طروحات جدلية في الإبداع و التلقي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2005 ، ص14 .

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القران ،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ط1 ،1972 ، 219/2 .
(2)

(3)لا يخفى علينا ما للمقام من دور في إبانة المعاني ؛يقول بيير شوفالي : « عندما نتكلم تكون نبرتنا انعكاسا لنوايانا » جان كلود مارتان،ما التواصل ؟ تر : س.ب ، علامات 21، ص : 46 . فالتنغيم على سبيل المثال لا الحصر سمة صوتية لا يمكن للكتابة نقله ، و إنما بالرجوع إلى المقام ، و هذا ليس بيسير في كل الحالات ، و التنغيم يقوم مقام الأدوات النحوية و هذا أمر لم ينتبه إليه المتقدمون فعمدوا إلى التقدير و القول بالحذف ، نحو القول بحذف حرف النداء في قوله تعالى:﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾[سورة يوسف، آية 29] ، و حرف الاستفهام في قول ابن أبي ربيعة : قالوا تحبها ؟قلت : بهرا ...و لعل مرد هذا الأمر إلى اعتماد الدارسين المكتوب و عدم الانتباه إلى الخصائص الصوتية ، مادام الأصل في اللغات الطبيعية اللفظ لا الخط . توماس هال ، الثقافة و التواصل ، تر : أحمد الحوفي ، علامات 21 ،ص24 (الهامش) ، كذلك تنوب علامات الترقيم و التنقيط في المكتوب عن النبر و التنغيم في المنطوق .

(4) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ص 52.

على خلاف الكتابة حيث يكون الواقع النفسي و المقامي للكاتب و متلقيه مختلفا تماما،وبالتالي يختلف الفهم من قارئ لآخر،ومن هذا المنطلق ليس هناك تواصل أنجح من التواصل الشفوي (المباشر)،ففي التواصل الشفاهي« ينظر إلى الاتصال الوجه بالوجه بوصفه أكثر الأدوات فعالية بالنسبة للناس،فيما يتعلق بعملية الإقناع و التأثير،لما يتميز به من قدرات و مرونة و عرض آني »(5)،عندها يتيقن السامع أنه المقصود وحده دون غيره بالخطاب« فقد لا تحمل الجمل في ذاتها أي دلالة، بينما تكون العلامات الأخرى أبلغ و أفصح »(6)، و إذ ذاك يزداد بذلك اهتمامه و استعداده للتقبل و التأثر.

5_السنن Code:

وهو« القانون المنظم للقيم الإخبارية ، و الهرم التسلسلي الذي ينظم عبر نقاطه التقليدية المشتركة بين المرسل و المرسل إليه كل نمط تركيبي »(1)،و يسمى كذلك "الشفرة " لأنه عبارة عن مواضعة بين طرفين على الأقل حتى تستمر العملية التواصلي،وعلى هذا الأساس فهو« نسق القواعد المشتركة بين الباث و المتلقي،والذي بدونه لا يمكن للرسالة أن تفهم أو تؤول »(2)،فوجود السنن المشترك بين المتخاطبين يبين قصدية المتكلم،الذي« يرسل رسالة خطابية معينة حيث يعمل على الترميز »(3)، و يعين السامع على أن « يفكك رموزها بحثا عن القيمة الإخبارية التي شحنت بها Décodage »(4).

×التـــــواصـــــــــل و الخطـــــــــــــاب الأدبـــــــــــــي :

يقتضي التواصل اشتراك جانبين عاقلين،وأي غياب لأحد الأطراف يشل العملية التواصلية؛بل إن حضور كل واحد منهما يجب أن يكون حضورا نوعيا و ايجابيا،بحيث يهدف الأول منهما **المتكلم** إلى عقد ميثاق تواصلي مع **السامع** من داخل الخطاب نفسه،وقد اشترط التداوليون في عملية التواصل مع السامع مقصدية تواصلية مسبقة ، إذ لكي يسهل على السامع فهم دلالة الخطاب ينبغي عليه أولا أن يدرك المقصدية التي تنظم الخطاب و توجه مغزاه .

---

(5) عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف ، البلاغة العربية بين التقليد و التجديد ، دار الجيل ، دط، دت ، ص 78 .

(6) توماس هال ، الثقافة و التواصل ، تر: أحمد الفوحي ، علامات 21 ، موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net، ص21.

(1)الطاهر بومزبر ، التواصل اللساني و الشعرية ، ص 28 .

(2) عمر أوكان ، اللغة و الخطاب ، إفريقيا الشرق، المغرب ، دط ، 2000 ، ص 48 .

(3)الطاهر بومزبر ، التواصل اللساني و الشعرية ، ص 28 .

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

ولئن ارتبطت المقصدية بادئ الأمر بالمتكلم على اعتبار أنه الذات المنتجة للخطاب فقد ظهرت اتجاهات أخرى تنادي بتوسيع المقصدية لتشمل كلا من المتكلم و السامع،وهذا يعني أن المتلقي" **يمارس**" أيضا نشاطا مقصديا ، سواء تجاوب مع مقصدية الباث أو لم يتجاوب معها(1).

إن تحقيق البعد التواصلي من خلال مفهوم المقصدية يبدو سهلا مع الخطاب العادي مقارنة بالخطاب الأدبي ؛ إذ أن التسليم بحضوره في هذا الأخير يقتضي التسليم من ناحية أخرى بطريقته المخصوصة في التواصل مع السامع أو القارئ ، على اعتبار أن التواصل في الأدب هو تواصل غير مباشر .

ولأن الأمر في غاية التعقيد بحث التداوليون عن طريقة تمكن كلا من الباث و المتلقي إقامة التواصل في الخطاب الأدبي، « فعندما نقارن بين النص الأدبي و التواصل اليومي نلاحظ أن هذا الأخير يظل يحافظ على السياق الكفيل بتقوية التواصل والحصول على مقصدية الكلام ، أما النص الأدبي فمن صعوبات التواصل معه أنه لا يحمل معه سياقه الأصلي»(6)،وقد وظفوا لذلك آليات و مفاهيم تداولية أبرزها مفهوم "**التعاون**" الذي استحدثه **غرايس**،و الذي تندرج تحته أربع مقولات أو حكم (Maximes) [illegible] الإضافة و الجهة .

وباختصار ترسم هذه القواعد للمشاركين ما عليهم أن يقوموا به لكي يتم التخاطب بالطريقة المثلى من التعاون و العقلانية و الفعالية،وهذا لا يعني أن عليهم أن يتبعوا القواعد المذكورة حرفيا في كل الأحوال و الأوقات،إذ قلّما يستمر التخاطب العادي على هذا المنوال؛بل المقصود من ذلك أنه حتى عندما لا يجاري التخاطب ما ترسمه تلك القواعد يظل السامع يفترض،خلافا للظاهر،أن المتكلم لا يزال يأخذ بها،ولو على مستوى أعمق،حتى يتسنى له التوصل إلى معنى ما ، فمن دون تقدير هذه القواعد يستحيل التواصل بين الناس.

هذا في التواصل العادي، فكيف الحال مع الخطاب الأدبي ، بما هو خطاب نوعي قائم أساسا على الانزياح ، و الإتيان بما هو غير مألوف ؟

يعرف **لينتفالت**(Lintvelt) التواصل الأدبي بأنه شكل من التناظر بين الفعاليات الباثة و المتلقية،أو بعبارة أخرى التواصل الذي ينشأ بين «المؤلف الفعلي»و« القارئ الفعلي»،وبين « المؤلف المنخرط »و« القارئ المنخرط »،و بين « الراوي و المروي _له »(2) .

إن المؤلف و القارئ فعاليات لها حضور نصي مؤكد،سواء بطريقة غير مباشرة (حضور ضمني)،أو بطريقة مباشرة (حضور ظاهر)،ومن هذا المنطلق ينظر إلى المخطط التواصلي في الخطاب السردي كما يلي :

---

(1) أنظر : بوشعيب شداق ، مقصدية العمل الأدبي بين التقييد و الانفتاح ، مجلة علامات ، مج14 ، ج54 ، ديسمبر 2004 ،ص 445.
(6) محمد إقبال عروي ، مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي ، عالم الفكر ، مج31 ، ع3 يناير _مارس ، الكويت ، 2009 ، ص53 .
(1) Lintvelt (J) ,Essai de typologie narrative ,p180
نقلا عن : لبوخ بوجملين ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي الأثر ، مجلة الآداب و اللغات ، جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، ع6، ماي 2007 ، ص 237 .

Ã **المستوى الأول** من التواصل السردي نجد المؤلف الحقيقي المنتج للنص السردي الذي ينتهي بين يدي القارئ الحقيقي.هذا المؤلف له قصدية،إنه يكتب للآخر (قارئ افتراضي)،وله أهداف محددة،وهذا المؤلف الحقيقي ينقسم على الأقل إلى ثلاثة أقسام:« أنا »خاص مرتبط بالضمير ، ثم أنا كاتب مرتبطة بإسقاطات الكاتب نفسه ، و هي خارج نصية،وتمثل فعالية مجردة تتموقع بجانب المؤلف،و أخيرا أنا إعلامية ، فعالية أخرى مجردة يحاول الكاتب أن يربطها بالمؤلف المنخرط[1].

Ã**المستوى الثاني**:في ارتماء«الأنا الكاتبة»داخل العمل الأدبي،فهو إذن مؤلف منخرط بيت النصوص، وهو« ذات»أدبية تمارس بعض الخيارات القصصية،أين يكون الكلام بين الراوي و الشخصيات،هذه الفعالية التي عادة ما تبقى متضمنة داخل النص،وقد يعاد تشكيلها من طرف القارئ كـــــــــــــــــ«مؤلف نموذجي أو منمذج »[2].

ولئن افترض أن المؤلف الحقيقي أو المؤلف المنخرط ضمنيان في الخطاب السردي،إلا أنه قد يكون لهما وجود ظاهر في بعض الحالات،أين يتواصل الراوي من داخل الرواية بالمؤلف .

Ã**المستوى الثالث** من التواصل السردي يبرز الراوي و المروي _له ، و يتقلص الراوي لأنه ليس سوى فعالية نصية يكلفها المؤلف المنخرط بعملية السرد و التعليق ووصف تحركات الشخصيات ، و لكنه ليس مسئول عن نقل إيديولوجية النص ، إنه مجرد صوت من أصواته التعبيرية .

صار من المؤكد أن دور الباث قد درس بإسهاب ، إلا أن المتلقي حسب بارت قد استغل في التواصل السردي بطريقة سيئة،يقول:«كما أن هناك وظيفة تبادل كبيرة داخل المحكي (موزعة بين مانح و مستفيد) ،كذلك و بشكل متجانس، فإن المحكي كموضوع هو رهان تواصل : هناك واهب للمحكي،وهناك متلق للمحكي، وكما نعرف ، إنَّ (الأنا و الأنت) في التواصل اللساني متلازمان ،و يقتضي وجود أحدهما وجود الآخر،و في السياق نفسه فإنه لا يمكن أن نتصور محكيا بدون راو أو بدون مستمع (قارئ)، فهذا بديهي،و مع ذلك فقد استغل بشكل سيء »[3].

فالمؤلف سواء كان هو الراوي أو لا فإنَّ حضوره واضح في المحكي،إذ «العلامات الدالة على الراوي تظهر أكثر وضوحا و أكثر عددا من العلامات الدالة على القارئ...ببساطة فالعلامات الدالة على القارئ تكون أكثر اختفاء من تلك الدالة على الراوي؛كما أنه في كل مرة يجلب فيها الراوي احداثا(يعرفها ضمنا)،والتي يجهلها القارئ فإنَّه يتشكل،بتجاهل دال،علامة قراءة ؛لأنه لا معنى في أن يمنح الراوي لنفسه خبرا ما،كما تخبرنا إحدى الروايات بضمير المخاطب المفرد : فهذا علامة للقارئ،قريبة مما يسميه جاكبسون الوظيفة الإيحائية للتواصل »[4].

---

(1) المرجع نفسه ،ص 236 .

(2) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(3)رولان بارت ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، ص 38 .

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

×الخطاب الأدبي خطاب في سياق :

من أول مهام المناهج اللسانية غير البنيوية ، سيما التداولية، و هي تقتحم مجال التنظير للنصوص الأدبيـــــــــــــــــــــــــة و تحليلها،أن تعمل على تجاوز المنهج البنيوي«الذي و إن سلمنا بكفاءته في تقديم منهج علمي للغة،فمن الصعب التسليم بكفاءته في تحليل النصوص الأدبية و إنارتها و تحقيق المعنى »(1)،ولعل هذا ما دعا **تودوروف** إلى القول أن«الاعتماد على مبدأ البنية الشكلية المباشرة يقود إلى العقم،أو إلى الانتهاء إلى مجرد تصنيف محدود»(2).

وانطلاقا من ذلك تجاوزت التداولية التعامل البنيوي مع النص باعتباره نظاما مستقلا عن السياق أو المرجع،إلى التعامل معه باعتباره خطابا مرتبطا بمقام و منجزا بسياق معين .

وأما عن عناصر المقام المتدخلة في إنتاج الخطاب الأدبي فقد حصرها التداوليون في: المخاطب،و المخاطب ،وزمن التلفظ و مكانه،و خصائص الملفوظ الدلالية (صوتية كانت أم نحوية ...)،و التي تنطوي على مظاهر تحيل إلى قصدية المخاطب، فضلا عن الخلفيات المعرفية للمتخاطبين ، و كفاءاتهم ،و علاقاتهم الاجتماعية .

ويسهم السياق إلى حد بعيد في إزالة اللبس الذي يكتنف الخطاب،إذ تعمل المحددات السياقية على إضاءة جوانب النص ، سيما إذا كانت تلك المحددات تحيل على عناصر لها وجود واقعي مرجعي ، غير أننا نصادف و بشكل واسع خطابات تتجاوز الوجود المرجعي للعناصر،وذلك في النصوص المجازية«التي تنطوي على شيء أكبر من إثارة الخيال، أو خلق ارتباطات جديدة،فهي تحمل في أحشائها رمزية الحقيقة و تنطق باسمها »(3).

وتحتل نظرية السياق مركزا هاما في الدرس التداولي،ولعل هذا ما دعا ماكس بلاك للقول بأن« التداولية يجب أن تدعى بالنظرية السياقية »(4).وتتضح أهمية السياق في الدرس التداولي من خلال ارتباط التداوليات على اختلاف نماذجها بالسياق،وقد أشارت إلى ذلك **فرانسواز أرمينيكو** من خلال ربطها لكل درجة من درجات التداولية الثلاث بنمط سياقي معين .و يمكن أن نجمل هذه الأنماط ، و التي لا تتكامل النظرية التداولية إلا بتضافرها فيما يلي :

Ãالسياق النصي: و هو سياق القرائن أو ما يسمى بنحو النص،فالوظيفة النصية تختص ببناء الحدث اللغوي (المقال) وذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام ولقوانين النحو ولتنظيم المحتوى بطريقة منطقية مترابطة

---

(1)عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة (من البنيوية إلى التفكيك) ، عالم المعرفة ، الكويت ، ع 232 ، 1998 ، ص281 ،282 .
(2)صلاح فضل ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ، 1985 ، ص104.
(3) وليد منير ، النص القرآني من الجملة إلى العالم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، ط1 ، 1997 ، ص97 .
(4)فرانسواز أرمينيكو ، المقاربة التداولية ، ص 18 .

تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها[1]،وعلى الرغم من أهميته في تقريب الدلالة إلا أنَّ « الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو معنى المقال أو معنى ظاهر النص يعتبر دائما سببا في قصور الفهم »[2].

Ã **السياق الوجودي** :و يتضمن هذا السياق المرجعي، بطبعه،عالم الأشياء ، حالاتها، الأحداث، و التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية،ويتم « الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يدرك أن المرسل و المرسل إليه،وكذلك موقعهم الزماني و المكاني هي مؤشرات للسياق الوجودي »[3].

Ã**سياق الفعل** :« تعد الأفعال اللغوية أصنافا جزئية من السياق المقامي،والأفعال التداولية، من وجهة نظر تداولية ، أفعال إرادية،إذ يقصد المرسل انجازها،و يريد أن يدرك المرسل إليه هذا القصد،ويرى **أوستين** أن كل ما يتلفظ به المتكلمون هو منطوقات أدائية،إذ لم تعد هناك جمل وصفية ذات معنى قار؛بل إن كل الجمل تقال لتكون لها قوة تسمى القوة الانجازية »[4].

Ã**السياق النفسي**:إن عد الخطاب فعلا لغويا ذو قصد مشروط يقود إلى دمج الحالات الذهنية و النفسية في نظرية تداولية اللغة،لتصبح المقاصد و الرغبات حالات ذهنية مسؤولة عن برنامج الفعل و التفاعل،و هذه الحالات هي مناط اهتمام الوصف و التفسير التداولي بوصفها السياق النفسي لإنتاج اللغة و فهمها[5].

Ã**المقام**:من المصطلحات التي تستعمل استعمال المقام والحال الموضع والمقدار والأقدار والمشاكلة والمطابقة والاقتضاء والظرف والسياق، وجميعها فروع عن أصل ثابت في تفكير اللغويين العرب،وإن لم يتبلور على الصعيد الاصطلاحي،هو فكرة المناسبة والملاءمة[6]،ويسميه **جي آر فيرث** «سياق الظرف»[7]، وورد في كتاب **(النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب)** باصطلاح « المطابقات النحوية »[8].

وينبغي التأكيد في البداية على أن الوحدات الكلامية للغة الطبيعية ليست مجرد سلسلة أو خيوطا من صنع الكلمات، فهناك مكون لا كلامي يفرض دائما بالضرورة فوق المكون الكلامي في كل وحدة كلامية محكية.

إن هذه المميزات غير الكلامية للوحدة الكلامية مهمة في تحديد معناها كأهمية معنى الكلمة والمعنى

(1)سعد مصلوح ، الدراسات الإحصائية للأسلوب، ص118 ، نقلا عن : رشيد بلحبيب ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، مجلة اللسان العربي ، ص 07 .

(2) تمام حسان ، اللغة العربية معناها و مبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، دط ، 1994 ، ص 372.

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 42،43 .

(4)علي آيت أوشان ، السياق و النص الشعري ، ص 62 .

(5) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص44.

(6) حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود ص 208،209 .

(7) جون ليونز ، اللغة و المعنى و السياق ، تر : عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1987 ، ص 240 .

(8)محمد الصغير بناني ، النظريات اللسانية و البلاغية عند العرب ، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين ، دار الحداثة ، بيروت ، ط1 ، 1986، ص 174.

النحوي ويدخل كلاهما في المكون الكلامي[(1)].

فالناظر إلى اللغة على وجه التقعيد و الوصف و التفسير ينتهي بالضرورة إلى اعتبار المتغيرات الخارجية التي تكتنف المادة اللغوية و استعمالاتها[(2)]،وذلك لأن المعنى القاموسي أو المعنى المعجمي ليس كل شيء في إدراك معنى الكلام ، فثمة عناصر غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى؛بل هي جزء من معنى الكلام،وذلك كشخصية المتكلم و شخصية المخاطب،و ما بينهما من علاقات،وما يحيط بالكلام من ملابسات و ظروف ذات صلة به[(3)].

وإجمالا، فهذه الأنواع من السياقات متداخلة و مترابطة، فلا يستغني أي منها عن الأنواع الأخرى،ولهذا لا يمكن بحال نكران تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير،ذلك أن« القيمة الفنية قيمة سياقية تبرز من تلاحم عناصر النص وتماسكها ونظمها»[(4)].

فالمقام شرط تداولي،إذ«لا تكون الرسالة بذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله»[(5)]،كما أنه الأساس الذي ينبني عليه الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال[(6)].

وإذا كان تحليل المقال في سياقه المقامي واجبا في اللسانيات الاجتماعية والتاريخية والنفسانية فإنه في مجال التحليل الأسلوبي أوجب، فالاختيارات الأسلوبية لا تحكمها ظواهر اللغة الخالصة فحسب[(7)]،بل تحكمها كذلك محددات المقام ونعني بها الخصائص التي تحدد الظرف الاجتماعي الذي سيق في إطاره الكلام، لأن القيمة الفنية إنما هي « قيمة سياقية تبرز من تلاحم عناصر النص وتماسكها ونظمها »[(8)].

فكل من المقام والمقال متمم للآخر وكل منهما يفترض الآخر مسبقا، وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة [(9)].

ولهذا أصبح لزاما على الكاتب أو القارئ –عندما يتعلق الأمر بالنصوص المدونه التي فقدت عنصر المقام

---

(1)جون لاينز ، اللغة و المعنى و السياق ، ص 27 .
(2)نهاد الموسى ، نظرية النحو العربي،ص 88 ، نقلا عن :رشيد بلحبيب ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، مجلة اللسان العربي ، ص 01.
(3) محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2 ، 1997 ، ص263 .
(4) حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب ، ص 528 .
(5)عبد الله الغذامي ، الخطيئة و التكفير من البنيوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنموذج معاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4 ، 1998 ، ص10.
(6) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ص 337 .
(7)رشيد بلحبيب ، أسلوبية التراكيب وقضايا التقديم، أطروحة التقديم والتأخير في التراث النحوي والبلاغي،ص455. نقلا عن : رشيد بلحبيب ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، ص 02 .
(8)حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب، حمادي صمود ص 528 .
(9)جون ليونز ، اللغة والمعنى والسياق ، ص215.

الاجتماعي فخفي علينا من ظروف قولها أشياء كثيرة — أن يعيد تكوين هذا المقام بتصور ما يمكن تصوره من أحداث بغية الوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعاني.

فالمعنى الدلالي لا يتضح بمجرد النظر إلى معنى"المقال" وعليه فالمقام يعتبر عاملا مهما في تحديد محتوى القضية « وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلا كان المعنى الدلالي الذي نريد الوصول إليه أكثر وضوحا »(1).

والجدير بالذكر،هنا،أن **السياق التداولي** في كتاب **كليلة و دمنة** كخطاب سردي لا يتوضح إلا من خلال فعالية الوصف التي عجَّت بها نصوصه،لذا سنتعرف على الفائدة التي تتيحها هذه الفعالية من خلال التطبيق على الكتاب، بحيث نتناول وصف الشخوص الحيوانية ووصف الزمان و المكان ،وعلاقة كل ذلك بالتداولية .

×السيـــــــــــــــــــــاق و الوصـــــــــــف :

يعد الوصف خطابا من أشد الخطابات حضورا و تغلغلا في مختلف الميادين الحياتية ولا سيما الأدبية، فهو «متسع الأرجاء،ممتد الحدود ، قابل لوطأة جميع أنواع القول،والانخراط في أضعافها »(2) ، إلا أنه في الوقت نفسه «غامض البنية،قائما في مفترق طرق أو في منطقة غائمة»(3)، فقد يشكل خطابا منفردا له كيانه المستقل ،كما قد يكون تقنية يرومها خطاب آخر لتحقيق وجوده .

والوصف ضرورة يتوسلها الكاتب أو القاص لدعم فعل السرد،وإن كان التمييز بينهما على المستوى العملي ليس بسيطا، يقول **جيرار جونيت** أن«كل حكي يتضمن بطريقة متداخلة،أو بنسب شديدة التغير أصنافا من التشخيص لأعمال أو أحداث تكون ما يوصف بالتحديد سردا (Narration)،هذا من جهة،ويتضمن من جهة أخرى تشخيصا لأشياء أو لأشخاص، وهو ما ندعوه في يومنا هذا وصفا (Description) »(4).

و على الرغم من أن القانون الذي يخضع له السرد يختلف عن القانون الذي يخضع له الوصف، إلا أنهما متداخلان ، فإذا كان من الممكن الحصول على نصوص خالصة في الوصف ، فإنه من العسير أن نجد سردا خالصا .

وعلى كل يضطلع الوصف بوظائف عدة :

---

(1) تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ص346 .

(2) محمد ناصر العجمي ، الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم ، الشعر الجاهلي أنموذجا ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ط1 ، 86/1 .

(3) المرجع نفسه ، ص 35 .

(6) Genette ,fugures,p 56

نقلا عن : حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص78.

الأولى _ وظيفة جمالية :يقوم الوصف في هذه الحالة بعمل تزييني ، و هو يشكل استراحة (Pause) في مسار السرد ، فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية ، و يعطل حركتها[(1)].

الثانية_ وظيفة توضيحية أو تفسيرية: أي أن تكون للوصف وظيفة رمزية دالة على معنى معين في إطار سياق الحكي**...**دون الحاجة إلى التصريح بذلك المعنى سواء قبله أو بعده،ولكنه مع ذلك يظل خاضعا للتخطيط العام للسرد الحكائي[(2)].

كذلك يضطلع الوصف **بوظيفة تواصلية**،ولأنه كذلك فقد تبوأ مقاما محمودا في التداولية،التي« تنطلق من هدف أساسي هو استثمار الممكن و المتاح من الآليات لتوصيل رسالة لغوية معينة ، و جعل المعنى بها يتحرك في إطار انجازها »[(3)].

فالسردانية المعاصرة تضع الخطاب السردي في إطار من إستراتيجية التواصل،فمنتج القصة يبني نصه وفق ما يهدف إليه من تأثير في المتلقي،وتأويل القارئ أو المستمع لا يقف فقط على ظاهر النص،بل يتعداه إلى القصدية التواصلية للمنتج _المتلفظ[(4)].

ولئن ربطنا الوصف بالسياق؛فلأهمية هذا الأخير، إذ يعد من أهم المكونات الفاعلة في الحقل التداولي، ولعل الوسيلة المتاحة لرسم المشهد السياقي هي الوصف«فالعلاقة بين اللغة و الواقع أو العلامة و مرجعها لا تتلخص إلا في المعنى المشيد عن طريق وصف اللغة للأشياء و تسميتها»[(5)]،ففعل التسمية يرتبط في شق كبير بالأطراف المتخاطبة ، و عليه فإن فعل الوصف ينغرس في الفضاء التداولي .

×وصف الشخصيات في كليلة و دمنة :

أ_المستوى السردي الأول : وتبرز في هذا المستوى شخصيتان :

Ã الملك دبشليم : ورد وصفه من خلال التقديم الغيري من خلال صوت الراوي :

«**فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم...فلما استوسق له الأمر،واستقر له الملك،طغى و بغى،وتجبر و تكبر،وجعل يغزو من حوله من الملوك،و كان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا، فهابته الرعية، فلما رأى ما هو عليه من الملك و السطوة عبث بالرعية،و استصغر أمرهم ، و أساء ال[illegible] إلا ازداد عتوا** »[(6)].

---

(1) المرجع السابق ، ص 76 .
(2) المرجع نفسه ، ص 79 .
(3)محمد سالم محمد الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 2008، ص175.
(4) Adam (J.M),Revaz (f),L'analyse des récits ,p10_11
- نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج "جاب لينتفالت " التلفظي ، ص223
(5) أحمد يوسف ، الدلالات المفتوحة ، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، المركز الثقافي العربي المغرب ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط 1، 2005 ص 87 .
(6)كليلة و دمنة ، ص 14 ، 15 .

وكذلك ما جاء على لسان الفيلسوف بيدبا:« **اعلموا أني أطلت الفكرة في دبشليم،و ما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر و رداءة السيرة و سوء العشرة مع الرعية** »[1]،و« **إنك أيها الملك ..قد ورثت أرضهم و ديارهم و أموالهم و منازلهم التي كانت عدتهم، فأقمت فيما خولت من الملك ،وورثت من الأموال و الجنود،ولم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك، بل طغيت و بغيت،و عتوت و علوت على الرعية ، و أسأت السيرة ،و عظمت منك البلية** »[2] **.**

Ã الفيلسوف بيدبا :

«**رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله و يرجع في الأمور إلى قوله** »[3]،و على لسان التلاميذ:« **أيها الفيلسوف الفاضل،والحكيم العادل،أنت المقدم فينا،والفاضل علينا،وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك،وفهمنا عند فهمك ؟**»[4]،وقول التلاميذ:« **أيها الحكيم الفاضل،و اللبيب العاقل والذي وهب لك ما منحك من الحكمة و العقل و الأدب و الفضيلة** »[5] ، وكذلك وصف أفعاله:« **فجلس بمجلس العدل والإنصاف،يأخذ للدنيء من الشريف،و يساوي بين القوي و الضعيف،و ردَّ المظالم،ووضع سنن العدل** »[6]**.**

ب_المستوى السردي الثاني: و تبرز فيه شخوص حيوانية عدة نذكر منها:

Ã دمنة : من صفاته الطمع ، و ذلك كقوله: « **نحن أحق أن نروم ما فوقنا من المنازل** »[7]،واستعمال المكر و الدهاء إلى أن يصل إلى غايته و هو ما جاء على لسانه : «**إن الرجل الأديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقا أو يحق باطلا لفعل** »[8]**.**

وكذلك الحسد،فعندما رأى **دمنة** أن العلاقة بين الأسد و الثور قد توطدت« **حسده حسدا عظيما،و بلغ منه غيظه كل مبلغ**»[9]،فسعى بينهما بالنميمة و الخداع«**لم أجد حيلة و لا وجها إلا الاحتيال لآكل العشب هذا حتى أفرق بينه و بين الحياة** »[10]**.** كما يتبين المكر و السعي للتفرقة في قول دمنة :«**حدث ما لم يكن الملك يريده و لا أحد من جنده . قال : و ما ذاك ؟ قال : كلام فظيع . قال : أخبرني به ...قال دمنة : حدثني الأمين الصدوق عندي أن شتربة (الثور) خلا برؤوس جندك و قال لهم : إني قد خبرت الأسد و بلوت رأيه و مكيدته و قوته ، فاستبان لي أن ذلك يؤول منه إلى ضعف و عجز ، و سيكون لي و له**

---

(1) المصدر نفسه ، ص15 .
(2)المصدر نفسه ، ص 26 .
(3) المصدر نفسه ، ص15 .
(4) المصدر، ص18 .
(5)المصدر نفسه ، ص32 .
(6) المصدر نفسه ، ص 30 .
(7)المصدر نفسه ، ص101.
(8)المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(9)كليلة و دمنة ، ص 113 .
(10)المصدر نفسه ، ص 119.

شأن من الشؤون ، فلما بلغني ذلك علمت أن شتربة خوان غدار،وأنك أكرمته و جعلته نظير نفسك،فهو يظن أنه مثلك،و أنك متى زلت عن مكانك كان له ملكك،و لا يدع جهدا إلا بلغه فيك »[1]،ورغم قناعة الأسد في نفسه بإخلاص الثور في صداقته و مناصحته إياه،يقول:« **لا أظن الثور يغشني و لا يرجو لي الغوائل** »[2]، إلا أن كلام دمنة وقع في نفسه موقعا بليغا، يقول :«**لقد تركتني أكره مجاورة شتربة إياي**» [3]

ورغم شك شتربة الثور فيما أخبره به دمنة من أن الأسد قال:« **قد أعجبني سمن الثور و ليس لي إلى حياته حاجة ، فأنا آكله و مطعم أصحابي من لحمه** »[4]،وعلى الرغم إيمان الثور بأن الأسد قد حمل عليه بالكذب و البهتان إلا أن دمنة الكاذب المحتال تمكن من تحريش أحدهما على الآخر حتى هلك الثور.

Ã كليلة :و يمثل «الأنا الأعلى المجهض في ذات دمنة ، و الضمير الحي في قصب القص »[5]، إنه صوت الخير المكتوم ،ودليل ذلك إنكاره لفعل أخيه دمنة المشين:« **أيها الفسل ما أنكر جهلتك و أسوأ عاقبتك** »[6] ، و تحذيره دمنة من مغبة ملازمة الملوك و السعي بينهم و بين خاصتهم بالنميمة ، لأنها لا تكون إلا وبالا على صاحبها .

و تبرز صفة أخرى عند **كليلة** وهي التعاطف الوجداني تجاه **دمنة**،فعندما أيقن أنه ميت لا محالة«**أتاه مستخفيا،فلما رآه و ما هو عليه من ضيق القيود وحرج المكان،بكى**»[7]،فالعبرات ترجمة للتعاطف؛بل أكثر من ذلك للانصعاق الوجداني ،ورغم علمه بجرم دمنة « **ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا لاستعمالك الخديعة و المكر و إضرابك عن العظة و النصح** »[8] ، فإنه ما استطاع أن يبقى في الوجود بعد فراق أخيه ، فإذا به « **أخذه الوجد إشفاقا ...و مات** »[9] ،وذلك ما أضاف إلى محنة دمنة محنة وجدانية « **فبكى و حزن و قال:ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الأخ الصفي،وا حرَّ قلباه** »[10]،ولعلَّ موت كليلة المثير للاستغراب و الدهشة باعثا على الترجيح أنه رمز لموت القيم الفاضلة.

Ã الحمامة المطوقة والجرذ والظبي والغراب:هذه الشخصيات الأربعة تجسد ثيمة الصداقة و الأخوة،وذلك لقول الحمامة لصاحباتها و هن جميعا واقعات في شرك الصياد:« **لا تخاذلن في المعالجة،ولا تكن نفس إحداكن أهم إليها من نفس صاحبتها ، و لكن نتعاون جميعا** »[11] .

---

(1) المصدر السابق ، ص 128 ، 129

(2)المصدر نفسه ، ص 131 .

(3)المصدر نفسه ، ص 135 .

(4)المصدر نفسه ، ص 139 .

(5)عبد الوهاب الرقيق ،أدبية الحكاية المثلية في كليلة و دمنة لعبد الله بن المقفع ، دار صامد ، صفاقس ، تونس ، ط1 ، 2007 ، ص 37 .

(6) عبد الله بن المقفع ،كليلة و دمنة ، ص 153 .

(7)المصدر نفسه ، ص 174 .

(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(9)كليلة و دمنة ، ص 183 .

(10)المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(11)المصدر نفسه ، ص 194 .

وأيضا لهروع الجرذ لمساعدة صديقته الحمامة« ثم إن الجرذ أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة »[1]، لتعود الحمامة مرة أخرى لتقدم لنا نموذجا للإيثار؛إذ طلبت من الجرذ البدء بقطع عقد سائر الحمام،وبعد ذلك عقدها مما زاد من مكانتها في نفس صديقها،يقول:« **هذا مما يزيد الرغبة فيك و المودة لك** »[2].

ولأن الغراب كان متابعا لسير الأحداث فقد أدرك مقدار ما بين الحمامة المطوقة و الجرذ من الإخاء و المودة ، فرغب في صداقة الجرذ بعد أن وثق به:«**قد قبلت إخاءك ...وإنما بلوتك بما بلوتك به إرادة التوثق لنفسي**»[3]، فالصديق عند ابن المقفع خليل ودود جدير بالثقة،« **ثم إن الجرذ خرج إلى الغراب فتصافحا و تصافيا،وأنس كل واحد منهما بصاحبه** »[4] .

وبتجاورهما نمت صداقتهما و تجذَّرت محبتهما،لكن المخاطر المحدقة بهما دفعتهما إلى مغادرة موطنهما نحو مكان تسكنه سلحفاة هي للغراب صديقة،فأحسنت استقبالهما،وصارت هي الأخرى صديقة للجرذ،وعاش الثلاثة في وئام إلى أن وقع الظبي في شرك صياد فاحتالوا لإنقاذه،ولكن السلحفاة«**خير الأصدقاء التي خلتها ليست للمجازاة و لا لالتماس مكافأة،ولكنها خلة هي أفضل من خلة الوالد لولده ، خلة لا يزيلها إلا الموت**»[5] بحكم بطئها وقعت في قبضة القانص ، فهبَّ الأصدقاء لعملية إنقاذ جديدة إلى أن« **اجتمع الغراب و الظبي و الجرذ و السلحفاة إلى عريشهم سالمين امنين كأحسن ما كانوا** عليه »[6].

ثم إنَّ الصديق في **كليلة و دمنة** نصوح،ومثله الظبي في أوج محنته كان ناصحا للسلحفاة أن تعود للماء خوف أن يأخذها القانص،يقول:«**ما أصبت بمجيئك فإن القانص لو انتهى إلينا و قد قطع الجرذ الحبائل سبقته عدوا،وللجرذ أجحار كثيرة،والغراب يطير و أنت ثقيلة لا سعي لك و لا حركة، وأخاف عليك القانص** »[7]، فهذا الإيثار لحظة المحنة عنوان التفاني و الوفاء في الصداقة.

Ã الحمامة والثعلب و مالك الحزين:و تجسد هذه القصة أنموذجا حيا و عمليا للنصح و الإرشاد و التعاون لرزء الخطر،إذ دهيت الحمامة بثعلب يأخذ فراخها ، فاستنجدت بمالك الحزين الذي لم يبخل عليها برأيه،وبالفعل اقترح عليها ما بلي:«**إذا أتاك ليفعل ما تقولين فقولي له لا ألقي إليك فرخي فارق إلي و غرر لنفسك،فإذا فعلت ذلك،وأكلت فرخي طرت عنك و نجوت بنفسي** »[8] ، وكانت الفكرة ناجحة .

وصنيع مالك الحزين في النصح و الإرشاد كصنيع أم الأسد، فقد أضاءت لابنها ما خفي عليه من نميمة و خداع دمنة و حثته على معاقبته « **لإفشاء السر خير من أن يبقى على الخائن دمنة الذي ادخل الفساد**

---

(1)المصدر نفسه ، ص195 .
(2)المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(3)المصدر نفسه ، ص198 .
(4)المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(5) المصدر السابق، ص213 .
(6)المصدر نفسه ، ص 215 .
(7)كليلة و دمنة ، ص 212
(8)المصدر نفسه ، ص334 .

بينك و بين الثور بمكره و فجوره...العلماء...قد نهوا عن اغتفار الجرم العظيم و الذنب الكبير»[1]،بل واجهت دمنة بنفسها تقول : «**إنه قد بان للملك كذبك و فجورك و خديعتك في قتل الثور من غير ذنب كان منه ، فلست حقيقا أن تترك بالحياة طرفة عين**»[2]،وأقنعت الشاهد الأساسي النمر بوجوب الإدلاء بشهادته،حتى لا يزيغ الأسد عن القرار الصواب بشأن دمنة .

2_**الاشاريات في كليلة ودمنة** :لا تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور الأدوات الاشارية ،والتي هي:

Ã الاشاريات الشخصية:وهي الاشاريات الدالة على المتكلم أو المخاطب أو الغائب،وتعد الأنا أو الذات المتلفظة هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا،كما أن ممارسة التلفظ هي ما يدل على المرسل في البنية العميقة،مما يجعل حضور الأنا يرد في كل خطاب ،و لهذا لا ينطقها المرسل في كل حين،إذ يعول على كفاءة المرسل إليه .

ونشير في هذا المقام أن المتخاطبين يخضعون لجملة من القواعد يؤطرها سياق التكلم،وقد تنبه النقاد قديما إلى ذلك**.**فلنجاح العملية التواصلية ينبغي على المتكلم مراعاة السامع،ذلك برسم حدود المسافة الاجتماعية بينهما،عليه أيضا معرفة أقدار المعاني، و يوازن بينها و بين أقدار السامعين، و بين أقدار الحالات**.**فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما،ولكل حالة من ذلك مقاما،حتى تقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات،وأقدار السامعين على أقدار تلك الحالات[3]**.**

ولأننا نتعامل مع نص سردي بحت فإننا نصطدم بأصوات عدة تسرد علينا حكايات **كليلة و دمنة** من الصفحات الأولى له إلى غاية تمامه،وكأننا أمام نص بوليفوني Polyphonie ؛أي متعدد الأصوات [4] في السرد**.**

مما يعني أن النموذج التلفظي للرواية هو صيرورة معقدة،ولا يقتصر على ثنائية : قارئ / مروي له،من حيث الاستقبال،وكاتب/راو من حيث البث فقط،ولكنه نموذج يتكون من المستويات الثلاثة التي وضعها شميدت (Smidt) ، و عرضها لينتفالت(Lintvelt Jaap) [5]**.**

---

(1)المصدر نفسه ،ص 166 ، 167.

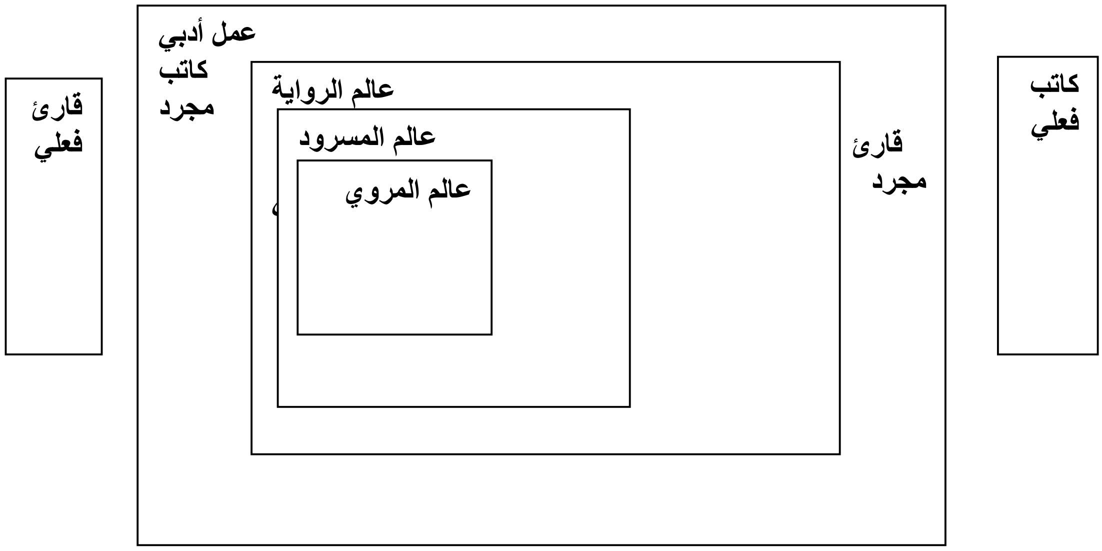
(2)المصدر نفسه ، ص167 .

(3)الجاحظ،البيان و التبيين، 136،137/1.

(4)تيزفيتان تودوروف ، باختين المبدأ الحواري ، تر : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، دار الفارس ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 1996 ، ص 17.

(1) Linivelt (J) ,Modèle discursif du récit encadré poétique , p : 353

نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 223 .



وقد ألغى علماء السرد وجود هذه المستويات الثلاثة لصعوبة التمييز بين الكاتب الوهمي و الكاتب،ولخلطهما قي كثير من الأحيان بالراوي،لذلك يحدد مونقانو وجودهما في سياق ما أشرنا إليه سابقا بتعددية الأصوات La polyphonie،إذ يرى أن المؤلف الفعلي يندرج تحت مصطلح كاتب،وأن المؤلف المجرد (المسئول عن التلفظ يندرج تحت مصطلح (مؤلف)،وهو بذلك يخلط بين المؤلف و الراوي(1).

إن الراوي بلا شك هو المصمم للنص،إذ« لا تتحدد القصة بمضمونها فحسب،ولكن أيضا بالشكل أو الطريقة التي يقدم بها ذلك المضمون »(2)،ويتعلق الأمر هنا بالتقنية المستخدمة لحكي القصة المتخيلة،ذلك ما يسميه **بوث** زاوية الرؤية Point de vue التي هي بمعنى من المعاني « مسألة تقنية ووسيلة من الوسائل لبلوغ غايات طموحه »(3).

فالراوي في **كليلة و دمنة** رواة،فهناك أولا هذا الصوت الذي يقدم الشخصيات،إذ يعرف بالملك « **فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم ...**»(4)،وعن الفيلسوف يقول في الافتتاحيات:«**وكان في زمانه فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله و يرجع في الأمور إلى قوله يقال له بيدبا** »(5)،ثم يتم عملية السرد« فلما رأى الملك و ما هو عليه من الظلم و الرعية فكَّر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه...»(6)،فمن ذا الذي ينقل لنا وقائع حكاية الفيلسوف بيدبا مع الملك دبشليم ؟.

---

(2) Maungueneau (D) , de linguistique pour le texte littéraire , p 31
نقلا عن: لمرجع السابق ، ص 224.

(2)حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص 46.
(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها .
(4)كليلة و دمنة ، ص 14 .
(5) المصدر نفسه ، ص15 .
(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

إننا نجهل عنه كل شيء؛لأنه لا يتكلم بصيغة الأنا الذي« يتنازعه الغياب المجسد في ضمير الغياب ، و الحضور الشهودي الممثل في ضمير المتكلم »[1]،وكأنه لا يشارك في أحداث الحكاية،إنه متعال عن عالمه التخييلي الذي ينشئه بعملية السرد،أين يذوب السارد بالمسرود،أو بتعبير تودوروف الرؤية المصاحبة La vision avec ،هذا النوع يسميه عبد الوهاب الرقيق **ساردا أصليا**[2]،باعتباره منشئ القص و الجذع الذي يتفرع عنه بقية الساردين،ويسميه كذلك **غيريا** [3]، بحكم اقتصاره على سرد حكاية غيره دون المشاركة في إحداثها .

وعنه يتفرع سارد غيري آخر هو الفيلسوف بيدبا،الذي يقص على الملك دبشليم قصصا أبطالها من الحيوان تارة ، و من البشر تارة أخرى،وبذلك يمكن أن نصطلح عليه اسم السارد الفرعي الغيري،بما أنه يقع على مستوى قصصي ثان و يقص حكاية غيره،إذ يبتدئ عملية السرد بعبارة **(زعموا)**،وهي اللازمة السردية الغالبة على نص **كليلة و دمنة** [4]، و لم يكد ابن المقفع يصطنع سواها إلا قليلا في مطالع حكايات هذا الخطاب السردي .

هذا وتنسجم عبارة **(زعموا)** مع طبيعة السرد القائم على التسلسل الزمني الآتي من الخارج،أو عن طريق حياد المؤلف المزعوم القائم على اصطناع ضمير الغائب،فكأن هذا الشكل السردي يقابل ما يعرف لدى منظري الرواية ما يطلق عليه تودوروف: الرؤية من خلف La vision par derrière، أين« يكون الراوي عارفا أكثر مما تعرفه الشخصية الحكائية ، إنه يستطيع أن يصل إلى كل المشاهد عبر جدران المنازل، كما أنه يستطيع أن يدرك ما يدور في خلد الأبطال »[5].

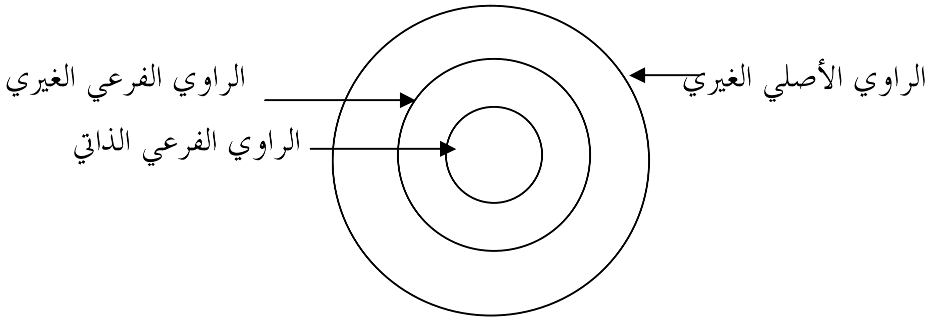
فالمتتبع لحكايات **كليلة و دمنة** التي يرويها **بيدبا** يجد أنه لا يدعي أنه اخترعها بنفسه،إنما ينسبها إلى أشخاص لا يسميهم،فمن هم أصحاب الزعم ؟ من **كليلة ودمنة** و من عبارة **(زعموا)** الماضوية نكتشف أنهم عاشوا قبل **بيدبا** ،و هذا السبق في الزمن يمنحهم مزية عظيمة،فالحكمة تنبع من الماضي.ثم هم حكماء حكوا ما حكوا قصد إفادة من سيأتي بعدهم و يطلع على أقوالهم،فهم أهل الثقة و أصحاب الفضل،ولذلك لا يفتأ يستشهد بأقوالهم غير مرة :«**العلماء قالوا...** »[6]،و «**إن العلماء كتبوا ...**»[7]،و «**فإن العلماء قد قالت:...**» [8]، و« **أما بلغك عن العلماء أنهم قالوا :...**» [9]،و« **وجدت العلماء قد قالوا :...** »[1]،وأشباه ذلك في كتاب **كليلة و دمنة** كثير.

---

(1)عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران ، دط ، دت، ص254 .
(2)أنظر كتابه : أدبية الحكاية المثلية في كليلة و دمنة ، ص 99 .
(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(4)تكررت هذه العبارة في كتاب كليلة و دمنة ثلاثا و أربعين مرة على الأقل.
(5) حميد لحميداني ، بنية النص السردي ، ص47.
(6)كليلة و دمنة ،ص 179.
(7)المصدر نفسه ، ص 180 .
(8) المصدر نفسه ، ص 191 .
(9)المصدر نفسه ، ص 188 .

وقد أجمع نقاد الرواية الحداثيون على أن ضمير الغائب الذي«هو الأكثر استعمالا في السرد الشفوي،و المكتوب جميعا »(2)،و الماثل هنا في عبارة (**زعموا**) ليس إلا دلالة حتمية على نفي الوجود التاريخي،وإثبات الصفة الخيالية الخالصة للعمل الأدبي عامة ، و السردي خاصة.

وكثيرا ما يسكت هذا الراوي الفرعي الغيري (بيدبا) ليعطي الكلمة لشخصية من شخصيات الحكاية التي يسردها ،لنحصل على سارد من النوع نفسه فرعي_غيري ، و الذي يسرد هو الآخر حكاية لا يشارك في أحداثها،فإذا قصت تلك الشخصية حكاية قامت بدور في تسيير أحداثها حصلنا على سارد من نوع آخر،نصطلح عليه اسم **السارد الفرعي الذاتي**(3).ويمكن أن التمثيل لهذه المستويات السردية أو لأنواع السُّراد بهذه الترسيمة :



نستنتج من خلال ما سبق أن إشكالية تعدد الأصوات تدحض وحدة الذات الناطقة،«ه تعدد الأصوات في حد ذاته استشهاد بأقوال متلفظين آخرين أو أطراف أخرى »(5)،حيث لا يضطلع المنتج الفعلي للملفوظ بهذا الملفوظ ، أي لا يشعر بأنه مسؤول عنه .

وانطلاقا من مخطط لينتفالت الآنف الذكر يمكن تتبع السيرورة السردية في كليلة ودمنة من خلال المستويات الآتية:

Ã المستوى الأول :كاتب فعلي ←—— قارئ فعلي

في هذا المستوى الأول يتوجه الكاتب الفعلي (**الفيلسوف بيدبا /ابن المقفع**) إلى القارئ الفعلي(**الملك دبشليم / أبو جعفر المنصور**)، فما **كليلة و دمنة** و غيرهما من الشخوص الحكائية إلا أقنعة لبيدبا الحكيم ، الذي هو قناع للراوي الأصلي الغيري،الذي هو فيما يتبين قناع ابن المقفع كذلك،فالنص بأكمله خطاب مزدوج تتداخل فيه أقوال **بيدبا** الفيلسوف بأقوال **ابن المقفع**،وتتشابك فيه مقاصدهما،إذ يترجمان بإرادهما القصصية العليا عن إرادة كل مثقف عاقل قادر على ربط الحكمة التي تتضمنها الحكاية المثلية بالعمل .

---

(1) المصدر نفسه ، ص 207 .
(2) عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، ص 231.
(3) عبد الوهاب الرقيق ، أدبية الحكاية المثلية في كليلة و دمنة ، ص 100.
(4) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .
(5) دومينيك مونغانو ، المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ،ص 100 .

ولذلك يمكن اعتبار الحكاية في كتاب **كليلة و دمنة** خطابا موجها مثيرا لردود أفعال مختلفة،لذلك يصعب التكهن بالنتائج نفسها، فقد تبوأ **الفيلسوف بيدبا** المكانة الرفيعة عند **الملك دبشليم** ، فيما قتل **ابن المقفع** و نكل بجثته،وذلك ما يعكس الدور الخطير للسياق العام الذي ينجز فيه الخطاب .

Ã المستوى الثاني : الكاتب المجرد ـــــــ القارئ المجرد

فالأول منهما يسميه **بوث** بـــــــــــــ(الكاتب المضمر)،يقول:«حتى في الرواية التي لا يسجل فيها الراوي ظهوره فإنها تقتضي صورة ضمنية لكاتب متخف وراء الكواليس، بصفته مخرجا و محركا للأحداث...و هو الكاتب المضمر المختلف عن " الإنسان الحقيقي " _ و كيفما تخيلناه _فهو يخلق نسخة أرقى منه في الوقت الذي يبدع عمله ...و في حال أن الرواية لا تعيدنا صراحة إلى هذا الكاتب فإننا لا نسجل أي فرق بينه و بين الراوي المضمر،المتخفي »[1].

وفي هذا المستوى يختلط الراوي المضمر بمفهوم الكاتب المضمر بالرغم من أن دورهما في **كليلة و دمنة** يبدو مختلفا ،وذلك استجابة لدواعي الإستراتيجية التضمينية أو الإيحائية،فالراوي مسئول عن الجانب السردي من الرواية،والكاتب المضمر مسئول عن الرواية بأكملها،بما أنه هو الذي يهتم بتوزيع المعلومات بين المستوى السردي و المستوى الحواري ، حينئذ سوف يلعب الكاتب المضمر أو كما اصطلح على تسميته " محرك الأحداث " دور المنظم للحكي .

إن هذا الموقف يستدعي وصف بنية الخطاب السردي لا باعتباره نظاما لغويا مغلقا يكتفى فيه بالبنية السطحية ، التي تكون فيها الدوال على أقدار المدلولات،حيث أنه يقف بالنص الأدبي عند عتبة البنية اللغوية الظاهرة،ممثلة في الصيغ و التراكيب الموظفة فيه دون تجاوزها إلى البنية العميقة،التي تعول على الأنظمة الخارجية الأخرى، مثل : المرجعيات الثقافية و الاجتماعية و السياسية و الأيديولوجية المنتج في كنفها النص،وكذا الظروف و الملابسات المحيطة به، ذلك أن النص الأدبي نتاج شخص أو أشخاص عند نقطة ما من التاريخ الإنساني،نسج في صورة معينة من الخطاب،تستمد معانيها من الإيماءات التأويلية لأفراد القراء،الذين يستعملون الشفرات النحوية و الدلالية والثقافية المتاحة لهم[2]لفك منغلقات هذا النص.

وانطلاقا من **كليلة و دمنة** فإن الراوي المفترض الذي هو بحسب **جينيت** " بناء ذهني يقوم على النص كله " هو الفيلسوف بيدبا في حد ذاته ، و الذي يسمى الراوي الفرعي الغيري،في حين أن الراوي خارج القصة هو الذي ذكرناه سابقا تحت اسم سارد أصلي غيري، الذي ما هو إلا « صوت داخل النص »[3].

---

(1) Booth (W.C) , Distance et point du vue , 92_93:

نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 225 .

(2)روبرت شيراز ، السيمياء و التأويل ، تر : سعيد العالمي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، عمان ، 1994 ،ص 41 ، نقلا عن : رابح بومعزة ، تحليل البنية العميقة للنص الأدبي، مجلة علامات ، ج 56 ، م 14 ، ربيع الآخر 1426 ه ، يونيو 2005 ص 193 ، 194 .

(1) Genette (G) , Nouveau discours du récits , p :93_104

نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 226 .

فاستجابة لدواع سياقية أحيل فعل الحكي لذات غير حاضرة آن التلفظ،والمتمثلة في ضمير الجمع الغائب المتصل في عبارة (**زعموا**)،دلالة على أن منتجي تلك الحكايات قد سبقوا المتلفظ بها زمنيا،وما انتخاب الإستراتيجية الإيحائية في مثل هذا الموقف إلا كما يرى لوفينسون « رغبة المرسل،أحيانا،في التملص و التهرب من مسؤولية الخطاب »[1].

وبالمقابل نجد المتلقي،وقد استخدم السردانيون الأوائل مصطلح (القارئ التخييلي) الذين استعاضوا عنه بمصطلح (المروي له) بقصد المحافظة على تناسبه مع الراوي، فهو نمط تخييلي يقابل الراوي[2].

و مفهوم القارئ التخييلي قريب إلى حد بعيد من مفهوم القارئ الضمني،على افتراض أن كل مؤلف أو أديب « يكتب و في ذهنه قارئ ما،قارئ يعرفه المؤلف و يخاطبه و يتعامل معه؛بل قد يحدث أن الكاتب لم يكتب النص إلا من أجل ذلك القارئ بطلب منه أو لمواجهته »[3].

وهذه المعرفة تجعل الكاتب /المتكلم « يخاطب إنسانا ماثلا أمامه يتفاعل معه وفق شروط و ظروف و متطلبات هذا التعامل،ما يجعل هذا القارئ بمثابة مؤلف مشارك يؤثر على خطاب الكاتب و يوجهه.هذا القارئ ليس سوى مؤلف ضمني للنص من حيث كونه حاضرا في ذهن المؤلف الفعلي حضورا كاملا،وهذا الحضور يأخذ أبعادا حقيقية في صياغة النص و اختياره »[4]،فهو إذن منخرط في النص،ويستطيع أن يشكل حضورا ظاهرا و يتشكل وفق الاستدلالات من خلال العلامات النصية،وهو ما فعله أمبرتو إيكو في تحديده للقارئ النموذجي[5].

لذلك فإن القارئ إذا أراد أن يكتشف الكاتب يتعين عليه القيام بسلسلة من الاستنتاجات مستخدما مؤشرات النص،وهي مؤشرات غير مباشرة للحضور الضمني للكاتب،أو قد يقع على مؤشرات ضمن ما يسميه **جيرار جونيت** المناص La paratexte،وفي **كليلة و دمنة** قد يرجع الملك إلى تمهيدات الفيلسوف **بيدبا** إذ سأله العدول عن تصرفاته وعن ظلمه للرعية،وإذ ذكّره بآبائه و أجداده« **الذين أسَّسوا الملك ...و بنوا القلاع و الحصون ...فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذكر ، و لا قطعهم عن اغتنام الشكر، و استعمال الإحسان ...**»[6].

وقد تكون لبعض الأمكنة إيحاءات تجعل من الملك يقوم بإسقاطات على الواقع،فالأجمة مثلا ترمز إلى المكان الذي يعيش فيه الشعب و تمارس عليه السلطة،والأسد هو ترميز للسلطة السياسية،وأما أصناف السباع و غيرها من الحيوانات فهي فئات الشعب المختلفة بشرائحها و طبقاتها و مصالحها، فللحيوانات مملكات لا

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 372.

(2)حاتم عبد العظيم ، النص السردي و تفعيل القراءة ، مجلة فصول ، م16 ، ع3 ، شتاء 1997 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص 85 ، نقلا عن : بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص228 .

(3) عبد الله الغذامي ، تأنيث القصيدة و القارئ المختلف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط2 ، 2005 ، ص 148.

(4) المرجع نفسه ، ص 149 .

(5) بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 228 .

(6) عبد الله بن ، كليلة و دمنة ، ص 25 .

تفترق كثيرا عن مملكة الإنسان، لذلك يرى الكثير من الباحثين أن مثل هذه الإسقاطات المباشرة كفيل بأن يضعف الرمزية التي بني عليها نص **كليلة و دمنة**.

والأكيد أن خاتمة الكتاب تؤكد للمتلقي الملك **دبشليم** هوية المتكلم أو المنتج الفعلي للحكايات أو على الأقل تبلغه بالغاية التي من أجلها سرد الفيلسوف بيديا حكايات **كليلة و دمنة** ،وقد جاء فيها قوله :« **و قد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور...فأبلغتك في ذلك غاية نصحي و اجتهدت فيه برأيي و نظري و مبلغ فطنتي ، و الله تعالى يقضي بحسن النية منك في إعمال فكرك و عقلك فيما وضعت لك من النصيحة و الموعظة ...فافهم ذلك أيها الملك**»[(1)].

فتلك عتبات أو موجهات نصية كفيلة ببلوغ الغاية من الحكي أو من التأليف عموما،كما أنها شهادات على الوجود النصي للمؤلف في خضم التضليلات الأدبية التي حالت دون اكتشافه من الوهلة الأولى،على أنه في كثير من الأحيان لا يتعلق الأمر بضمير ما، إننا أمام ضمير فني « هذا الضمير،ضمير الكتابة،يؤثر تأثيرا خاصا على ضمير القراءة ،فكل ما يفعله خطابه هو تشكيل ذاتية هذا الخطاب،أو بالأحرى إن هذا الخطاب يحمل علامات تدل على هذا الضمير ... إنه بإصغائنا إلى هذا الإيقاع نصغي بالضرورة إلى هذا الضمير »[(2)].

×الاشاريات الزمنية و المكانية :

يعد كل من الزمان و المكان عنصرين هامين لبناء تصور عن السياق،إذ يؤثران و بشكل واضح على الاختيارات اللغوية للمتكلمين،فإدراك لحظة التلفظ هي مرجع السامع لتأويل صحيح،كما تخضع الاستعمالات اللغوية لمكان تواجد مستخدميها،فلغة أهل البدو تختلف عن لغة أهل الحضر،و قد تتحدد لغة فئة مجتمعية تبعا لمكان تواجدها الوظيفي ، فللتجار لغتهم، و للفلاحين لغتهم ، و للأطباء كذلك .

ويتجلى الزمن و المكان في اللغة العربية بواسطة القرائن التي تتحدد بجوار الأفعال،أو بواسطة الظروف الزمكانية ، و التي تدعى أيضا بالمبهمات الزمنية :الآن،اليوم،الغد،أمس،الأسبوع الماضي**...و المبهمات المكانية** : الدالة على القرب ، البعد ، الخلف ، الأمام ..

أما عن تجليات الزمن في كليلة و دمنة فالواضح أنه زمن ماض أوجزته عبارة (**زعموا**)،التي هي صيغة تدل كما تمت الإشارة من قبل على غياب صوت المؤلف الحقيقي،أو بالأحرى أسند الراوي ذلك الزعم إلى ضمير الجمع الغائب،الذي ينم عن التزامه حدود الشكل السردي الذي جاءت عليه أحداث القصة،وهو ما يقوم مقام فعل السرد،وهذا ما يدعى في المصطلحية التي أسس الفرنسيون تقاليدها بـــــــــ Narration enchâssante أو السرد المحتضن« بعضهم يحكي أن بعضهم حكى له أن...»[(3)].

---

(1)كليلة و دمنة ، ص 336 .

(2) Dessong (G) ,Meschonic H) ,Traité du rythme , des vers et des proses , p 44

نقلا عن: بوجملين لبوخ ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 230 .

(3) دومينيك مونغنو و باتريك شارودو و غيرهم ، معجم تحليل الخطاب ، تر : عبد القادر المهيري و حمادي صمود ،مراجعة :صلاح الدين الشريف ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، دت ، 2008 ، ص 472 .

وأما المكان في **كليلة و دمنة** فلا نجد له تحديدا دقيقا،وإنما هو نسبي غامض، فأمكنة من قبيل **: مترل - أجمة_ شجرة_ وكر_ جبل_ أرض كثيرة المياه و العشب_ غدير _ساحل_ أرض فيلة _جحر سنور أو جرذ** _رأس نخلة طويلة**..**فهي أمكنة توصف بعموميتها و عدم دقتها ،كما أنها تعبر عما يمكن للحيوان بمختلف صنوفه التواجد فيه**.**

ويبقى أمر غياب التحديد الزماني و المكاني في نصوص **كليلة و دمنة** ما يؤكد صفة الابهامية، ذلك بنسبية تحديد الزمان في لفظة **(زعموا)**، وهي اللازمة السردية التي ابتدأت بها تقريبا كل حكايات **كليلة و دمنة**،كذلك العنصر المكاني كان نسبيا،وقد يرجع ذلك لعنصر المثل الأكثر استهدافا من أي عنصر آخر عند **ابن المقفع** و**/**أو **الفيلسوف بيدبا .**

×الخطاب الأدبي خطاب حواري :

تتخذ دراسة الخطاب الأدبي باعتباره حوارا بعدين أساسيين**:** بعدا تداوليا، وبعدا أدبيا مع **ميخائيل باختين** (Bakhtine) في تحليله للخطاب الروائي بالخصوص؛فأما هذا الأخير فيرى أن أهم مظهر من مظاهر التلفظ هو " حواريته" ؛ أي ذلك" البعد التناصي"،الذي يجزم على أن كل خطاب،عن قصد أو غير قصد، يقيم حوارا مع الخطابات السابقة له،الخطابات التي يشترك معها في الموضوع نفسه،كما يقيم حوارات مع الخطابات التي ستأتي،والتي يتنبأ بها ، و يحدس ردود فعلها[1]،إلا أن ما يشغلنا في هذا المقام هو الحوارية كمصطلح تداولي،والتي لم تتبلور مفهوما نظريا و آلية توظف في تحليل الخطاب تداوليا إلا مع **ديكرو** و **أنسكومبر**؛إذ أعطيا المفهوم بعدا حجاجيا،ليؤكدا على أن وظيفة التكلم الأساسية هي الحجاج،وتوصلا إلى أنه « لا يمكن دراسة البنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية »[2]**.**

وتلك دعوة منهما إلى ضرورة عرض الخطاب عرضا حجاجيا،على نحو معين للتأثير في المخاطب و توجيهه الوجهة التي يريدها المتكلم،في ظل ما تسخره اللغة له من إمكانات لسانية«فاللغة تنطوي على علاقات استلاب قاهرة ، ليس النطق أو الخطاب تبليغا كما يقال عادة ، انه إخضاع ، فاللغة توجيه و إخضاع معممان »[3]**.**

فاللغة على هذا الأساس تمارس سلطتها على مستعمليها؛إذ تفرض عليهم نمطا معينا من الخطابات بحسب المواقف التواصلية،كما تجبر المتكلمين على خيار لغوي دون آخر**.**

ومن هذا المنظور قام **ديكرو** و **انسكومبر** باستحداث مفهوم جديد ، يقوم على دمج المكونان اللغـــــــــــــــــــــــــوي والتداولي، فيما اصطلحا عليه **بالتداولية المندمجة** La

(1) أنظر : تزفيتان تودوروف ، باختين و المبدأ الحواري ، تر : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، دار الفارس ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 1996 **.**ص 16 .

(2) عبد الله صولة ، الحجاج : أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان و تيتيكا ، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،إشراف : حمادي صمود ، كلية الآداب ، منوبة ، ص 317 .

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 225 .

pragmatique intégrée،على اعتبار أن الحجاج ماثل في اللغة نفسها،ومحكوم بشروطها،و بالتالي فإن« ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي،و إنما هو ترابط حجاجي؛لأنه مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى،وتفرض ربطه بقول دون آخر »[1].

و تبرز أهمية الحوار من كونه النشاط الذي يبرز استعمالات اللغة المختلفة في إطار تفاعلي بين المتكلم و السامع ، و يمكن القول أنه فعل ملازم للإنسان،والذي يشتق من ذاته ذاتا يحاورها إن لم يكن هناك ذاتا أخرى .

و يرتبط الحوار في الخطاب الأدبي القصصي منه على وجه الخصوص بجوانب عدة من جوانب الصياغة و الإنشاء،الذي تتحدد كيفياته و تنتظم بقواعد« الأدبية »[2]،بحيث يترع المتكلم إلى تشكيل مشاهد تعطي للقارئ انطباعا بأن الأحداث مروية بأمانة،أو على الأقل كما وضعت في الأصل.

إن صيغ تنظيم القول هي إجراء تنظيمي للخطاب، أو بالأحرى من مستلزمات"الأدبية"،هذا الإجراء يوحي بالتعدد ظاهريا،ويوهم بالحوار و يوحي بما يشبهه؛لكنه في الواقع حوار وحيد الطرف،وهو في النهاية عرض متعدد الأوجه لحقيقة واحدة،أو لموقف واحد،أو لرؤية واحدة،صادرة كلها من منشئ الخطاب .

لذا لا يعدو الحوار باعتباره إجراء فنيا في الخطاب الأدبي ،كونه تنويعا لصور و أشكال و زوايا الموقف،دون أن يكون تنويعا للموقف ذاته،تنويعا يهدف إلى إقناع المتلقي و التأثير عليه،فيكون بذلك شكلا من أشكال المحاججة وغيرها،مما يدخل في حكمها من طرق و فنيات الكلام و التواصل مما تهتم التداولية بدراسته و توضيحه.

وإنه من الأهمية بمكان في كل بحث تداولي الاحتفال بالحوار،بوصفه بنية كبرى،والفعل اللغوي بوصفه بنية صغرى[3].

✖ تمظهرات الحوار في كليلة و دمنة :

Ã التواصل الذاتي: إنَّ الإنسان في تفكيره،وحتى في تواصله مع الآخرين أو عندما يحدث نفسه يكون قد أحدث اتصالا ذاتيا،هو المتكلم فيه و السامع في آن واحد« فالتفكير ليس سوى الحركات الشعورية الصوتية،وإنه نوع من الهمس غير المسموع الذي يدور بين المرء و نفسه »[4].

فالحوار الذاتي نمط خاص من التواصل _الذي يفترض وجود تبادل بين شخصين على الأقل _ المتكلم فيه هو نفسه المخاطب،ولعل تمثلات الحوار الذاتي في **كليلة و دمنة** تظهر في قول **بيدبا** لتلامذته :« **اعلموا أني**

(1) شكري مبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية ، ص 352 .
(2) إبراهيم صحراوي ، النص الأدبي فضاء للحوار، مجلة علامات، جدة ، السعودية ،ج 54 ،م 14 شوال 1425 ديسمبر 2004 ، ص 598 .
(3) الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص 33.
(4) أحمد محمد معتوق ، الحصيلة اللغوية ، عالم المعرفة ، دط ، 1996 ، ص 31 .

أطلت الفكرة في دبشليم،وما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر...»[1]،إذ حصل الاعتقاد في ذات **بيدبا** بعدم صلاحية الملك ما دام الملك ظالما،وهذا النوع من التواصل الذاتي « يتضمن الأنماط التي تتشكل في ذات الفرد و يطورها في عملية الإدراك أي عن طريق الملاحظة و التقويم ، و إضفاء معنى على الأفكار و الأشياء الخارجية [2]، فالإنسان يفك الرموز في مجال الإدراك أولا،وذلك بتحويل الأشياء التي يميزها في عالمه الخارجي إلى دلالات تظهر لغيره إذ « أن إدراك الذات يتم على أساس تصور وجود الغير »[3].

فقد ترسَّخ في نفس الفيلسوف **بيدبا** الاعتقاد و الإيمان بما هو عليه الملك من جور و خروج عن العدل و سوء العشرة مع الرعية،وذلك ما يقوله الواقع و يترجمه،وبعد إجالة النظر و الفكر فيما هو عليه الملك،و بعد أخذ و عطاء مع النفس توصل **بيدبا** إلى وجوب الحد من تلك التصرفات،فصارح تلامذته بنيته و قصده في ردع الملك يقول:«**ونحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك إلا لنردهم إلى فعل الخير و لزوم العدل ، و متى أغفلنا ذلك و أهملناه لزمنا من وقوع المكروه بنا ، و بلوغ المحذورات إلينا إن كنا في أنفس الجهال أجهل منهم ، و في العيون عندهم أقل منهم،وليس الرأي عندي الجلاء عن الوطن،ولا يسعنا في حكمتنا إبقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة،وقبح الطريقة،ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا** »[4]، فهذا الكلام قد تمخَّض في نفس **بيدبا** و اختمر قبل أن يلقيه إلى تلاميذه،فقد أطال التفكير و حدَّث نفسه وحاورها في السبيل إلى ردع الملك عن سلوكه و أخلاقه المشينة مع شعبه« **فلما لم يجد عندهم ما يريد فكَّر... أن ذلك أمر إنما يتم باستفراغ العقل** »[5].

ومن التواصل الذاتي **الصمت و الإنصات**،وليس المقصود بهما الانقطاع عن الكلام بغير حاجة،وإنما المقصود الإنصات و حسن الاستماع،مما يفيد صاحبه في العملية التواصلية على التفكر و التدبر،فإذا ما أراد السامع أن يصل إلى درجة العلم بالشيء فعليه بحسن السمع و الإصغاء ذلك أن « أول العلم الصمت ، و الثاني الاستماع » [6] .

فالملك **دبشليم** بعد أن وقف الفيلسوف بيدبا بين يديه و سجد له و كفر،و استوى قائما ثم سكت،فكر دبشليم في سكوته و قال (في نفسه):« **إن هذا لم يقصدنا إلا لأمرين : ...**» [7]،وكذلك :« **نظرت إليك يا بيدبا ساكتا لا تعرض حاجتك و لا تذكر بغيتك فقلت:إن الذي أسكته هيبة ساورته أو حيرة أدركته،وتأملت عند ذلك في طول وقوفك ،وقلت:لم يكن لبيدبا أن يطرقنا على غير عادة إلا لأمر حركه إلى ذلك ..فهلا نسأله عن سبب دخوله ؟ فإن يكن من ضيم ناله...و إن كانت بغيته غرضا من**

---

(1) كليلة و دمنة ، ص 15 .
(2) عبد العزيز شرف ، علم الإعلام اللغوي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط1 ، 2000 ، ص 12 .
(3) عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي ، ص : 59 .
(4) كليلة و دمنة ، ص15 ، 16 .
(5) المصدر نفسه ، ص 35 .
(6) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 198/2 .
(7) كليلة و دمنة ،ص 20 .

أغراض الدنيا ...وإن يكن من أمر الملك...و إن كان شيئا من أمور الرعية يقصد فيه أن اصرف عنايتي إليهم نظرت إلى ما هو،فإن الحكماء لا يشيرون إلا بالخير،و الجهال يشيرون بضده » [1].

فالنظر هنا بمعنى التبصر و التأمل في داعي صمت **بيدبا**،هذا الصمت الذي يقول الشيء الكثير،مما أثار الحيرة في نفس الملك،فأجرى بينه و بين نفسه حوارا داخليا أو **مونولوجا** أو تواصلا داخل ذاته لعله يصل إلى سبب صمت الفيلسوف،وقد صارحه بالحوار الذي أجراه في نفسه،والتساؤلات التي لم يجد لها إجابات،وعندئذ قال:«**وأنا قد فسحت لك في الكلام** »[2].

وبعد أن تكلم بيدبا و فرغ من مقالته و قضى مناصحته،أوغر قلب الملك و أمر به أن يقتل و يصلب،إلا أنه فيما بعد أحجم فيما أمر به،إذ في ليلة من الليالي سهد سهدا شديدا«**فمدَّ إلى الفلك بصره،وتفكر في تفلك الفلك،و حركات الكواكب فأغرق الفكر فيه فسلك به إلى استنباط شيء عرض له من أمور الفلك،والمسألة عنه،فذكر عند ذلك بيدبا،و تفكر فيما كلمه فيه ، فارعوى لذلك و قال في نفسه : لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف و ضيعت واجب حقه ، و حملني على ذلك سرعة الغضب** »[3]،وذلك من باب إعمال الفكر والتعقل بالاعتبار و الإنصات، وقد أنفذ في ساعته من يأتيه به « **قال الملك : يا بيدبا، أعد عليَّ كلامك كله و لا تدع منه حرفا جئت به ،فجعل بيدبا ينثر كلامه و الملك مصغ إليه ،و جعل دبشليم كلما سمع منه شيئا ينكت الأرض بشيء كان في يده** »[4]،فنكت الأرض أمارة على التفكر في ما يلقى على السمع،فالمستمع الصامت في أغلب الأحيان إنما ينصت إلى محدثه، و يجري عمليات تواصلية داخل ذاته ،و هو يفكر في الرد عليه أو ما يمكن أن يضيفه إلى ما يسمع من قول[5].

و يؤكد **الجاحظ** على أهمية الإنصات في أكثر من موضع من مؤلفه البيان و التبيين،وينقل لنا في النص الآتي ما أوصى به عبد الله بن الحسن ابنه محمدا فيقول:« أي بني،إني مؤد إليك حق الله في حسن تأديبك،فأد إلي حق الله في حسن الاستماع...واستعن على الكلام بطول الفكر في المواطن التي تدعوك فيها نفسك إلى القول،فإن القول ساعات يضر فيها خطؤه ،ولا ينفع صوابه »[6].

فالإنصات و التدبر و التأمل فيما يقال من آداب المحاورة لذلك يدعو ابن الحسن في النص السابق ابنه إلى الاستعانة بالإنصات و الصمت،ولذلك يقول محمد بن حفص« كن إلى الاستماع أسرع منك إلى القول »[7]، فالصمت و حسن الإصغاء طريق إلى العلم،إذ يعين على التفكر،وإنزال الأمور منازلها التي تليق بها،و يتبين ذلك من خلال قول الملك :« **يا بيدبا، إني قد استعذبت كلامك،وحسن موقعه في قلبي،وأنا ناظر في الذي أشرت به،وعامل بما أمرت.ثم أمر بقيوده فحُلَّت وألقى عليه من لباسه و تلقاه بالقبول...و قد وليتك**

(1) كليلة و دمنة ، ص 21 .
(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) المصدر نفسه ، ص 28 .
(4) المصدر نفسه ، ص 29 .
(5)جان كلود مارتان ، ما التواصل ؟ تر : س.ب ، مجلة علامات ، ص 19 .

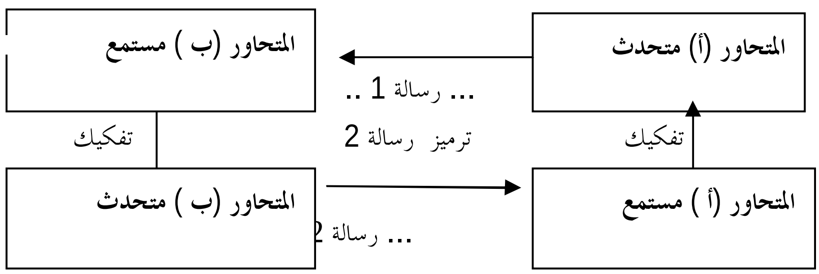
من مجلسي هذا إلى جميع أقاصي مملكتي»[1]،فكلام الملك دال على اقتناعه بما أراد بيدبا نصحه به، فارتدع عن أفعاله السابقة بعد تأمل و تدبر.

فالتواصل الذاتي،والحال هذه،قائم على الاعتبار و التأمل و التفكر،أو فيما اصطلح عليه الجاحظ بالنصبة التي هي « الحال الناطقة بغير اللفظ،والمشيرة بغير اليد،وذلك ظاهر في خلق السموات و الأرض،و في كل صامت و ناطق،و جامد و نام،وزائد و ناقص،فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق...لذلك قال الأول سل الأرض فقل : من شق أنهارك،وغرس أشجارك،وجنى ثمارك ؟ فإن لم تجبك حوارا،أجابتك اعتبارا »[2].

وبالفعل فقد آتى الصمت أُكلّه ، و هو في الحقيقة صمت ايجابي،إذ« **لما انتهى المنطق بالفيلسوف إلى هذا الموضع سكت الملك** »[3]،فالصمت سلوك معروف بدلالته على القبول،والاقتناع بالحديث،والذي ما أمكن إلا بحسن الإصغاء و الاستماع.

Ã التواصل الشخصي: إن الخطاب لا يتم إلا بين شخصين فما فوق« فالمخاطبة مفاعلة،ولا تستعمل إلا بين نفسين يصح لكل واحد منهما أن يخاطب ابتداء و يجيب صاحبه على خطابه »[4]، و في حالة الحوار مع الذات ، أو التواصل الذاتي،كما سبقت الإشارة،أو ما يسمى بالمونولوج أو المناجاة الذاتية فإن الداخل يقوم مقام الغير الذي يتجه إليه الخطاب.ويشترط في التواصل الإفادة،ذلك أن«التخاطب إجمالا عبارة عن إلقاء جانبين لأقوال بغرض إفهام كل منهما الآخر مقصودا معينا »[5]،وذلك مدار البلاغة « لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه»[6] .

و التواصل فعل قصدي« ينبني...على أساس تبادل الوظائف بين المخاطب و المخاطب عبر نفس الوضع même code ليتحول المتلقي نفسه إلى مرسل،والمرسل إلى متلق خلال عملية الإرسال و الاستقبال »[7]،و يمكن تمثيل هذا التبادل من خلال المخطط الآتي[8] :



(1) كليلة و دمنة ، ص 29 .
(2) الجاحظ ، البيان و التبيين ، 81/1 .
(3) كليلة ودمنة ، ص 335 .
(4) أحمد يوسف ، السيميائيات و التواصل ، علامات 24 ، ص 37 .
(5) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 237 .
(6)أبو هلال العسكري ، سر الصناعتين ، ص 15 .
(7)ذهبية حمو الحاج ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، ص150 .
(8)الطاهر بومزبر ، التواصل اللساني و الشعرية ، ص26.

وفي **كليلة و دمنة** يتنامى الحوار على اعتبار أن « الحوار يعد استجابة لتمظهرات لسانية تتناسل تناسلا لا نهائيا لا تحبسه أي إرادة خارجية »[1]،وبالتالي النص، بمدى رغبة الملك دبشليم في السرد،وهذا ما يحرص عليه بشدة محدثه الفيلسوف **بيدبا**،حتى يضمن متابعة يقظة و متحمسة،ويجعل السامع يشارك في العملية السردية،فإذا لم يبد السامع رغبة في الاستماع فإن السرد يصبح بلا معنى و بلا جدوى،الراوي إذن يحرص على تلبية دعوة السامع،و بدون هذه الدعوة لا يصغى إليه و لا يؤبه له .

هذه الدعوة يتم التعبير عنها بصبغة قد تختلف من حكاية إلى حكاية : « **حدثني عن** » ، « **اخبرني** » ، « **اضرب لي مثلا** »،فهذه الألفاظ تومئ بفكرة التفاعل أو تبادل الأدوار في حلقة الكلام،فالمستمع متلق قد يتحول إلى متكلم ، و السائل متكلم يتحول إلى متلق،وهكذا وفق ما يقتضيه الموقف التواصلي،وإذَّاك يشرع **بيدبا** في عرض بعض الحكم التي تأخذ بالضرورة صبغة العمومية،و يختم خطابه الحكمي بجملة تشويقية من نوع:«**و من أمثال ذلك** »،فيسأل دبشليم:«**و كيف كان ذلك** ؟ ».هذا السؤال ينبئ عن رغبته في الإصغاء،وفي معرفة ما جرى بين شخوص الحكاية،و بمجرد أن تظهر الرغبة في السرد تبدأ الحكاية :« **زعموا أنه كان بمكان كذا** » .

وبذلك فإن السرد يحتاج إلى الإعلان عن نفسه بصيغة من الصيغ تكون بالنسبة إلى الحكاية كالإطار بالنسبة إلى اللوحة...و إن شيئا من التفكير يجعلنا نعتقد بأن السرد القديم يحرص على احترام افتتاحية معينة تتكرر بصفة ملحوظة ، و يحترم كذلك خاتمة معينة تؤكد نهاية الحكاية و تثبت أهمية الإطار[2]، فعلى سبيل المثال تنتهي حكاية « **الناسك و جرة السمن** » بهذه الجملة:«**وإنما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجل بذكر ما لا ينبغي ذكره،وما لا تدري أيصح أم لا يصح ،و لكن أدع ربك و توسل إليه و توكل عليه** »[3].

و في هذا السياق لا بد من التنويه أن الحوار في **كليلة و دمنة** هو في البدء حوار بين الفيلسوف **بيدبـــــــــــــــــــــــا** و الملك **دبشليم**،إلا أننا إذا أمعنا النظر في جميع نصوص الكتاب نجد ذاتا متكلمة واحدة،تبادر بالكلام و تدير الخطاب،ألا و هي ذات بيدبا نفسه،ويتجلى بوضوح من خلال النصوص السردية التي بين أيدينا أنها تحوي داخلها ذاتان ؛ ذات متكلمة و مدعية و مندفعة نحو التأثير على الغير،وذات باطنة معترضة تقف في صف المستمع،تفحص كل كلمة و كل معنى تريد الذات الأولى إطلاقه[4].

---

(1)أحمد يوسف ، السيميائيات و التواصل ، علامات 24 ، ص 37 .
(2) عبد الفتاح كيليطو ، الحكاية و التأويل ، دراسات في السرد العربي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، دط ، دت ، ص 34 .
(3)كليلة و دمنة ، ص 261 .
(4) للتوسع في مفهوم قصد الادعاء و قصد الاعتراض راجع طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 225 .

وفي هذا المضمار تشير **أوركيوني** إلى السبب في عدم اعتبار الرواية حوارا بمعنى الكلمة،ذلك أنها نتاج الفعالية الباثة فقط،وليس للفعالية المستقبلة دور في إنتاجها[1]،تقول:«حوار(مصطلح واسع):خطاب موجه،لكنه لا ينتظر جوابا، بسبب النظام التلفظي الذي ينتمي إليه،أو المعايير الخاصة التي تدير وظيفته مثل(معظم النصوص المكتوبة،وبعض الخطابات الشفوية،خطابات إعلامية، قراءات شعرية ، محاضرات أكاديمية ، الخ) »[2]،و تضيف أنَّ هذه الخطابات قد تكون تحاورية « إذا ما كانت تضم عدة أصوات »[3].

وانطلاقا من نص **كليلة و دمنة** يمكن تصنيف أنواع الحوار فيه إلى :

Ã حوار خارج _نصيExtratextuel بين المؤلف الحقيقي (الفيلسوف بيدبا)والقارئ الحقيقي (الملك ديشليم):وهي الحالة التي تختص بكل مقابلات المؤلف لقرائه سواء بطريقة خاصة أو بطريقة معلنة للجمهور،وفي **كليلة و دمنة** تم الحوار بين الطرفين أو لنقل تمت القراءة الأولى **لكليلة و دمنة** في جو احتفالي،وتلك صورة تنم عما يتمتع به من إمكانات التأثير الجماهيري في إطار مسرحي أشبه ما يكون بالقراءة الدرامية،ذلك أن الملك دبشليم حدد يوما لسماع الكتاب:« **ووعده يوما يجمع فيه أهل المملكة ثم نادى في أقاصي بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب،فلما كان ذلك اليوم أمر الملك أن ينصب لبيدبا سرير مثل سريره،و كراسي لأبناء الملوك و العلماء** »[4].

Ã حوار خارج _نصي بين المؤلف الحقيقي و القارئ الافتراضي(المنخرط):وفيه يستهدف المؤلف القراء المتوقعين، فيحاول أن يجيب عن الأسئلة المفترضة ثم يرغب و يوجه إلى قراءة كتابه ،و في **كليلة و دمنة** فإنَّ القارئ الافتراضي هو«متلق ينخرط انخراطا فعالا في فعل السرد،وتفريع الحدث»[5]،لكن حضوره كامن في ذهن المؤلف،ذلك أنه القائم بفعل السرد و ليس الراوي،ويرى عبد الفتاح كيليطو أن«تسلسل الأفعال السردية رهن باعتقادات المتلقي حول مجرى الأمور ، فالقائم بالسرد ملزم باحترام هذه الاعتقادات إلى حد أنه يمكن أن يقال أنَّ

القائم بالسرد الفعلي هو المتلقي »[6]،إذ لا يفتأ الملك **دبشليم** أن يسمع صوته داخل الكتاب،إذ هو الذي يقترح في بداية كل فصل الموضوع الذي يجب أن يتطرق إليه **بيدبا** ، و ما لبيدبا إلا تنفيذ الأمر .

وفي هذا المستوى يحاول المؤلف أن يتطابق مع الصورة التي حددها له القراء المفترضون،وفي حال حدوث العكس فإن القراء يصابون بخيبة أمل،على أن رد فعل المتلقي الافتراضي،الذي هو عند الفيلسوف **بيدبا** الملك

---

(1)على أن السلطان دبشليم من ناحية يعد مؤلفا ضمنيا لكليلة و دمنة ، فهو المقصود بالحكمة ، كما أن بيدبا لم يؤلف الكتاب من تلقاء نفسه ، و إنما استجابة لرغبة عبر عنها دبشليم ، إذن لا بد من الانتباه إلى مشاركة المتلقي في انجاز الكتاب .

(1) Orecchioni ,Les intraction verbale ,p 15

نقلا عن : لبوخ بوجملين ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 238 .

(2) Ibid ,p 16 نقلا عن المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

(4) كليلة و دمنة ، ص 38 .

(5)علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم ، المر[illegible] ، 2003 ، ص 237 .

(6) عبد الفتاح كيليطو ، الأدب و الغرابة ، دار الطليعة ، دط، 1982 ، ص36 .

دبشليم، و ذلك في المستوى العميق /الضمني، يتوضح من النص الآتي: « **قال الملك:يا بيدبا،ارفع رأسك فإن هذا يوم هناء و فرح و سرور ، و أمره الملك أن يجلس،فحين جلس لقراءة الكتاب سأله الملك عن كل باب من أبواب الكتاب، و إلى أي شيء قصد فيه ، فأخبره بغرضه فيه و في كل باب ، فازداد الملك منه تعجبا و سرورا ، فقال له : يا بيدبا ما عدوت الذي في نفسي،و هذا الذي كنت أطلب ، فاطلب ما شئت و تحكم** »[1].

Ã حوار داخل نصي(بين النصوص):و يتوضح ذلك من خلال الاستطرادات القصصية في **كليلة و دمنة** (باب: الأسد و الثور،الفحص عن أمر دمنة ، الحمامة المطوقة)،وإدخال أمثولة على أمثولة في مشهدية درامية،وكأن الحكايات تتحاور فيما بينها بحيث تفسح الحكاية الواحدة منها الدور لحكاية أخرى لتظهر للمشاهدين بما تحتويه من شخوص و حوار و مشهدية درامية فضلا عن اللغة التي« تحمل طاقة حركية درامية لا تقف عند حدود إظهار القدرة اللغوية أو البلاغية...و إنما تتعانق مع الحدث و الشخصية »[2].

Ã حوار داخل_نصي بين المؤلف المنخرط و الشخصيات بما فيها الراوي:فقد يتدخل المؤلف في نصه لمحاورة الشخصية و كذلك الراوي،فللمؤلف وجودا داخل _ حكائي فيصبح شخصية من شخصيات الحكاية،عندها يمكن أن نطلق عليه : شخصية _المؤلف،فتتماثل هذه الحال بحوار الشخصيات،لكنها تعكس وضعية حياتية أين يصبح المؤلف مسكونا بشخصياته فيذهب إلى حد محاورتهم ذهنيا[3].

وفي **كليلة و دمنة** فإن مثل هذا الحوار هو حوار ضمني نتيجة لدواع سياقية،فمن البديهي أن يكون الفيلسوف **بيدبا** المؤلف الفعلي **لكليلة و دمنة** هو المسير لفعل السرد؛بل إنه يتبدى في كل شخصية خيّرة من شخصيات حكاياته ، لذلك كثيرا ما نجده يقيم حوارات،وإن كانت ضمنية،مع شخصياته تارة،ومع الراوي تارة أخرى،وكل ذلك خدمة للغاية الأساسية التي أنتج الكتاب لتبليغها.

Ã حوار ذهني و خارج نصي بين القارئ و المؤلف الحقيقي و المنخرط:ويأخذ هذا النوع طبيعة مونولوجية ،و يتعلق الأمر هنا بالإحساس الذي ينتاب القارئ الحقيقي عندما يتحاور مع المؤلف أو مع النص.

إنَّ هذه العناصر و غيرها [4] تمثل ما يمكن أن يعتمد عليه لفهم طبيعة الحوار في النصوص السردية،وبطبيعة الحال فإن هذه الحوارات ليست على المستوى نفسه، لأن [illegible] نصي،ولا يمكن عدها من النمط نفسه لا على المستوى الحواري و لا المستوى النصي ، فما بين المؤلف الحقيقي (**بيدبا** في **كليلة ودمنة**)،وبين القارئ الحقيقي (السامع الملك **دبشليم** على اعتبار التلقي الشفاهي **لكليلة و دمنة**) هو حوار حقيقي،ولن يشبه بحال من الأحوال الحوارات الأخرى .

× التواصل الاجتماعي :

---

(1) كليلة و دمنة ، ص38 ، 39 .

(2)علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، ص 125 .

(3) لبوخ بوجملين ، تواصل الفعالية السردية ، نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي ، ص 241 .

(4) أنظر : المرجع السابق ، ص 239 _ 243 .

معلوم أنَّ اللغة تواضع اجتماعي حيث« يوجد على الأقل في كل موقف تواصلي شخصان أحدهما فاعل حقيقي و الآخر فاعل على وجه الإمكان، أي المتكلم أو المخاطب على التوالي،وكلاهما ينتميان على الأقل إلى جماعة لسانية ؛ أي طائفة من الأشخاص لها نفس اللغة و ترابط ضروب الاتفاق و التواطؤ للقيام بالفعل المشترك الانجاز »(1).

فالمواضعة أساس التواصل بين أفراد المجتمع الواحد«ونعني بالاتصال أو التفاعل الاجتماعي هنا،جميع أشكال الاحتكاك والتواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية،وتدعو الأغراض الحياتية أو المعيشية للفرد و الجماعة ، و تستدعي التخاطب و استخدام اللغة في إطارها اللفظي أو الرمزي العام »(2).

على أنَّ التواصل الاجتماعي ليس تواصلا لفظيا فحسب؛بل قد يكون سلوكا اجتماعيا ذو طبيعة تواصلية «فكل سلوك اجتماعي يتضمن تواصلا سواء كان بمعنى صريح أو ضمني،فالمجتمع لا يبدو بوصفه بنية ثابتة،بل بوصفه شبكة بالغة التعقيد،و يعاد التأكيد و التشديد على هذه الشبكة بصورة خلاقة عن طريق أفعال معينة ذات أبعاد تواصلية »(3).

ويعد **كليلة ودمنة** نصا سرديا ينزع إلى الأداء استنادا إلى الجو الاحتفالي الذي تمت فيه القراءة الأولى،ذلك أن « الحكاية تتوسل باللغة و بالأداء،أي أنها تداعب السمع و النظر ، فهي أكثر تجسيدا للمقاصد... لأنها مخرجة للحالة من الوهم إلى التشخيص »(4)في ظل التواصل الشفاهي،الذي« يوحد الجماعة،لأنه يخاطب بنيات جماعية،ولأن فعل القص في الجماعة يمثل انجازا حميميا،ومشاركة وجدانية جماعية ملموسة »(5)،وهنا يكمن الدور الايجابي للمتلقين فـــــــــــــــــ« لا يقتصر على الاستماع فقط،بل يتعداه إلى مجموعة من ردود الأفعال،التي تتمثل في عدد من الممارسات السلوكية،التي تعد بدورها استكمالا للطابع الدرامي الذي تبدأ به العملية الأدائية للقص من جانب القاص »(6) .

×الخطاب السردي و قواعد التخاطب

إنَّ من مبدأ خضوع المخاطب للمتلقي و خضوع المتلقي للمخاطب كان لزاما البحث عن القواعد التي تساهم في تواصل النشاط الكلامي (الخطابي) استنادا إلى مبادئ جرايس،التي تعمل على إنجاح العملية التواصلية أو الرفع من القوة الانجازية للفعل الكلامي،أو بغية تحقيق مكاسب معينة على الصعيد الاجتماعي أو السياسي .

---

(1)فان دايك ، النص و السياق ، ص 258

(2) أحمد محمد معتوق ، الحصيلة اللغوية ، ص71 .

(3)رومان جاكبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط1 ، 2002، ص 59 ، 60 .

(4) علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، ص33 ، 34.

(5)المرجع نفسه ، ص 236 .

(6)ألفت الروبي ، الموقف من القص في تراثنا النقدي ، ص105، نقلا عن : علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، ص 225 .

ويشير الدرس التداولي إلى أربعة اتجاهات أساسية عنيت بهذه القواعد،وهي مبدأ التعاون **لغرايس** ، ومبدأ التأدب **لروبين لايكوف** ، و مبدأ الوجه **لبراون** و لوفينسون ، و مبدأ التأدب الأقصى **لليتش.**

✖**مبدأ التعـــــــــــــــــاون :** ويقتضي« أن يتعاون المتخاطبون على الوصول إلى الغرض المطلوب من دخولهما في التخاطب »[1]، و يضم هذا المبدأ أربعة أحكام فرعية :

Ã**قاعدة الكـــــــــــــــــــم :**ومؤداها« لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته من غير زيادة و لا نقصان »[2]، فلا يقلل المتكلم كلامه إلى الحد الذي لا يفهم فيه خطابه،كما لا يكثر منه إلى الحد الذي يدخل الملل و الضجر في نفس متلقيه.

وفي **كليلة ودمنة** يصارح **بيدبا** في افتتاحية الكتاب أو مقدمته تلاميذه بنيته و مقصده في التصدي لطغيان و ظلم الملك **دبشليم** للرعية،يقول:« **اعلموا أني أطلت الفكرة في دبشليم ،وما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر و رداءة السيرة و سوء العشرة مع الرعية** »[3]،وقد بنى فكرته هذه على ما تعارفت عليه الشعوب من أن الشر سيطال جميع فئات المجتمع،إن هم سكتوا عن فساد الحكم .

و قد ورد في كتاب **كليلة و دمنة** من أوله إلى آخره العزم على فك ضيق حال الشعوب و تغيير مصائرها و ذلك على أيدي العلماء،على اعتبار أن العلم و المعرفة هما مصدر الفضيلة و الحكمة و السؤدد،وحجة ذلك ما جاء على لسان الفيلسوف بيدبا متجسدا في الضمير « **نحن** » في قوله:« **و نحن ما نروض أنفسنا لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك إلا لنردهم إلى فعل الخير و لزوم العدل،ومتى أغفلنا ذلك و أهملناه لزمنا من وقوع المكروه بنا ،و بلوغ المحذورات إلينا** »[4].

فالضمير العائد «**نحن** » منفصلا و متصلا في العبارة يحيل بالمعنى القريب على الفيلسوف و تلامذته، في حين يشمل بالمعنى البعيد كل من هو في مرتبة الفيلسوف،علما و فضلا، في أي زمان و مكان.

ثم هو في موضع آخر من الكتاب اختار الفيلسوف أن تتم عملية الإخبار على لسان بهيمتين تنطقان بالحكمة ، حتى تصغي إليهما الخاصة و العامة على تفاوت درجة الاستفادة منه .

ومما لا شك فيه أن المتكلم يتوسل من خلال خطابه إقناع السامع بما يراه،وهذا كله لا يتأتى بالإكراه؛وإنما بالاقتناع الذي يقترن في بعض الأحيان بالإمتاع،يقول طه عبد الرحمن:«وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون...أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب،وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء،ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين » [5].

---

(1) طه عبد الرحمن ، التواصل و الحجاج ،مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، المغرب ، دت ، دط ، ص 12 .
(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(3)كليلة و دمنة ، ص 15 .
(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(5) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص226 .

فالباحث يؤكد هنا على ما للإمتاع من أهمية في حصول الاقتناع،حيث يقوم المتكلم باستغلال هذا الإجراء حتى يذعن السامع و يقتنع.وقد كان لفعل السرد في **كليلة و دمنة** الأثر الايجابي في نفس الملك دبشليم،إذ استطاع بيدبا صياغة تصور شامل للمتلقي النموذجي السردي،وما يمكن أن يؤثر فيه،وفد وقع اختياره على الحكاية الخيالية،ذلك أن « ما يقدم من خيال**...**يخرج من الواقع،و لكنه يأخذ الحس الجمالي فيتحول الشخص إلى مثال عام لكل من يشبه هذا المثال الجمالي،ومن ثم لكل شخص رمز فكري،تكمن الحقيقة _بمفهومها الأخلاقي _تحت هذه الأمثلة و الشخوص و الرموز،لأنها تتوارى مع رموز اجتماعية أراد المبدع تصويرها،كما أن التحوير الحادث في نمط الشخصية يأتي من قبيل تكبير المثالب و تكبير المحامد،لنبعد عن المذمة و نقترب من المحمدة »[1].

ولأنَّ النفس البشرية على العموم تملّ خطاب الحكمة، فقد اقترن الإقناع في كليلة و دمنة بالإمتاع ، حتى يخرجها من الحالة الأولى التي كانت عليها إلى درجة من اليقين بما تحتويه من مضامين أخلاقية قيمة ، بغض النظر عن كثافة نصوص كليلة و دمنة ، و تكرارها للعديد من المضامين في أكثر من موضع ، فقد سُرَّ الملك به وأنس، جاء في الكتاب:« **فازداد الملك منه تعجبا و سرورا فقال له:يا بيدبا ما عدوت الذي في نفسي و هذا الذي كنت أطلب ، فاطلب ما شئت و تحكم** »[2]. وكذلك اعتبر،إذ« **لما انتهى الفيلسوف إلى هذا الموضع سكت الملك** »[3]،وفي السكوت دلالة على الاقتناع بالمقول و حصول الفائدة بالتمام .

Ã قاعدة الكيف:وتشترط هذه القاعدة الصدق في الكلام الموجه إلى المخاطب،و مفاده « لا تقل ما تعتقد أنه كاذب ، لا تقل ما تفتقر إلى دليل كاف عليه»[4].

ومن يقرأ كتاب **كليلة و دمنة** يجد أن الاستعارة تغذي نصوصه بأكملها ، ذلك أنه نص استعاري على الأقل بالنسبة لواضعه الفيلسوف بيدبا،قصد منه استعارة دلالات على ألسنة الحيوان،حيث يتحرك أمامنا بعواطف الحب،و الغيرة ، والكبرياء ،والكراهية ،والمكر،والخبث،والتسرع،والأسى،والانطواء،والإخلاص**...**وهي دلالات تشبه تلك التي في عوالم البشر.

ولئن عُدَّ النشاط الاستعاري اختراقا أو انتهاكا لقواعد المحادثة الأربع، بما فيها انتهاك قاعدة النوع (ليكن إسهامك في الحديث صادقا)،فإن هذا لا يعني أن « استعمال الاستعارة معناه الكذب»[5]،إذ يمكن

---

(1)علي بن تميم ، السرد و الظاهرة الدرامية ، ص 107.

(2)كليلة و دمنة ، ص 38 ، 39 .

(3) المصدر نفسه ، ص335 .

(4)صلاح إسماعيل ، نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس ، الدار المصرية السعودية للطباعة ، القاهرة ،ط1،2005،ص87 نقلا عن : رحيمة شيتر ، تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب أنموذجا ،أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في الأدب ، إشراف الأستاذ الدكتور :عبد القادر الدامخي ،جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، الجزائر، 2008-2009 ،ص137 .

(5)بتصرف :سعيد الحنصالي ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، دار تويقال ، دط ، 2005 ــ ص150 .

للاستعارة أن تبدع حقائق جديدة،وعدها بمثابة نبوءات تضمن تحققها بعينها ، و بإمكانها أن تقدم تسويغات لتغييرات سياسية و اقتصادية(1).

ويرى **لايكوف** و **جونسون** أنه لا يوجد صدق موضوعي مطلق و غير مشروط،وإنما «الصدق دائما يبنى بالنظر إلى نسق تصوري ثم تحديد جزء كبير منه من خلال الاستعارة »(2)؛إذ يمكن للاستعارات أن تتضمن حقائق تتعدى نطاق التعابير الحرفية.

فليس بالضرورة يظهر المتكلم عكس ما يخفي،ولا يقتصر غرضه فقط على تقديم معلومات ملتبسة للمتلقي للمتلقي(3)،وإنما يمكن للاستعارة أن تكون صادقة تعكس الواقع بإحكام.

كما أن الحكمة الناطقة على ألسنة الحيوانات و التي احتوتها نصوص **كليلة و دمنة** هي حكمة راسخة في ذهنية البشر أينما كانوا،وفي أي زمن عاشوا ، ذلك أن الأخلاق الفاضلة إنما هي موضع إجماع البشرية جمعاء، و لا يمكن لأحد أن ينفي ذلك و إن كان سلطانا.

كذلك لا ينفك **بيدبا** أن يستشهد بأقوال العلماء في كل حكاية من حكايات الكتاب،وهذا الاستشهاد المتواتر بآرائهم يدل على أنهم معدن الحق و الخير،وأنهم تجسيد للحكمة مما يصبغ خطابه صبغة صادقة،فلا مناص للملك دبشليم إلا الإصغاء و الإذعان لها ،فالعلم و الفضيلة هما مصدرا الفضيلة و السؤدد.

Ãقاعدة العلاقة أو المناسبة : يتحرى المتكلم تلاءم موضوع الخطاب مع السياق المحيط ، أو بعبارة أخرى«ليناسب مقالك مقامك»(4).

وفي **كليلة و دمنة** أدرك الفيلسوف **بيدبا** طبيعة متلقيه الملك **دبشليم** بشكل دقيق،وما هو عليه من الخلق السيئ و الطباع الفظة،وقد اتعظ من اللقاء الذي جمعه بالملك،إذ هرع ليسدي له النصيحة فلاقى ما لاقاه من التحقير و الاستصغار،يقول دبشليم :« **لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أحدا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله،ولا يقدم على ما أقدمت عليه،فكيف أنت مع صغر شأنك،وضعف منتك،وعجز قوتك ؟ولقد أكثرت إعجابي من إقدامك عليَّ،وتسلطك بلسانك فيما جاوزت فيه حدك،وما أجد شيئا في تأديب غيرك أبلغ من التنكيل بك**»(5) ، فلولا حظـــــه الجيد لذاق صنوف العذاب جراء مكاشفته الملك عُيوبَـــــــــــــــه ؛ بل إنَّـــــــــــــــــه كاد يقتـــــــل ويصلب،وهذا ما يعكس الدور الخطير للسياق العام الذي ينجز فيه الخطاب .

---

(1) لايكوف ، الاستعارات التي نحيا بها ، ص 159 .
(2) المرجع نفسه ، ص 163 .
(3)أمبرتو إيكو ، السيميائيات و فلسفة اللغة ، تر: أحمد الصمعي ، المنظمة العربية للترجمة ،بيروت، ط1،2005، ص238 .
(4) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 238.
(5) كليلة و دمنة ، ص27 .

وبالتالي صار لزاما على الفيلسوف **بيدبا**«مراعاة كيفية التعبير عن قصده،وانتخاب الإستراتيجية التي تتكفل بنقله مع مراعاة العناصر السياقية الأخرى »[1]حتى لا يلقي بنفسه في التهلكة .

وبعد استفراغ العقل و إعمال الفكر و بفضل حكمته ارتأى أن يكون كلامه على لسان بهيمتين **(كليلة ودمنة)**يقول:«**فأصغت الحكماء إلى حكمه،وتركوا البهائم و اللهو،وعلموا أنها السبب في الذي وضع لهم،ومالت إليه الجهال عجبا من محاورة بهيمتين،ولم يشكوا في ذلك و اتخذوه لهوا ،و لم يعلموا الغرض الذي وضع له** »[2].

ففي الكتاب سر لن يفطن إليه إلا القارئ الذي« **يديم النظر من غير ضجر و يلتمس جواهر معانيه،ولا يظن نتيجته إنما الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاورة سبع لثور،فينصرف بذلك عن الغرض المقصود** »[3] .

ويستفاد من قاعدة العلاقة أو المناسبة أنها قد تخرق سيما في المخاطبات الداخلية،فقد يتاح للمتكلم بيدبا (أو ما ينوب عنه كالسارد أو مجموعة السراد مثل ما رأينا في **كليلة و دمنة)** أن يأمر و ينهي في الوضع الذي لا تتاح له هذه الأفعال على مستوى التواصل العادي.

على أنَّ هذا الخرق في الواقع لا ينتج عن عدم مراعاة الملك **دبشليم**؛بل ينتج عن مراعاة مقام أولى منه،وهو مقام الأخلاق،التي هي دستور الشعوب،والذي يقضي إلى تعديل رؤية تلك المخاطبات،وقبولها في سياق الفعل السردي،لا الفعل الكلامي العادي .

Ã قاعدة الجهة أو الطريقة :على المتكلم مراعاة الوضوح،وترتيب الكلام،والإيجاز،والابتعاد عن الغموض و اللبس،على أن الخطاب السردي سرعان ما يتمرد على مثل هذه القواعد،ولعل هذا الأمر طبيعي،فاحترام الخطاب السردي لقواعد التخاطب يدخله في بوتقة الخطاب العادي .

وفي **كليلة و دمنة** فإنَّ المقصدية الفعلية من وراء السرد هي مقصدية متوارية،وهنا تكمن إشكالية الوضوح و الابتعاد عن اللبس و الغموض في توجيه الخطاب« فالعبرة هي بالقصد الظاهر من صيغة العقد ، أي ما يتلفظ به المرسل حتى لو لم تتفق مع قصده الباطن ، لأنه يصعب التأكد من المقاصد عند مخالفتها لمقتضى الألفاظ»[4]،و**كليلة و دمنة** خطاب ينتهك قاعدة الوضوح و ذلك لدواع مقامية و مراعاة لسلطة المتلقي الملك **دبشليم** وخوفا من رد فعله،فقد اختبر الفيلسوف **بيدبا** ذلك لما صارحه بما هو عليه من الخروج عن العدل،و ظلمه للرعية ، و قد رأينا عاقبة ذلك على بيدبا،وعليه انتخب الإستراتيجية التلميحية من خلال فعل التشخيص أو توسل الحكمة على لسان الحيوان في إطار حكائي يلهي متلقيه و يشغله،على أنه في آخر المطاف يستدعي منه استخلاص العبرة و الغرض الأساسي من فعل الحكي.

---

(1)طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 180.

(2) كليلة و دمنة ، ص37 .

(3) المصدر نفسه ،ص 70.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 186 .

كذلك روعيت قاعدة ترتيب الكلام في **كليلة و دمنة**،إذ أن قارئ حكاياتها يجد أنها وردت ضمن القصة الإطار التي يعد« تجاوز بنيتها السردية غير منطقي،فتلك المتون رويت ضمن حكاية أقل طولا و إشارة، بما يجعلها تؤطر تلك المتون كما يحيط الإطار بالصورة »(1).

وإدخال أمثولة على أمثولة و الروايات المتداخلة كما في حكايات **الأسد و الثور**(2)،و**الفحص عن أمر دمنة**(3) ،و **الحمامة المطوقة**(4)، إنما هي من اقتضاء فعل الحكي ،كما أنّ هذه الطريقة تستدعي اهتمام السامع و تشد اهتمامه و تخطف سمعه و تعمل على تشويقه و استشرافه للقادم من أحداث الحكاية،والتي بالطبع تتوج بحكمة معينة ترتبط ارتباطا مسببيا بأحداثها ، و خير دليل هو السؤال المعهود الذي تتبناه الشخصيات المحكي له وهو:«**وكيف كان ذلك** ؟»،ولذلك يمكن القول أن الاستطرادات القصصية في **كليلة و دمنة** إنما هي استطرادات قصدية و محمودة و مستساغة لدى السامع،فمدار الأمر عند كل سارد« ألا يطيل فيملَّ السامع،ولا يقطع و بالنفوس ظمأ للمزيد »(5).

✖**مبدأ التأدب:** و قد صاغته **روبين لايكوف** في مقالها« منطق التأدب»،ويتفرع إلى مبادئ تظهر ضمن قاعدتين هما :كن واضحا،وكن مؤدبا.هذه القواعد ليست بالدرجة نفسها في الحضور،وإنما لكل منها مجالها السياقي« إذ تغدو الغلبة أحيانا لقاعدة التأدب،في الحوارات غير الرسمية،مقابل قاعدة الوضوح،ومرد ذلك هو أولوية تقوية أواصر العلاقات الاجتماعية على تبليغ المعلومات »(6).

وقد فرعت **لايكوف** ثلاث قواعد عن مبدأ التأدب سمتها قواعد تهذيب الخطاب،إذ يتلفظ المرسل بخطابه وفقا لواحد منها أو أكثر،وهي:« **قاعدة التعفف** :و مقتضاها هو : لا تفرض نفسك على المخاطب،ولتجعل المخاطب يختار بنفسه . **قاعدة التودد** :ومقتضاها هو: لتظهر الود للمخاطب»(7).

في **كليلة و دمنة** تمت مراعاة كلتا القاعدتين؛إذ أنَّ **بيدبا** لم يفرض نفسه على الملك **دبشليم** (8)، ذلك أنه لم يؤلف الكتاب من تلقاء نفسه،أو محبة في التأليف؛وإنما استجابة لرغبة عبَّر عنها الملك بقوله:« **يا بيدبا،إنك حكيم الهند و فيلسوفها،وإني فكرت و نظرت في خزائن الحكمة التي كانت للملوك قبلي،فلم أر فيهم أحدا إلا و قد وضع كتابا يذكر فيه أيامه و سيرته،وينبئ عن أدبه و أهل مملكته...وأخاف أن يلحقني**

---

(1) عبد الله إبراهيم ، السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ،ص 93 .
(2) كليلة و دمنة ، ص 94 .
(3) المصدر نفسه ، ص163 .
(4) المصدر نفسه ، ص192 .
(5)ابن رشيق ، العمدة في صناعة الشعر و نقده ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط1 ، 2000 ، ص24.
(6)عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 100.
(7) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 240 ، 241 ، أنظر كذلك : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص100.
(8) رأينا ما حصل للفيلسوف بيدبا إذ فرض نفسه على الملك دبشليم لما أتاه ناصحا ، إذ لولا أن الملك رجع عن قراره وتاب عنه لقتل وصلب ، يقول دبشليم :« لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف و ضيعت واجب حقه و حملني على ذلك سرعة الغضب ...و ما كان هذا جزاؤه مني ؛ بل الواجب أن اسمع كلامه و انقاد لما يشير به » ص28 .

ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه،ولا يوجد في خزائني كتاب أذكر به و ينسب إلي،وقد أحببت أن تضع لي كتابا بليغا...يبقي لي بعدي ذكرا على غابر الدهور »[1].

كما أنَّ الملك **دبشليم** هو الذي يقترح،في بداية كل فصل،الموضوع الذي يجب أن يتطرق إليه **بيدبا**،و كل فصل يفتتح بأمر دبشليم يقول مثلا:«**اضرب لي مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكذوب المحتال حتى يحملهما على العداوة و** البغضاء »[2]،وبعد ذلك يأخذ **بيدبا** في الكلام،يقوم بتنفيذ الأمر فيقول:« **إذا ابتلي المتحابان بأن يدخل بينهما الكذوب المحتال لم يلبثا أن يتقاطعا و يتدابرا،وآفة المودة النميمة»**[3]،ثم يسرد **بيدبا** الحكاية مجسدة لتلك الحكمة.

وأما قاعدة"**لتظهر الود للمخاطب**" فتظهر من خلال معاملة الفيلسوف **بيدبا** للملك **دبشليم**،إذ ليست معاملة الند للند،خاصة و أنه أقلّ مرتبة من مخاطبه[4]،إذ عمل **بيدبا** على تقوية علاقات التضامن بينه و بين الملك، فقد أكثر من عبارات الدعاء التي يطلقها بين الفينة و الأخرى،من قبيل:« **أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد،ودوام ملكه على الأمد»**[5]،و« **أيها الملك السعيد جدُّه،علا نجمك،وغاب نحسك،ودامت أيامك** »[6]،و« **الله يحفظك و يمتعني بمودتك** » [7]،«**سلَّم الله لك في العقل و الأدب»**[8]،« **أكرم الله الملك كرامة يجمع له بها شرف الدنيا و الآخرة ، و أحسن جزاءه فقد أغناني الله بحسن رأي الملك عن جميع عروض الدنيا** »[9]،« **أدام الله لك أيها الملك السرور و الفرح و قرة العين،ورزقك من الشرف في الدنيا ما تفوق به جميع المخلوقين،وفي الآخرة أفضل المنازل مع الصالحين في جنات النعيم»**[10].

وكذلك عبارات المدح:«**الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده** »[11]،« **أيُّها الملك الناصح الشفيق، الصادق الرفيق»**[12]،وكذلك ما ورد في خاتمة الكتاب،يقول:« **أيها الملك عشتَ ألف سنة،ومُلّكتَ الأقاليم السبعة، و أعطيتَ من كل شيء حظا،و بلغتَ ما أمَّلتَه من خير الدنيا و الآخرة في سرور منك ، وقرة عين من رعيتك بك ، و مساعدة القضاء و القدر لك ، فإنه قد كمل فيك الحلم و العلم،وحسن منك العقل و النية ، وتمَّ فيك البأس و الجود،و اتفق منك القول و العمل ، فلا يوجد في**

---

(1)كليلة و دمنة ، ص33 .

(2) المصدر نفسه ، ص94.

(3)المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(4)من الناحية السياسية لا غير ، و يظهر ذلك في قول دبشليم نفسه :« إن كان للملوك فضل في مملكتها فإن للحكماء فضل في حكمتها أعظم ؛ لأن الحكماء أغنياء عن الملوك ، و ليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال ..» ، كليلة و دمنة ، ص 20.

(5) كليلة و دمنة ،ص22 .

(6) المصدر نفسه ،ص 34 .

(7) المصدر نفسه ،ص46 .

(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(9) المصدر نفسه ،ص 50 .

(10) المصدر نفسه ،ص 53 .

(11) المصدر نفسه ،ص26 .

(12) المصدر نفسه ،ص27 .

رأيك نقص، و لا في قولك سقط و لا عيب ،و قد جمعت النجدة و اللين،فلا توجد جبانا عند اللقاء ،ولا ضيّق الصدر عند ما ينوبُك من الأشياء »[1]**.**

ومن التودد قول بيدبا:« **فانظر أيها الملك فيما ألقيت إليك،ولا يثقلنَّ ذلك عليك، فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجازيني به،و لا التماس معروف تسوقه إلي،ولكنني أتيتك مشفقا عليك»**[2]**.**

وقوله :«**وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور،وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها تزلفا إلى رضاك و ابتغاء لطاعتك،فأبلغتك في ذلك غاية نصحي،واجتهدت فيه برأيي و نظري و مبلغ فطنتي،والله تعالى يقضي حقي بحسن النية منك في إعمال فكرك و عقلك فيما وضعت لك من النصيحة و الموعظة »**[3]،ليختتم الفيلسوف خطابه بقول يجسد قيمة التواضع، يقول:« **مع أنه ليس المنصوح بأولى من الناصح،ولا الآمر بالخير بأسعد من المطيع له فيه »**[4]**.**كما تندرج صور التأدب التي ذكرناها في كتاب **كليلة كليلة و دمنة** ضمن مبدأ التأدب الأقصى الذي قدمه **ليتش،**والذي يصوغه في صورتين:« قلّل من الكلام غير المؤدب،وأكثر من الكلام المؤدب »[5]،و يشمل هذا المبدأ قواعد ذات صورتين مختلفتين :

« قاعدة اللباقة : و صورتاها : قلل من خسارة الغير ، أكثر من ربح الغير .

قاعدة السخاء : و صورتاها : قلل من ربح الذات ، و أكثر من خسارة الذات .

قاعدة الاستحسان : و صورتاها : قلل من ذم الغير ، و أكثر من مدح الغير .

قاعدة التواضع : و صورتاها : قلل من مدح الذات و أكثر من ذم الذات .

قاعدة الاتفاق : و صورتاها : قلل من اختلاف الذات و الغير ، و أكثر من اتفاق الذات و الغير .

قاعدة التعاطف : و صورتاها : قلل من تنافر الذات و الغير ، و أكثر من تعاطف الذات و الغير »[6] .

فهذه القواعد جميعا هي من قبيل الخطط التي أحسن الفيلسوف بيدبا حبكها،حتى يبعد كل ما من شأنه أن يوقع النزاع بينه و بين الملك أو يمنع من التعاون،كما أنها أحفظ للصلة الاجتماعية التي هي شرط في التعاون،خاصة و أن الخطاب في **كليلة و دمنة** هو خطاب لا مباشر،ويظهر ذلك في الأوامر غير المصرح بها التي أتت في صيغة حكايا مطولة،و الأكثر ورودها على لسان الحيوان،فتخل بمبدأ الإيجاز و الوضوح،ولكنها على الرغم من طولها واستغلاقها فإنها تحافظ على التعاون و تواصله،والدليل أن المتكلم **(بيدبا)** لو صرح بالأمر تصريحا متبعا قواعد التعاون لأفضى ذلك إلى قطع التخاطب،وبالتالي فشله في جعل المخاطب **(دبشليم)** ينجز المطلوب.

(1) المصدر نفسه ،ص 335 .
(2) المصدر نفسه ،ص27 .
(3) كليلة و دمنة ، ص 335، 336 .
(4) المصدر نفسه ،ص 336 .
(5)طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان ،ص246 .
(6) المرجع نفسه،ص246 ، 247.

×مبدأ الوجه أو التواجه :

وقد صاغه كل من **براون** و **لوفينسن**،وينطلق هذا المبدأ من اعتبار الوجه بؤرة التواصل ، و مفاده : لتصن وجه غيرك.وقد ارتكز مبدأ الوجه على عاملين اثنين هما :

1-**قيمة الوجه الاجتماعية** : و يمكن أن نميز بين نمطين من أنماط الوجه ، هي :

Ãالوجه الدافع:وهو أن يريد المرء أن لا يعترض الغير سبيل أفعاله ، أو هو بصيغة أخرى : إرادة دفع الاعتراض.

Ãالوجه الجالب : فهو أن يريد المرء أن يعترف الغير بأفعاله ، أو هو بصيغة أخرى : إرادة جلب الاعتراف(1).

2-**نسبة تهديد الوجه**:إذ من الأقوال التي هي بمثابة الأفعال في التداولية ما يهدد الوجه تهديدا ذاتيا، وهي الأقوال التي تعوق بطبيعتها إرادات المتكلم أو المستمع في دفع الاعتراض أو جلب الاعتراف.

فأمَّا الأقوال التي تهدد وجه **المتكلم** الدافع : قبول شكر المرسل إليه أو اعتذاراته ، أو قبول عرضه ، عدم الرغبة في قطع الوعد أو التقدم بالعرض،قبول المدح...ومن الأقوال التي تهدد وجهه الجالب : الاعتذار ، و الندم، و الإقرار بالذنب .

وأمَّا ما يهدد وجه **السامع** الدافع فإنَّها تلك الأفعال التي لا يحترم المرسل فيها حرية المرسل إليه،ومن الأقوال التي تهدد وجهه الدافع قد تكون أقوالا تحمله على أداء شيء نحو: الأمر، و الطلب، و النصح، التذكير ، و الإنذار،والتهديد، و التحذير، إذ تمارس بعض الضغوط عليه ، إما بالإقدام ، أو بالإحجام .

أمَّا ما يهدد وجهه الجالب فتتمثل في تلك الأفعال التي تدل على عدم اكتراث المرسل بوجه المرسل إليه الجالب و برغباته ، مثل : إخافته ، عدم توقيره ، التعرض لكلامه قبل أن يفهم مراده ، أو قطع كلامه قبل أن يُتمه ، أو قد تكون أقوالا تعبر عن التقويم السلبي مثل : الذم و السخرية(2) .

ويقترح الباحثون تحديد«خطط تخاطبية»(3)للتخفيف من آثار هذا التهديد،فالمرسل ينتج خطابه واضعا في الحسبان المعايير السياقية المنجز فيها الخطاب، ومن ذاك :

Ã البعد الاجتماعي بين المتكلم و السامع .

Ãعلاقة السلطة بينهما .

Ãالقيود التي تفرضها ثقافة معينة على المرسل و نوعية تلك القيود(4).

---

(1) المرجع السابق ، ص 243 .

(2) بتصرف عن : المرجع نفسه،الصفحة نفسها ، أنظر كذلك : عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 104 ، 105 .

(3) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص244 .

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 106 .

وهي معايير سياقية متغيرة نظرا لتغير السياقات و تنوعها،على أن كل منها يساهم في تحديد المرسل لإستراتيجية خطابه المناسبة،حتى يتمكن من حفظ ماء وجهه و وجه المرسل إليه في الوقت نفسه،ويتم تحديد الإستراتيجية الملائمة من خلال عملية ذهنية تكشف كفاءته التداولية .

وفي **كليلة و دمنة** تبنّى الفيلسوف **بيدبا** أول ما تبنّى الإستراتيجية الصريحة و المباشرة،على الرغم من تيقنه بأنّ ذلك يهدد وجهه،يقول بيدبا:«**ولا يسعنا في حكمتنا إبقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة و قبح الطريقة،و لا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا،ولو ذهبنا إلى أن نستعين بغيرنا لم تتهيأ لنا معاندته،وإن أحس منا بمخالفته و إنكارنا سوء سيرته كان في ذلك بوارنا** »[1]،وكذلك قول تلامذته:«**هذا الملك لم تفزعه النوائب،ولم تؤدبه التجارب،ولسنا نأمن عليك من سورته و مبادرته بسوء إذا لقيته بغير ما يحب** »[2].

وبالفعل لما صارح **بيدبـــــــا** الملك **دبشليـــــم** بطغيانه و عتّوه ، و علوّه على الرعية ،استنكر الملك جرأة **بيدبـــــــا** و تسلّطه و مجاوزة حده،فما يهدد وجه السامع **(دبشليم)** الدافع هو قبول النصح و قبول عرض الفيلسوف **بيدبا**، الذي هو حسن النظر بالرعية ،والاستقامة، و الابتعاد عن البطر و الأمنية و الغرور، و سياسة الملك بالرفق و المداراة[3]،وأما ما يهدد وجهه الجالب فهو الندم و الإقرار بالذنب .

على أن الملك **دبشليم** اغتاظ من كلام **بيدبا**،فأغلظ له الجواب استصغارا لأمره،وفي هذا تهديد لوجه بيدبا الجالب ،متمثلا في عدم الاكتراث بكلامه و مواجهته بالسخرية منه،يقول الملك:« **لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أحدا من أهل مملكتي يستقبلني به...فكيف أنت مع صغر شأنك،وضعف منتك،وعجز قوتك؟**»[4].

وكذلك إخافته «**و ما أجد شيئا في تأديب غيرك أبلغ من التنكيل بك،فذلك عبرة لمن عساه أن يبلغ و يروم ما رمت أنت من الملوك إذا أوسعوا لهم في مجالسهم،ثم أمر به أن يقتل و يصلب** »[5].

ولأنّ الملك لم يتلقى الخطاب كما يلزم عمد **بيدبا** إلى إستراتيجية التلميح ، تاركا للملك فرصة تأويل الخطاب، و استلزام القصد ، و بالفعل أتت هذه الإستراتيجية أكلها ، إذ أحجم الملك عن معاقبة **بيدبا**، ليعترف قائلا : « **لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف و ضيعت واجبه ...فعاملته بضد ما يستحق ...و ما كان هذا جزاؤه ؛ بل كان لواجب أن اسمع كلامه و أنقاد لما يشير به** »[6].

كما اعتبر من الحكمة التي تغذي جُلّ حكايات **كليلة و دمنة**«**فسكت**»[7]،والصمت خطاب ذو دلالات متعددة بتعدد السياقات،واختياره هنا إنما هو دليل موافقة و اقتناع و اعتراف ضمني.

---

(1) كليلة و دمنة ،ص 15 ، 16 .
(2) المصدر نفسه ،ص 19 .
(3) أنظر المصدر نفسه ،ص 26 .
(4) المصدر نفسه ، ص27 .
(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) المصدر نفسه ، ص 28 .
(7) كليلة و دمنة ،ص 335.

نستنتج مما سبق أن الخطاب في **كليلة ودمنة** إنَّما انتظم وفق قواعد المحادثة المذكورة آنفا ؛ إذ بنى المتكلم الفيلسوف **بيدبا** خطابه وفق إستراتيجية تلميحية ، هذه القواعد عملت على توجيه العملية التواصلية بينه و بين مخاطبه الملك **دبشليم** عن طريق تحديدها للأدوار التي يجب أن يحتلها كل منهما ، كما ساهمت في إبراز البعد التحاوري التبادلي للخطاب ، إنها «القواعد ، المتغيرة بتغير الثقافات ، التي يفترض كل مشارك أنَّ الآخر يحترمها عندما يلعبون لعبة التبادل اللغوي »(8).

كما نجح المرسل (**الفيلسوف بيدبا**) في جعل المتلقي المستهدف(**الملك دبشليم خصوصا /ذوي السلطة و الحكام بشكل أعم**) يدخل في سياق المشاركة **"مبدأ التعاون"** coopération ، على الرغم من الإقرار الضمني بذلك، إذ لجأ إلى التلميح دون التصريح ، من خلال سرده لقصص خرافية على ألسنة الحيوان .

كذلك نجح المرسل (بيدبا) في تفعيل عملية التواصل مع متلقيه ، من خلال التبادل الكلامي و التناوب الحواري ،وقد ساعدت تقنية **سؤال جواب** في ربط جسور التواصل بين المتخاطبين ؛ كما «تنبئ المتكلم بإمكان إثارة الكلام استفهاما في ذهن السامع ، فيبادر إلى الجواب قبل السؤال لضمان الاستمرار في الكلام»(1).

كذلك كفلت نصوص **كليلة ودمنة** لمتلقيها تحصيل **الإفادة** ،فائدة إثراء معلومات ومعارف المخاطب، فحكايات **كليلة و دمنة** تستمد قوة إفادتها من مدى تأويلها و فهمها من طرف الملك **دبشليم** تأويلا و فهما صحيحين،و ذلك بما حوته بين جنباتها من قيم و أخلاقيات و خصال حميدة على كل المخاطبين ،على اختلاف طبقاتهم ، التحلي بها.فكان هذا الكتاب أشبه بالدستور الذي ينظم و يشرع سلوكيات المجتمع،على تنوع فئاته، من العامة إلى غاية الملوك ، و حاشياتهم و وزرائهم ، فكل هؤلاء أمام هذا الدستور سواءُ لا يتمايزون .

×الخطاب الأدبي خطاب ذو مقاصد :

يعد مفهوم **المقصدية** (Intentionnalité) من أكثر المفاهيم غموضا و تعقيدا في مختلف ميادين المعرفة الإنسانية،فحضوره قوي و فاعل في العديد منها ، سواء أتعلق الأمر ببعض المدارس الفلسفية(2) ، و الاجتماعية، و القانونية ،والنفسية و البيولوجية(3)وغيرها ؛ أم تعلق بعضها باللغة و الأدب.

---

(8) دومينيك مونقانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، ص 82 .

(1)محمد خطابي ، لسانيات النص ، ص 116 .

(2) يستمد مصطلح القصد وجوده من الدلالة الفلسفية له ، إذ يعني توجه النفس إلى الشيء ، أو انبعاثها إلى نحو ما تراه موافقا ، و هو في هذه الحالة يرادف النية ،وأكثر استعماله في التعبير عن التوجه الإرادي ، و إن كان بعض الفلاسفة يطلقونه على التوجه الذهني ، أما القصد الدال على التوجه الإرادي فإنه يحيل إما على المشروع ، ومن ثمة العزم على الفعل و الانبعاث نحوه ، أو يحيل على الهدف ، و من ثمة الغاية ، التي من أجلها حصل التوجه ، أما القصد الذي يدل على التوجه الذهني ، فهو الذي أشار إليه الفلاسفة المدرسيون في القرون الوسطى ، ثم الظاهراتيون و الوجوديون في العصر الحديث ، جميل صليبا ، المعجم = الفلسفي ،ج2 (من ط إلى ي) ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ،1982 ، ص 193 ، 194 أنظر كذلك : أنطوان خوري ، معنى المعنى في قصدية هوسرل ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي الكويت ،ع 18 ، 19 ، شباط / آذار 1982 ، ص 57.

(3) أكثر الأشكال البيولوجية بدائية للقصدية تتمثل في أشكال الرغبة ، التي تشمل الحاجات الجسدية كالجوع و العطش و ما إلى ذلك .

(4)أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الفروق اللغوية ، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، دط، 2006 ، ص 45 ، 46 .

وفي الدراسات الأدبية و اللسانية فإنَّ لمصطلح **القصد** صدى واسعا في التراث البلاغي و الأصولي العربي، خاصة و أنهم ربطوه بمصطلح «**المعنى**»، الذي كان له نصيب وافر من اهتمام علماء العربية .

يعرف **أبو هلال العسكري** المعنى انطلاقا من مفهوم القصد يقول:«المعنى هو القصد الذي يقع به المعنى على وجه دون وجه ، وقد يكون معنى الكلام في اللغة ما تعلق بع القصد...والكلام لا يترتب في الخبار أو الاستخبار وغير ذلك إلا بالقصد ».[4]

وفي ذلك إشارة إلى أن القصد يمكن أن يكون المعنى المتواضع عليه في اللغة، و أنَّ تغير الأساليب له علاقة عميقة بالقصد ،وأحيانا جعلوا المعنى جميعا في القصد،يقول **ابن فارس**:« فأما المعنى فهو القصد »[1].

كذلك نلفي اهتماما بالغا بهذا المصطلح عند الأصوليين،إذ هو ثابت عند المتكلم لا يتغير ، لذلك يتخذ من الوسائل الكلامية و المقامية ما يعين السامع على إدراك ما يريد ، و لكن مراتب السامعين تتفاوت في إدراك مقصود المتكلمين تبعا لتفاوت قدراتهم العقلية و اللغوية و الثقافية[2]،والقصد عند **ابو حامد الغزالي** يرتبط بالخبر يقول:«يصير الخبر خبرا بقصد القاصد إلى التعبير عما في النفس»[3].

ويؤكد **ابن خلدون** على الأداء الفعلي للغة من طرف المتكلمين،وهنا يلتقي بالدرس اللساني و التداولي الحديث،بقول:« اعلم أن اللغة في المتعارف علي هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، و تلك العبارة فعل لساني ناشئة عن القصد لإفادة الكلام »[4]، ويشير إلى قضية هامة تتعلق بتأويل الخطاب فيقول :« ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين و ما يقتضيه حال الفعل »[5].

وذلك تأكيد على أهمية الحضور الفعلي للسامع في المواقف التخاطبية للوصول إلى القصود الحالفة على ما في النفوس بتعبير **ابن جني**[6]،والذي يؤكده أيضا كلام **عبد القاهر الجرجاني** مخاطبا المتكلم ، يقول : « أن تعلم السامع بها شيئا لا يعلمه،ومعلوم أنك أيها المتكلم لست تقصد أن تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها...و إنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق...و الإحكام التي هي حصول التعلق »[7]،إذ يربط القصد بالمتكلم، الذي يقيم اختياراته اللفظية على أساس المعاني النفسية .

أما المحدثون فقد جعلوا القصد في العلامة في حد ذاتها إذ لا بد من توفر النية في إبلاغ ما تفيده، وهو ما يؤكد على عدم خروج المتكلمين عن مبدأ المواضعة ،كما يولي المحدثون اهتماما بالمتكلم ،وحاله الاجتماعية

---

(1) ابن فارس ، مقاييس اللغة ، مج 4 ، ص 148 .
(2)محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 73 .
(3) أبو حامد الغزالي ، المستصفى من علم الأصول ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط1 ، 1937 ، 85/1.
(4) ابن خلدون ، المقدمة ، تعليق و شرح : علي عبد الواحد وافي ، 3 /1128 .
(5)المرجع نفسه ، 3 /1135.
(6) أنظر : ابن جني (أبو الفتح عثمان) ، الخصائص ، تحقيق : محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، .بيروت،دط، 1952 ،260/1.
(7) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،شرح وتعليق محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، 1999 ، بيروت ، ط3،ص 116 .

،وما يتخللها من معتقدات و أفكار تتدخل في انجازه للكلام ، و أيضا بالمتلقي سواء كان معاصرا للمتكلم / المؤلف، أو تاليا له زمنيا ،ودوره في توجيه التأويل.

يعرف **محمد مفتاح** المقصدية ، فيقول:« نعني بها ما يكون محركا للمنتج من معتقدات و ظنون و أوهام لانجاز كلامه،سواء أكانت مشعورا بها أو غير مشعور ، وهي نفسها تكون لدى المتلقي في حالة وجود عقدة بينه و بين المنتج ،وقد تكون مخالفة جزئيا أو كليا في حالة عدم العقدة، فالمقصدية ، إذن ، ليست واحدة ، لأنَّ هناك قطبين أساسيين يشاركان في صنع القرار اللغوي،وهما المنتج و المتلقي،في زمان و مكان معينين،لذلك يتعين تفريع هذا المفهوم إلى عدة أنواع :

- مقصدية المنتج و المتلقي الحاضرين اللذين بينهما ميثاق متراضى عنه يحتوي على حقوق وواجبات .
- مقصدية المنتج المضمرة التي يحاول المتلقي المعاصر له وسع جهده استكشافها بناء على قرائن خارجية و نصية،وقد يوفق بعض التوفيق،وقد يخيب مسعاه،ولكن تأويله _ في نهاية المطاف_هو نتيجة لمقصديته .
- مقصدية المنتج المعلنة التي يحاول المتلقي ، الذي ليس بمعاصر ، أن يفهمها و يتأولها .
- مقصدية المنتج المضمرة التي يسعى المتلقي _ الذي ليس بمعاصر له _أن يستخرج حساب تأويلها ، و لكن مهمته _ حينئذ _عسيرة جدا [(1)].

كذلك ينبه **محمد مفتاح** إلى أن مفهوم المقصدية يجب أن يكون مرنا؛ إذ لا تحصل المطابقة بين مقصديتي المنتج و المتلقي إلا في القليل النادر،كما أنها تتوقف على قدرة المتلقي على التأويل،وأيضا إمكانية وجود متلقين لا ينتمون زمنيا للمنتج .

ويشير **بول ريكور** إلى مفهوم المقصدية الخطابية ، فهذا المفهوم هو الأكثر انتشارا في الأبحاث المتعلقة بتحليل الخطاب اللساني و الأدبي،ودلالة القصد هنا تصدر مسبقا عن وعي ذاتي يقصد إليه متكلم معين،و يتوجه به صوب مخاطب ما، غير أن هذا التصور الخطابي سيأخذ عدة أبعاد تلفظية و مظاهر دلالية، و ذلك بحسب وضعية الخطاب،ووجهة نظر الباحث إلى الموضوع ، و القصد بهذا المعنى ينقسم إلى :

- **القصد اللساني**:وقد استعمله تودوروف(Todorov) لدراسة بعض التحولات الخطابية التي لا تحيل على الحدث في حد ذاته ؛ بل تتعداه إلى نية المتكلم الذي يحاول أن يقوم به ، و من القرائن الدالة على هذا النوع من القصد بعض الأفعال التي تحيل على عزم الذات و تصميمها المسبق ، وذلك مثل :(صمم ، عزم ، نوى ، حاول ، قصد ، و غيرها)[(2)].

---

(1) محمد مفتاح ، دينامية النص (تنظير و انجاز) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط3 ، 2006 ، ص 82 ، 83 .
(2) تودوروف ، المعجم الموسوعي لعلوم اللغة ، ص 370 .

Ã القصد التواصلي: يهدف من خلاله المتكلم ربط ميثاق تواصلي مع القارئ،و يتحقق ذلك من داخل الفعل اللغوي أو الفعل الخطابي نفسه،ورواد هذا الاتجاه كثيرون من بينهم: غرايس [1]،ومدرسته التواصلية التي تضم كلا من **أوستين** و **فريجة** و**فيتجنشتاين** وغيرهم، و قد اشترط جميعهم في عملية التواصل مع القارئ مقصدية تواصلية مسبقة، تصدر عن نية المتكلم و توجه قواعد و أعراف لغته ، و لكي يسهل على القارئ فهم دلالة الألفاظ و العبارات فينبغي عليه أولا أن يدرك هذه المقصدية التي تنظم الخطاب و توجه مغزاه .

Ã القصد التداولي :

ذهبت التداولية إلى أن الخطاب الأدبي هو خطاب ذو مقاصد، و[illegible] الفلسفة الظاهراتية / الوجودية (**هوسرل**) إلى مقولة أساسية من المقولات التداولية ، و«تحولت مقاصد المتكلم في الدراسات التداولية الحديثة إلى منطلق أساسي من منطلقات تحديد الخصائص الإنشائية للخطاب»[2].

فالمقاصد،بلا شك هي لب العملية التواصلية ؛ لأنه«لا وجود لأي تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء فعل التواصل،و دون وجود إبداع،أو على الأقل دون وجود توليف للعلامات »[3]،ولأنها كذلك يرى **سيرل** بأنَّ المقاصد ذات تكوين(بيولوجي)، ولها أطر معينة في ذهن المرسل،وعليه ففلسفة اللغة عنده تعد فرعا من فلسفة العقل[4].

فالأمر إذن يتعلق بالمتكلم و بمختلف الشروط الإستراتيجية التي يقصد إليها في عملية تخاطبه مع المؤول / القارئ ،والهدف منها هو مساعدة هذا الأخير و توجيهه التوجيه الصحيح لفهم دلالة النص،أو تأويله تأويلا يلائم سياقه الخطابي.ولذلك فإن معرفة هذه المقصدية من قبل القارئ / المؤول شيء ضروري في العملية التداولية، ويمكن أن نمثل لهذا الاتجاه ببعض الدراسات التداولية المستفيدة من علم النفس المعرفي ، و التي ينتمي إليها كل من (**لايبوف**) و **(والتزكي)** ، فالمقصدية عندهما موجودة في الأعمال الحكائية لا تتعلق أبدا بقصد تواصلي يتم بين المتكلم والمتلقي عبر الأحداث المتسلسلة ؛وإنما هي مقصدية إستراتيجية ينتج عبرها

---

(1) للمزيد من الاطلاع على طبيعة المقصدية عند غرايس يمكن الرجوع إلى محمد مفتاح في كتابه تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985 ، ص164.

(2) مقال المقاربة التداولية للخطاب الأدبي، مجلة كتابات الالكترونية .

(3)عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ،ص 183.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، ص 183 ، بينما يرى بعض الباحثين أن المشكلة تكمن في أننا لا نستطيع أن نفسر قصدية العقل بالاحتكام إلى قصدية اللغة ؛ لأن « قصدية اللغة تعتمد أصلا على قصدية العقل » ، جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، تر: سعيد الغانمي ، ص136. هذا و قد ابتكر أوستين مصطلح " اتجاه الملاءمة " للإشارة إلى أن الاعتقادات ، و الادراكات ، و الذكريات ، لها اتجاه ملاءمة من العقل إلى العالم ؛ لأن هدفها يكمن في أنها تمثل الكيفية التي توجد عليها الأشياء . و للرغبات و المقاصد اتجاه ملاءمة من العالم إلى العقل؛ لأن هدفها لا يكمن في تمثيل الكيفية التي توجد عليها الأشياء؛ بل الكيفية التي نود أن تكون عليها الأشياء، أو نخطط لها لتكون عليها الأشياء.سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، ص 152_154.

المتكلم أثرا في النص الحكائي،فيتمكن بموجبه المؤول من أن يعرف الكلية الدالة و بعدها التشكيلي في سياق التبادل الخطابي .

Ã القصد الحواري: ويتعلق بالوعي الحواري؛ أي الأيديولوجي / الخطابي، الذي يجسده الكاتب عن قصد في خطابه الروائي، لإنشاء حوار ثقافي و تاريخي بين مختلف اللغات و الأصوات، و للخروج من دائرة الذاتية أو الصوت الواحد للانفتاح على الآخر.

نستنتج من خلال ما سبق أنَّ **المقصدية**«هي المصطلح العام لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجه بها العقل، أو يتعلق ، نحو الأشياء أو الحالات الفعلية في العالم »(1)،كما أنها « جوهر السيرورة التواصلية و عماد المعنى ، و لا يمكن أن يكون فعلا نابعا من الضرورات الطبيعية التي تمليها الحاجات العضوية في الإنسان ، و لهذا تصبح الوظيفة الغائية غائبة في مضمون المرسلات،ذلك أن القصد توجه مباشر إلى الموضوع ليتماهى مع فعل الإدراك من قبل الذات »(2).

× المقصدية بين المعنى الصريح و المعنى الضمني :

لاحظ الكثير من فلاسفة اللغة و كذلك اللسانيين التداوليين،ومن ضمنهم **غرايس** أنَّ العديد من البنى اللغوية للغة الطبيعية قد تتجاوز مدلولاتها صيغها الصورية،داخل سياق تواصلي محدد،ففي« بعض المقامات تدل على معنى غير محتواها القضوي »(3) .

وقد لاحظ **غرايس** أن مقاصد المتكلم أثناء خطاباته قد تتغير تبعا للموقف التواصلي ، وقياسا بالبنية اللغوية التي يتلفظ بها هذا المتكلم ،فقد يطابق الملفوظ المقصود، وقد يكون المقصود أكثر وأكبر من الملفوظ ، وقد يكون مقصد المتكلم على عكس ملفوظه.

وعلى هذا الأساس فإن للبنية اللغوية (الملفوظ) **معنى صريحا** وآخر **ضمنيا** . فالمعنى **الصريح** فهو : « ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمها اللفظية»(4)، وبصيغتها الصورية.وأما **المعنى الضمني** فهو:«ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر اعتمادا على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال»(5)،والربط بين المعنى الصريح والمعنى الضمني هو الذي ينشئ ما يعرف عند التداوليين بـــــــــــــ" **الاستلزام الحواري** "(Implicature conversationnelle)،الذي يعني الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني لملفوظ ما، في سياق تواصلي معين،ولوصف وتفسير هذه الظاهرة اقترح **غرايس** مقترحين هما :

المقترح الأول:يقوم على أساس تقسيم معاني الملفوظ والدلالة التي يحملها إلى معنى صريح ومعنى ضمني:

---

(1) جون سيرل ، العقل و اللغة و المجتمع ، ص 128

(2)أحمد يوسف ، السيميائيات و التواصل ، علامات 24 ، ص 39 .

(3) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 33 .

(4)محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 33.

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

أ- المعنى الصريح : مدلول الصيغة الصورية والقيمة اللفظية التي يعنيها الملفوظ ، ويشمل :

-محتوى قضوي :هو جملة معاني الألفاظ والمفردات المسندة والمضمومة بعضها إلى بعض داخل الملفوظ.

-قوة إنجازية حرفية : هي القوة الدلالية المتحققة أسلوبيا بالأدوات والصيغ داخل الملفوظ .

ب-المعنى الضمني : فهو ما يقصد المتكلم أن يبلغه السامع من خلال الملفوظ على نحو غير مباشر، يتعدى الصيغة الصورية لهذا الملفوظ ، في سياق تواصلي محدد ، ويشمل :

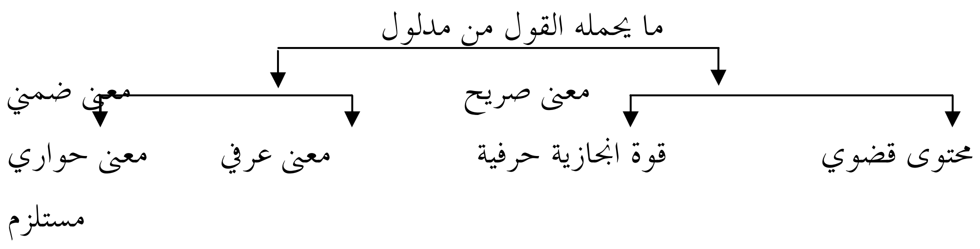
-معنى عرفي:هو الدلالة التي يقتضيها الملفوظ ، ويستلزمها في سياق تواصلي محدد ، انطلاقا مما تعارف أصحاب اللغة عليه.

- معنى حواري : هو الدلالة المتولدة من تغيّر سياقات التواصل ،وتمثل مقصود المتكلم .

المقترح الثاني : يرى **غرايس** أن الأساس الأول لفهم المتلقي مقاصد المتكلم أثناء خطاباته ، يقوم على التعاون الحاصل بينهما للوصول إلى حوار مثمر ومحادثة مفيدة ،هذا الأساس سماه"**مبدأ التعاون** "، والذي يتفرع إلى أربعة أحكام شرحناها قبلا هي: حكم الكمية ،حكم الطريقة ، حكم المناسبة ،حكم الصدق.

وقد وجد **غرايس** أن التزام المتكلم بمبدأ التعاون واحترامه للأحكام المتفرّعة عنه يؤدي إلى التطابق بين المعنى الصريح والمعنى الضمني ؛أي أن ما يقوله المتكلم هو ذاته الذي يقصده أمام المتلقي. أما إذا لم يلتزم المتكلم بذلك المبدأ التزاما كاملا بخرقه أحد أو بعض الأحكام المتفرعة عنه ، فإنَّ المعنى الضمني لا يطابق المعنى الصريح، فيؤدي هذا إلى نشوء **الاستلزام الحواري** بين المعنيين.

ولإظهار الفارق بين **ما يقال** و **ما يقصد إليه**،أو ما يعرف بالاستلزام الحواري ، يمكن تقديم بعض الأمثلة التوضيحية من كتاب **كليلة و دمنة** وفق المخطط الآتي :



ولتوضيح مسألة **الاستلزام الحواري** نورد المثال التالي من كتاب **كليلة و دمنة** :

« **يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك ، ألا تنتهين عن طلب ما لا يناله أحد إلا قلَّ انتفاعه به و كثر عناؤه فيه و اشتدت المؤونة عليه و عظمت المشقة لديه بعد فراقه ؟ يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار**

فينسيك ما تشرهين إليه منها ؟ ألا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده منها شيء فليس له وليس بباق عليه فلا يألفها إلا المغرورون الجاهلون ؟»[1].

فدراسة هذا المثال مفصولا عن سياقه يبرز أن المعنى الصريح هو نفسه المعنى الضمني ، من خلال استفهام يتطلب الجواب بـــ(نعم) أو (لا).لكن عندما نحدد موضع هذا الاستفهام من النص ، وكذا سياقه التواصلي، نعلم أن قائله لا يطرح الاستفهام بحثا عن جواب،و إنما القصد يتوارى خلف البنية الاستفهامية أو خلف المحتوى القضوي الذي يفترض الحصول على قوة انجازية حرفية، التي هي الإجابة عن السؤال .

فالنص هنا يحمل قوة استلزامية أو معنى جديد بين المستفهم و المخاطب ،وبهذا يخرج أسلوب الاستفهام إلى أسلوب مجازي لا يطابق في دلالته المجازية الدلالة الحقيقية .وبالتالي يظهر الفارق بين القول وبين ما يقصد منه ، فينشأ استلزام حواري بينهما .

وفي قوله : «**كيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك و أذى تلك الأيام قليل يعقب خيرا كثيرا ، أو ليس أن الدنيا كلها بلاء و عذاب** »[2] ، فالمعنى الضمني المستلزم في هذا المثال هو التعجب ممن يفر من النسك و ترك ملذات الدنيا و شهواتها إلى التعلق بالدنيا الفانية .

وهكذا بالنسبة لجميع نصوص كليلة و دمنة فإنها بُنيت على **الاستلزام الحواري** بدءا من انتخاب أسلوب الحكي على لسان الحيوان ، إلى داخل الحكاية نفسها بما تضمنته من معان ضمنية تقول في كثير من الأحيان ما لا تفصح عنه صيغتها اللغوية ، أو قوتها الانجازية الحرفية باصطلاح التداولية .

والملفت للانتباه أن الاستلزام الحواري-كآلية تداولية-يساعد على استخراج القيم الحجاجية ، إذ يعد الاستفهام في المثال السابق مثلا تدعيما للقيمة الحجاجية ليدعو المتلقي _ و إن أطلق المثال مخاطبا الذات (**يا نفس)**_ إلى ضرورة التنبه و الاستيقاظ من أوهام الدنيا و ملذاتها المنقطعة لا محالة ، ومن هنا يظهر دور **الاستلزام الحواري** في الحجاج ، إذ يساعد على إبراز القيمة الحجاجية من خلال إشراك المتلقي في استنتاجها واستنباطها مما يقوله المحاجج.

×الخطاب الأدبي خطاب لغوي مخصوص :

من المفاهيم التي أرستها التداولية في مجال تحليل الخطاب الأدبي الملفوظ الأدبي بوصفه " عملا لغويا "، و في هذا الصدد ارتأى الباحثون ضرورة التمييز بين مفهوم الملفوظ و مفهوم الجملة ، على اعتبار أن الكثير من اللغويين لا يفصلون بينهما .

فلقد تجاوزت التداولية دراسة الجملة بوصفها أكبر وحدة قابلة للتحليل إلى ما فوقها ؛ أي إلى دراسة الملفوظ ، و ذلك بربط السياق اللغوي بمحيطه و ظروفه التبليغية ، فقد دعا بورس (Pierce) إلى « تناول

(1) كليلة و دمنة ، ص75 .
(2) المصدر نفسه ،ص 88 .

الدليل اللغوي في أبعاده الثلاثة »(1) : البعد التركيبي ، و البعد الدلالي ، و البعد التداولي ، مركزا على البعد الثالث في ربطه بين الدليل اللغوي و مؤوله داخل سياق تواصلي محدد .

كما سعى ز.هاريس في بحثه المعنون "تحليل الخطاب" إلى « توزيع العناصر اللغوية في النصوص ، و تأكيد الروابط بين النص و سياقه الاجتماعي » (2) ، كما لا تكمن الملكة التبليغية عند هايمس (Hymes) في الوحدات اللسانية عند المتكلم بل تتضمن القواعد الاجتماعية ، و طرائق استعمالها على حسب مقتضيات أحوال التبليغ .

وانطلاقا مما سبق بدأت تظهر مفاهيم و رؤى جديدة ، تعدت حدود الجملة إلى الملفوظ و التلفظ و يحدد بنفنست بدقة أن موضوع الدراسة لا يتعلق بالملفوظ ؛بل بالتلفظ في حد ذاته،لأنه يبرز أحوال المتكلم و السامع،و يرتبط بوظائف اللغة (Les fonctions du langue) ، و بنظرية التواصل Théorie du commu -nication، و يتعلق بما يصحب ظواهر المشافهة . فالخطاب ملفوظ متعلق باللغة المكتوبة ؛ أي أنه نص ،كون النص هو الملفوظ . و هو أيضا تلفظ مرتبط باللغة المنطوقة ،إذ يتطلب متكلما و سامعا و هدفا تأثيريا بكيفية معينة ، بوصفها بدايات لنشأة لسانيات جديدة .

يرى بنفينست (Benveniste) أن الملفوظ هو مجموع الوقائع الكلامية المؤداة من قبل المتكلم ، من أجل التمثيل الجزئي للتلفظ ضمن موقف ما و لغاية محددة ، و هو بذلك يشير إلى مفهوم مهم هو **التلفظ** الذي يعرفه بأنه « وضع اللغة في حركة بمقتضى فعل فردي في الاستعمال »(3)، و ينتج عن هذه الحركة تجسيد فعلي وواقعي للغة، كونها طاقة مخزونة في ذهن الإنسان، تتحول بمقتضى هذا التلفظ إلى كلام أو نص أو خطاب.

نستنتج مما سبق أن الملفوظ يختلف عن الجملة بكونه نتيجة للتلفظ بجملة يتغير معناها التداولي بحسب السياق الذي تستعمل فيه ، كما تنقل ما يريد المتكلم إبلاغه ، وهذا ما يجعل دراسته من مهام التداولية ؛ في حين أن الجملة متتالية من الكلمات ، لا تتغير بتغير السياق الذي تستعمل فيه ؛ لأنها محددة ببنيتها النحوية و بقيمتها الدلالية ، و هذا ما يجعل دراستها من اختصاص اللسانيات .

---

(1) خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات العامة ، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، 2000، ص 159 .
(2) صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي ، ج 1 ، ص 23.
(3)كاترين فوك و بيارلي قوفيك ، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، تعريب : المنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط ، ص 134.

الفصل الثانـي

الفعل الكلامي في كتاب كليلة و دمنة

توطئة

- الفعل الكلامي عند أوستين .
- الفعل الكلامي عند سيرل .
- الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب.
- شروط نجاح الفعل الكلامي.
- الفعل الكلامي المباشر.
- الفعل الكلامي غير المباشر .
- الفعل الكلامي و الخطاب الأدبي .
- مفهوم الحدث الكلامي .
- الوصف و انجاز الخطاب السردي .
- الفعل الكلامي و الحجاج .

×نظرية أفعال الكلام[1]

يعد مفهوم الفعل الكلامي(Acte du parole)نواة مركزية في الفلسفة التحليلية الغربية ، التي مهد لها الفيلسوف الألماني **غوتلوب فريجة** (Gottlob ***Frege***)،وعمّق البحث فيها الفيلسوف النمساوي **لودفيغ فيتغنشتاين**(Wittgenstein) مؤسس تيار " فلسفة اللغة العادية "، بالإضافة إلى عدد من الباحثين [2]، الذين آمنوا أن السبيل إلى فهم الإنسان لذاته و لعالمه هي اللغة ، فنادوا إلى ضرورة اتخاذها موضوعا للدراسة في أي مشروع فلسفي يروم فهم الكون و مشكلاته[3].

وتمثل هذه النظرية تداولية الدرجة الثالثة،إذ«يتعلق الأمر بمعرفة ما تمّ من خلال استعمال بعض الأشكال اللسانية ، فأفعال اللغة مسجلة لسانيا»[4].

1-الفعل الكلامي عند أوستين Austin :

ثارت نظرية الكلام ، من خلال **أوستين** ، على مفهوم الوصف المسند في الغالب للغة ، و الذي أقصى كثيرا من العبارات المستخدمة بحجة عدم خضوعها لمعيار الصدق و الكذب، ليؤكد أن هناك جملا لا يمكن الحكم عليها بأنها صادقة أو كاذبة ، كما لا تصف الحالة الراهنة أو السابقة ؛ و إنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها، قياسا بتعدد وظائف اللغة التي«لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها،ولكن للغة وظائف عديدة ؛ كالأمر و الاستفهام والتمني و الشكر و التهنئة واللعن و القسم و التحذير»[5].

يقول **جون ليونز :** « لقد كان هدف **أوستين** في البداية ،على الأقل ، أن يتحدى ما كان يعتبر مغالطة وصفية ، وهي فكرة أن الوظيفة الوصفية الفلسفية المهمة الوحيدة للغة هي إنتاج عبارات خبرية صادقة أو كاذبة ،وعلى نحو أدق، كان أوستين يتهجم على رأي عالم التحقق المرتبط بالفلسفة الوضعية المنطقية ،التي تفيد أن الجمل تكون ذات معنى فقط إذا كانت تعبر عن قضايا يمكن التحقق منها أو تفنيدها » [6].

وفي هذا الصدد انطلق **أوستين** في« الكشف عن التعارض بين نوعين من المنطوقات، هي المنطوقات التقريرية(Constative utterances)،ونوع أخر يتشابه مع النوع الأول تشابها ظاهريا في البنية،غير أنه لا يقوم بالوظيفة التي يقوم بها هذا النوع ، ويسمي **أوستين** هذا النوع بالمنطوقات الأدائية (Performative sentence)»[7].

---

(1)شاع بين الدارسين استعمال مصطلح الفعل الكلامي ،على ما في هذه التسمية من تضليل و مجازفة، من حيث ارتباط الكلام بالمظهر المادي الصوتي ، ويرى جون ليونز أن فعل الكلام شامل للمنجز الكلامي و المنجز الكتابي . نعمان بوقرة ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، مجلة اللغة و الأدب ،ع17 ،جانفي 2006 ، الجزائر ص169.

(2)أمثال: إدموند هوسرل زعيم تيار الظاهراتية اللغوية ، و رودولف كارناب زعيم تيار الوضعانية المنطقية ، و أوستين (How to do things with words ?) المترجم إلى الفرنسية (Q uand dire c'est faire) ،و تلميذه جون سيرل .

(3) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص18_ 24.

(4) فرانسوا أرمينيكو، المقاربة التداولية ، ص38.

(5) محمود أحمد نحلة ، آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، ص42،41 .

(6)جون ليونز ، اللغة و المعنى و السياق ، ص 191 ، أنظر أيضا : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديد في البحث اللغوي المعاصر، ص42 .

(7)صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ،1993، ص138،137.

ويشمل القسم الأول كل الأفعال التي تخبر عن واقع العالم الخارجي،والتي تحتمل قيمتي:الصدق و الكذب،فيما يشمل القسم الثاني أفعالا ينجز بها المتكلم عملا:كالتسمية،والاعتذار،والترحيب،و النصح..إلخ ،ولا يقتصر على مجرد الكلام بها ،ومن شروط نجاحها توافر عناصر الإرادة ،و القصد،والقدرة ، وحسن النية ، و غيرها من مقتضيات المقام التي تتناسب مع الأعمال الكلامية المنجزة ،مما يجعلها أعمالا موفقة، وإن لم تُراعَ فيها العناصر المذكورة استحالت أعمالا غير موفقة،ولذلك احتيج إلى ما يسمى بالمواضعة (convention)[1]،و التي تتضمن بموجبها شروطا تحول دون فشل الفعل الانجازي ،و بتعبير **ديكرو** « فإنَّ الأفعال الانجازية مؤسسة على مواضعات من النوع القضائي،حيث تترتب على المتكلم و المستمع حقوق وواجبات هما مطالبان بالالتزام بها »[2].

ولقد تبيَّن لأوستين أن التمييز بين الأفعال الإخبارية و الأفعال الآدائية غير حاسم،وذلك حينما « اكتشف أن لكل منطوق_ بما في ذلك المنطوقات التقريرية أو العبارات_ بعد آدائي »[3] ، فما لبث أن تخلى عن التمييز بين القول و الفعل،معتبرا الوحدات الكلامية الخبرية صنفا من صنوف الوحدات الكلامية الإنشائية،مختزلا إياهما ضمن نظرية شاملة للأفعال الكلامية .

هذا التمييز قاد أوستين إلى البحث عن معايير تقسيمية أخرى ،فارتأى وجوب الفصل بين الإنشاء (أو الانجاز)الصريح (Performative explicite)،الذي يستدل عليه بواسطة إسناد فعل إلى المتكلم المفرد المعلوم في زمن الحال،وبين الإنشاء(أو الانجاز) الأولي (Performative primaire)،أو بصيغة أخرى الفعل الانجازي الضمني،الذي يتسنى تأويله ببنية نحوية يتصدرها فعل انجازي صريح ،تمثله مختلف الصيغ الانجازية التي لا يسميها فعل ، وقد أبان **أوستين** أن الإنشاء الصريح نشأ ، على التدريج ، انطلاقا من الإنشاء الأولي ، بعامل تطور اللغة و المجتمع[4].

---

(1)لاحظ أوستين أن صدق الملفوظ الخبري أو كذبه يخضع هو الآخر لشروط تشبه كثيرا تلك التي تحكم الملفوظ الانجازي ، بالإضافة إلى أن الملفوظات الخبرية تحمل إلى جانب المحتوى القضوي قيمة انجازية ، الأمر الذي يجعلها ملفوظات خبرية _ايهامية ، هذه النتيجة حملته إلى إدخال مفهوم الأفعال الانجازية الضمنية ، و يسميها أفعالا انجازية أولية ، في مقابل الأفعال الانجازية الصريحة ؛ فمثلا عندما أصدر ملفوظا خبريا تأكيديا محذرا من يريد الخروج بقولي : " ستمطر " ، نكون أمام مضمون قضوي و قيمة تضمينية ،والأمر نفسه إذا أردت التأكيد فقط _ دون تحذير مضمر _ ؛ أي إلى جانب المضمون القضوي هناك قيمة تضمينية ، تتمثل في أن أظهر صدق القضية التي أتلفظها ، مما يعني أن الملفوظ الخبري يقتضي هو بدوره المواضعة ، التي تسمح بتنظيم استعماله.أنظر : Austin ,Quand dire c'est faire, Traduction Gilles Lane , Editions du SEUIL , Paris , 1970 ,p97 ، نقلا عن : نصيرة غماري ،نظرية أفعال الكلام عند أوستين، مجلة اللغة و الأدب، كلية الآداب و اللغات ، الجزائر ، ع17 ، جانفي 2006 ، ص 82 .

(2) Voir : Oswald Ducrot , Analyses pragmatiques in communication , édition du seuil 1980 ,p 30 .

(3)صلاح إسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد ، ص183 .

(4) Austin ,Quand dire c'est faire , p 101

نقلا عن : صلاح الدين ملاوي ، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، ص 27 ، 28 .

وكنتيجة لما سبق رأى **أوستين** أنَّ أهمَّ ما في الأمر هو الجواب عن السؤال :**كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا ؟** إنَّ ما نصنعه يتجلى في ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لعمل خطابي كامل (Acte de discours intégral) ، تختزل مختلف الوظائف اللسانية ، على النحو الآتي :

Ã**فعل القول** Acte locutoire: وهو عملية الإنتاج الصوتي و التركيبي و الدلالي للملفوظات ،فقولنا " الجو جميل " يشكل ملفوظا يتشكل من أصوات تتركب بشكل يفضي لإكساب الجملة دلالة معينة .

Ã**الفعل الانجازي** Acte illocutoire :يمكن القول أن هذا الفعل هو نتاج الفعل السابق و هو « الفعل الانجازي الحقيقي...وهو القيام بفعل ضمن قول شيء »[(1)]، هذا الفعل لا يكون متحققا سطحيا في الجملة ؛بل إنه انجاز لها ، ولذلك يتضمن الانجاز معنى الحركية و الدينامية، التي تعني بدورها التغيير الدائم .هذا التغيير يقتضي تغييرا في العوالم، و الأماكن،و الأزمان .

ومن أجل أن يؤدي هذا النوع من الأفعال فعلا في الواقع وضع له **أوستين** مجموعة من الشروط التكوينية و القياسية [(2)]، أما التكوينية فتتعلق بالفعل في حد ذاته،من حيث إمكانية تنفيذه،و قدرة الناس على ذلك من خلال ملفوظ محدد ،وأما القياسية فتمثل صدق المشاركين في هذا الفعل،من حيث المشاعر و النوايا و الالتزام به .

Ã**الفعل التأثيري** Acte perlocutoire:

يرى **أوستين** أن القيام بفعل القول وما يصحبه من فعل متضمن في القول (فعل انجازي) يقوم بفعل ثالث، هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر أو الفكر،ومن أمثلة ذلك: الإقناع ، الإرشاد ، التثبيط ، الاستفزاز، التضليل ...الخ . كذلك نجد في نظرية أفعال الكلام أن الفعل الانجازي يتعلق بالمرسل،أما الفعل التأثيري فإنه« يتعلق بالمرسل إليه ، وقد لا تكتمل دائرة التأثير فيه إلا عند حدوث رد فعل من المرسل إليه »[(3)]،ولا يقلَّ الفعل التأثيري أهمية عن الفعل الانجازي،ذلك أن معيار نجاح فعل المتكلم هو الأثر الذي سيظهر على السامع،كما أنه فرصة للوقوف على سلامة وصول الرسالة ، أو سلامة الفعل الانجازي .

والواضح أن الأفعال الثلاثة (**القولي،الانجازي،والتأثيري**) تتضافر جميعا لتشكيل الفعل الكلامي، فجملة " الجو جميل" تحمل قوة انجازية أمرية غير مباشرة، تتحدد قيمتها في ظروف سياقية معينة. ونرصد، ههنا ، الفعل التأثيري،و المتمثل في الاستجابة لما تحمله الجملة السابقة ،وقد يؤدي عدم الاستجابة لهذا الأمر(عدم حصول الفعل التأثيري)إلى وجوب التعديل في الفعل الانجازي،عن طريق إضافة بعض الوحدات اللغوية، مثل قولنا " الجو جميل اخرجوا للعب".

---

(1)مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 42 .

(2) أنظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 44،45 .

(3)عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص 75.

هذه الإضافات تؤدي إلى تغيير الفعل الكلامي كليا،إذ يتغير الفعل القولي ، وتتغير تبعا له قوة الفعل الانجازي،أيضا يتم تعديل الفعل الكلامي نتيجة الفعل التأثيري،و بموجب ذلك قد يتحول الفعل الكلامي من مباشر إلى غير مباشر(1).

نستنتج من خلال ما سبق أن الفعل الكلامي هو «كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي انجازي تأثيري ، و فضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحويا ، يتوسل أفعالا قولية (Actes locutoires) لتحقيق أغراض انجازية(Actes illocutoires)،وغايات تأثيرية (Actes perlocutoires) تخص ردود فعل المتلقي،كالرفض أو القبول»(2).

وقد ارتأى أوستين أن يصنف الأعمال التي ننجزها بوساطة اللغة إلى أسر خمس هي:

Ã **الحكميات** Les verdéctifes : و تقوم هذه الأفعال على إطلاق أحكام ذات قيمة أو حدث مثل : حكم ، وصف ، حلل ، قيم ، صنف ، فسر...وما إلى ذلك .

Ã **التنفيذيات أو أفعال القرارات** Les equipercitifes :و تتمثل في اتخاذ قرارات أو استعمال السلطة لصالح أو ضد أفعال معينة ، مثل : الأمر، النهي ، التعيين ، و العزل ، و الطرد ، الإعلان ...وغيرها .

Ã **الوعديات أو أفعال التعهد** Promosives : و تتمثل في ما يقطعه المتكلم على نفسه **من** عهود ووعود مثل : التزم ، نذر ، وعد ، أقسم ، ضمن ...و غيرها.

Ã **السلوكيات** Comportatifes : و تتمثل في رد فعل تجاه سلوك الآخر ، و إظهار مشاعر نفسية و حدث ما مثل : الاعتذار ، الشكر ، الترحيب ، التعزية ...و غيرها.

Ã **العرضيات أو أفعال الإيضاح** Les expositifes :وتتمثل في بيان وجهة نظر،أو الإيضاح،أو عرض رأي ، وما إلى ذلك(3).

وقد تبين **لأوستين** حين قدَّم هذه التصنيفات أنها لا تشكل الوسائل الوحيدة التي يمكن أن يعتمدها المتكلم أثناء كلامه ،« فهناك وسائل لغوية أخرى،تضاف إلى الأفعال الإنشائية،كالحكم (الكيفية) Mode ، أو التطويح Accent ،والنغمة Intonation،وعطف النسق Conjonction،وسلوك المتكلم العام-حركاته وإيماءاته ،وحال الحديث أو القول »(4).

وعلى هذا الأساس فإنَّ عمل **أوستين** لم يكن كافيا لبناء نظرية شاملة للأفعال الكلامية ،إلا أن« من الصعب نقد التصنيف المقترح و تقديم تصنيف آخر بكل ما يكفي من الضمانات »(5).

---

(1)سنعود إلى هذا النوع الهام من أفعال الكلام في موضع آت من هذا الفصل .

(1) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص40 .

(2) أنظر :طالب سيد هاشم الطبطبائي ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب ،ط1 ، الكويت 1993،ص 10 ، 11 .

(3) الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص23.

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

2- الفعل الكلامي عند سيرل J.Searl :

إنَّ ما قدمه **أوستين** يعد بداية لوضع نظرية لأفعال الكلام ، تبناها تلميذه **سيرل**(1)، و حاول إكسابها نضجا و ضبطا منهجيا ، ومن ثم صياغتها ضمن نظرية محكمة ، متداركا أغلاط أستاذه ، و كان أبرزها :

Ã تعديله التقسيم الذي ورثه عن أستاذه للأعمال الكلامية ، لتستحيل أربعة بتقسيمه عمل القول إلى قسمين : الفعل النطقي ، و الفعل القضوي .

Ã نصُّه « أنَّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي »(2).

Ã نصُّه أنَّ« للقوة الانجازية دليلا ،يسمى دليل القوة الانجازية ، يبين لنا نوع الفعل الانجازي الذي يؤديه المتكلم بنطقه للجملة » (3).

Ã ذهابه إلى أن العمل الكلامي لا يحدده قصد المتكلم وحده؛ بل لا بد من تضافر العرف اللغوي و الاجتماعي.

Ã نظرية الأعمال اللغوية عنده جزء لا يتجزأ من نظرية عامة للعمل(La théorie de l'action)(4).

Ã تطويره شروط الملاءمة ، و التي تضبط القول ، وهي(5):

• **قاعدة المحتوى الاسنادي** Règle du continue propositionnelle ، وتحدد أي نوع هو المضمون المعبر عنه بقول مخصوص .

• **قاعدة التمهيد أو التقديم** Règle d'introduction .

• **القاعدة الأساسية** Règle essentielle :و تعين هذه الشروط الغرض التواصلي من الفعل الكلامي ، هذا الغرض الذي يلزم المتكلم بواجبات معينة ، اعتقادات و إرادات المستمع،و أيضا طبيعة العلاقات القائمة بينهما قبل أداء الحدث الكلامي.

• **قاعدة الإخلاص** Règle du sincérité : و تعني تحديد الشروط التي يجب أن تتحقق إن كان على الفعل أن ينفذ بإخلاص و دقة .

Ã تصنيفه الأفعال الكلامية في أسر خمس :

• **أفعال تمثيلية** Représentatifs :«والغرض منها وصف واقعة معينة من خلال قضية Proposition، و تتميز باحتمالها الصدق و الكذب،و باتجاه المطابقة فيها من القول إلى

(5) يرى سيرل أن مصطلح الفعل الكلامي كان مستعملا من قبل لغويين بنائيين _ أمثال بلومفيد Blomfield في العقد الثالث من القرن العشرين ؛ غير أن معناه الحديث من إبداع أوستين .

(1)محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص47

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(4)صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، ص29 .

(5)الجيلالي دلاش ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، ص26 ، و ينظر أيضا : طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 261 .

العالم،بحيث يكون القول مطابقا للوقائع الموجودة في العالم الخارجي ، فضلا عن تميزها بالصدور عن حالة نفسية معبر عنها بالاعتقاد Croyance »[1].

•**أفعال توجيهية** Défectives :والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل أو عمل معين ،ومن أمثلتها : أفعال الطلب و السؤال .

•**أفعال التزامية** Coméssifes: و الغرض منها أن يلتزم بالقيام بعمل ما في الزمن المستقبل ، ومن أمثلتها : أفعال العرض و الوعد و الوعيد .

•**أفعال تعبيرية** Expressives: الغرض منها التعبير عن حالات نفسية انفعالية تجاه الوقائع الخاصة التي تمثل مضمون القول .

•**أفعال إعلانية** Déclaratives :و تسمى كذلك الايقاعيات، و الغرض منها هو إحداث تغيير في العالم الخارجي، بحيث يطابق العالم المحتوى القضوي بمجرد الانشاء الناجح للفعل الكلامي،ويتم ذلك بالاستناد إلى مؤسسات غير لغوية ، بحيث تعد هذه المؤسسة الإنشاء الناجح لذلك الفعل الكلامي إحداثا للتغيير المطلوب .

Ã تمييزه بين الأفعال الانجازية المباشرة Directe،التي تطابق قوتها الانجازية مقصود المتكلم ،وبين الأفعال الانجازية غير المباشرة Indirecte ، التي تخالف قوتها الانجازية مقصوده .

3-الأفعال الكلامية عند البلاغيين العرب :

تتجلى ملامح التداولية في التراث العربي من خلال نظرية الأفعال الكلامية عند أعلام الفقه و التفسير و اللغة و القراءات،وقد سارت جهودهم في مسار أحادي هو خدمة الخطاب القرآني،في تمظهره البياني من خلال نظرية الإعجاز ، هذا وتنضوي نظرية الفعل أو الحدث الكلامي في البلاغة العربية ضمن مباحث علم المعاني،و تتعلق بوجه خاص بأساليب الخبر و الإنشاء .

والملاحظ أن علماء العربية القدامى في دراستهم للجملة و النص ركّزوا على قواعد هي مناط التواصل بين مستعملي اللغة ،وقد كانت مراعاتها من قبل هؤلاء العلماء عنوانا على أي دراسة لغوية وظيفية جادة ،وهي :

Ã**عرفية التداول** : و للعرف ثلاثة أشكال ، فهو إما أن يكون وضعا لغويا أو اجتماعيا أو «شرعيا »[2].

Ã**القصد:** لطالما يؤسس المتكلم خطابه على جملة من المقاصد تحدد هدفه و غايته،وتحقيقا لذلك يطمح المخاطب إلى أن يكون كلامه مفهوما و دالا يحسن السكوت عليه ، مع مراعاة تفاوت المتخاطبين في الأفهام ،

---

(5) أنظر:صلاح الدين ملاوي، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، ص30.

(1) راجع ماهية المقاصد و أنواعها و ضوابطها في الشريعة الإسلامية في كتاب الموافقات في أصول الشريعة لأبي اسحق الشاطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ،1991 ، 7/1 .

و على الرغم من تواجد المعرفة العرفية بالأوضاع اللسانية فإنَّ على المخاطب أن يهتم بالقرائن اللسانية و المقامية ليجلى ما غمض من دلالات مقصودة،وربما هذا ما يفهم من نص **ابن القيم** حين حذر من إهمال قصد الخطاب« فإيَّاك أن تهمل قصد المتكلم و نيته و عرفته فتجني عليه و على الشريعة ...»(1).

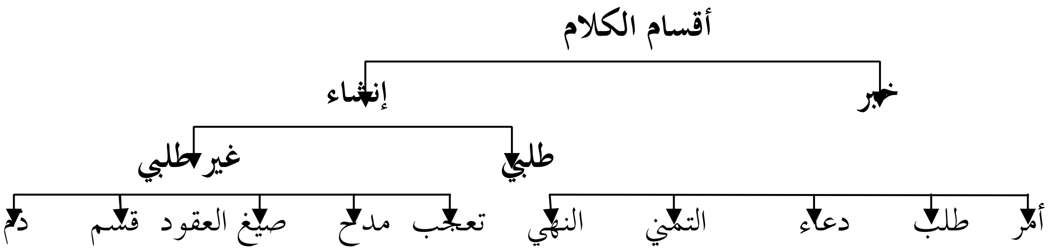
إنَّ هذين الأصلين هما المقصودان بمقالة **ابن خلدون** في تعريفه للغة بقوله : « اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده،وتلك العبارة فعل لساني فلا بُدَّ أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها ،و هو اللسان ، وهو في كل أمة بحسب اصطلاحهم »(2).

Ãالإفادة:وذلك في تعريفهم لعلم المعاني، يقول **السكاكي** :« اعلم أن علم المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة ،وما يتصل بها من الاستحسان و غيره ،ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره...وأعني بخاصية التركيب : ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب، جاريا مجرى اللازم له »(3).

كذلك نجد **ابن خلدون** يؤكد على هذه الخاصية في تعريفه لعلم المعاني ،يقول:«هذا العلم الحادث في الملة بعد علم العربية واللغة، وهو من العلوم اللسانية لأنه متعلق بالألفاظ و ما تفيده ، ويقصد الدلالة عليه من المعاني ...و يبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليها،لأنه من تمام الإفادة،وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه...و لكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب و الإبانة »(4).

وبذلك اقتصرت دراسة العلماء العرب على التراكيب الدالة المفيدة ؛أي التي لها دلالات مباشرة (حرفية) أو غير مباشرة (ضمنية) تفهم منها ، أو « ملازمة لها » بتعبير **السكاكي** .

وعلى كل قسَّم العلماء العرب الكلام إلى خبر و إنشاء ، و يمكن بيان ذلك من خلال المخطط الآتي :



×الخبـــــــــــــــــــــــــــــر :

إنَّ أي كلام مفيد ننطق به إما أن يكون مما نقرر به أمرا من الأمور،أو نخبر عن قضية من القضايا ،و إما أن نتحدث عن آمر لم يحصل بعد ، نطلب تحقيقه ، أو ننهى عنه ، أو نتمناه ، أو نستخبر و نستفهم عنه ، أو نناديه ؛ فالقسم الأول هو الخبر ، والقسم الثاني هو الإنشاء .

---

(2) ابن القيم الجوزية ، اعلام الموقعين عن رب العالمين ، 53/3 ، نقلا عن : نعمان بوقرة ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ،ص193.
(3) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق : علي عبد الواحد وافي ، 1128/3 .
(3)أبو يعقوب السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 161
(2) ابن خلدون ، المقدمة ، تحقيق : علي عبد الواحد وافي ، 1135/3 .

وقد عرف جمهور العلماء **الخبر** بأنه ما يحتمل الصدق و الكذب و الإنشاء بعكس ذلك، أو بصيغة أخرى الكلام التام إن احتمل الصدق و الكذب فهو الخبر و القضية،و إن لم يحتمل فهو الإنشاء.

فحين أردد قول القائل **:" قُم للمعلم وفّه التبجيلا "**، أو قوله عز و جل : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[سورة هود ، آية 44] ،فإنني لا أخبر عن شيء ما قد وقع بالفعل ؛ و إنما هي أنواع من القول ، و هو ما يسميه العلماء بالإنشاء ، و يرى **السكاكي** أن «مرجع كونه صدقا أو كذبا عند الجمهور إلى مطابقة ذلك الحكم للواقع أو غير مطابقته له ...و عند بعض إلى طباق الحكم لاعتقاد المخبر أو ظنه »(1).

فمن الرأي الأول يرى **قطب الدين الرازي** أن«الخبر إما أن يكون مطابقا للواقع أو لا،فإن كان مطابقا للواقع لم يحتمل الكذب، و إن لم يكن مطابقا للواقع لم يحتمل الصدق...يجب أن يقال : الخبر ما صدق و كذب »(2)،وهو رأي الجمهور.

أما **النظّام**_شيخ **الجاحظ** _فقد خالف هؤلاء ،وذهب إلى أن الصدق ما وافق الاعتقاد ؛ اعتقاد المتكلم ، و الكذب ما خالف الاعتقاد ،و إن تنافيا مع الواقع ، مستدلا بالآية الكريمة :﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾[سورة المنافقون ، آية 1].

فشهادة المنافقين _هم الذين يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر _مطابقة للواقع ، و لكنها مخالفة لاعتقادهم، فالكاذب ، إذن ، من قال قولا مخالفا لاعتقاده ، و إن كان مطابقا للواقع ،كقول المنافقين، و الصدق ما طابق الاعتقاد ، و إن خالف الواقع .

فيما يرى **الجاحظ** أن الخبر واحد من اثنين:« الذي يوصف بـــــــــــ "الصادق"هو ما يكون مطابقا للواقع ، مع اعتقاد صاحبه أنه مطابق ،وأن الذي يوصف بـــــــــــ "الكاذب "منها هو ما يكون غير مطابق للواقع ،مع اعتقاد صاحبه أنه غير مطابق »(3).

فالجاحظ يحتكم إلى معيارين في الحكم على صدق الخبر أو كذبه :

- مطابقة الواقع ، و هو رأي الجمهور.
- اعتقاد المخبر (أو قصده).

وقد وضع العلماء قيدا آخر في تعريف الخبر فقالوا :ما احتمل الصدق و الكذب لذاته _أي لذات الخبر نفسه _ و هذا بالطبع يخرج ما كان صادقا قطعا و ما كان كاذبا قطعا ، فالكلام و إن احتمل الكذب لذاته

(1)السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 166 .
(2)قطب الدين الرازي ، تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط2 ، 1948 ، ص42 .
(3)سعد الدين التفتازاني ، المطول في شرح تلخيص المفتاح ، ترتيب و تعليق : عبد المتعال الصعيدي ، دار الحكمة قم (إيران) ، دط، دت ، ص 42.

لكننا إذا نظرنا لقائله فهو صادق قطعا ، فقولنا في تعريف الخبر« لذاته » نخرج به ما كان صدقا بالنظر إلى قائله ، و ما كان كذبا كذلك[1].

×أضرب الخبر:

كثيرا ما يراعي المتكلم ،وهو يلقي الخبر،أحوال المخاطب و مقامه،حتى يكون كلامه مطابقا لمقتضى الحال، فمقام المنكر يختلف عن مقام الشاكّ المتردّد ،و هذا يختلف عن خالي الذهن،الذي لا شك و لا تردد عنده،لذلك توجب على المتكلم أن يلقي كلامه بقَدَر من غير زيادة و لا نقص ؛ فإذا كان النقص عيب ؛ فإن الزيادة كذلك.

وإذا كان الذي تخاطب خالي الذهن لا تعرف منه إنكارا ، ولا تجد في نفسه شكًّا أو تردُّدا فيما تلقيه إليه فينبغي أن تلقي إليه الخبر خاليا من التأكيد؛ كان تقول : الدين المعاملة،الحسد داء. أما إذا كنت تدرك من الذي تخاطبه شكا،فيحسن أن تؤكد له الخبر لتزيل ما في نفسه من شك ؛كأن تقول له :إن نتائج الامتحان ظهرت. أما إذا كنت تعرف أنه منكر ، فلا بد أن تؤكد له الكلام على قدر إنكاره ، فتستعمل المزيد من المؤكدات .

× أدوات التأكيد : و هي عديدة نقتصر على ما تضمنته نصوص **كليلة و دمنة** :

1- **إنَّ** [2]: وهي الأصل في التوكيد ، و كثيرا ما يذكر معها لام الابتداء و القسم .

و**كليلة و دمنة** يعج بالأساليب الخبرية ،سيما المؤكدة بـــــــــــــــ: إنَّ و أَنّ ، ومن أمثلتهما في الكتاب قول الفيلسوف **بيدبا** :« **إنَّ الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة إلى ما يحصّن به نفسه من نوازل المكروه،و لواحق المحذور ،و يدفع المخوف لاستجلاب المحبوب** »[3].

و كأنَّ المخاطب ، وهم تلاميذه ، منكرين للخبر ، لذلك عمد الفيلسوف إلى تأكيده بمؤكدين ، و ذلك بحسب درجة إنكاره قوة و ضعفا ، فالخبر انطلاقا من مؤكداته هذه خبر إنكاري .

ومثله قول الفيلسوف :«**على أنَّ العاقل قد يبلغ بحيلته ما لا يبلغ بالحيل و الجنود**»[4]، و الخبر هنا إنكاري لذا عمد إلى توكيده بمؤكدين :أنّ و قد ،والغرض من ذلك تقرير المعنى و توضيحه، لأنه يتحدث عن حقائق واقعة لا مجال للشك فيها .

ومن نماذج الخبر في **كليلة ودمنة** يقول الفيلسوف **بيدبا** و هو يخاطب تلامذته:« **إنَّ مجاورة رجال السوء والمصاحبة لهم كراكب البحر،إن هو سلم من الغرق لم يسلم من** المخاوف »[1]،فتلامذة الفيلسوف

---

(1)فكلام الله تبارك و تعالى صدق ، و كذلك ما صحَّ عن الرسول صلى الله عليه و سلم . كذلك كل كلام نجزم بصدق قائله لا يحتمل كذبا ، كما أن هناك كلاما لا يحتمل الصدق أبدا ؛ كادعاء اليهود بملكية فلسطين ، أو كادعاء مسيلمة الكذاب بالنبوة ، و ما إلى ذلك .

(2)يلحق بعض العلماء ب (إنَّ) : (أنَّ) مفتوحة الهمزة ، و تنطق بها حينما يكون هناك شك و إنكار ، و قد تدخل عليه الكاف ، كما قد تلحق بـــــــ(لكن) ، فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني) ، دار الفرقان ، الأردن ، ط4 ، 1997 ، ص115 (الهامش).

(3)كليلة و دمنة ، ص 16 .

(4)كليلة و دمنة ،ص17

مترددين في قبول الخبر، الذي مفاده القدرة على مواجهة الملك دبشليم و قد عرفوا عنه الظلم و البطش ، لذلك أكد بيدبا الخبر بمؤكد واحد حتى يصل بمخاطبيه إلى درجة اليقين .

ومن أمثلته أيضا ما جاء على لسان الملك **دبشليم**:« **إن كان للملوك فضل في مملكتها؛ فإنَّ للحكماء فضلا في حكمتها أعظم ؛لأنَّ الحكماء أغنياء عن الملوك بالعلم،وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال**»(2).

2_ **لام الابتداء:** اللام أحد حروف المعاني الدالة على معنى في غيره ،و من أقسامها اللام غير العاملة التي تندرج ضمنها لام الابتداء التي حكمها الفتح ، و تأتي لتأكيد مضمون الجملة .و تسمى كذلك المزحلقة ، لأنها تزحلقت من المبتدأ أو من اسم (إنّ) إلى الخبر .

وأمثلتها في **كليلة و دمنة** :« **في كل باب مسألة و الجواب عنها** ، **ليكون لمن نظر فيه حظ من التبصرة و الهداية** »(3) ، وقد دخلت في هذا المثال على الفعل المضارع.

وكذلك « **جعل كلامه على ألسنة البهائم و السباع و الطير ليكون ظاهره لهوا للخواص و العوام و باطنه رياضة لعقول الخاصة** »(4) ، و«**العاقل يكتفي من الرجل بالعلامات من نظره و إشارته بيده ، لكي يعلم سر نفسه و ما يضمر في قلبه** »(5)،وقول بيدبا :«**إنَّ الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة إلى ما يحصّن به نفسه من نوازل المكروه ،ولواحق المحذور،ويدفع المخوف لاستجلاب المحبوب** »(6) ، و قد دخلت هنا على إنّ ، واللام في هذه الأمثلة جميعا لا تخرج عن إفادة المعنيين التعليل و التوكيد.

3-**ضمير الفصل** : المعروف أن الضمائر هي أسماء،إلا أن ضمير الفصل ليس اسما ؛ إنما هو في عرف النحويين حرف،وسمي ضمير الفصل لأنّه يفصل بين المبتدأ و الخبر ، إذ يفصل في الأمر حين الشك واختفاء القرينة فيرفع الإبهام بسبب دلالته على أن الاسم بعده هو الخبر لما قبله من مبتدأ ، أو ما أصله المبتدأ ، وليس صفة ولا بدلاً ولا غيرهما من التوابع والمكملات التي ليست أصيلة في المعنى الأساسي ،و يعرب: ضمير فصل لا محل له من الإعراب.

وقد يأتي للتأكيد و لغيره ؛كالاختصاص ،وأنَّ ما بعده يكون خبرا لا صفة ، ولا شك أنَّ الخبر أقوى في الدلالة و في تثبيت الحكم من الصفة ؛ لأن الخبر عمدة في الكلام .

ومن أمثلة هذا النوع في **كليلة و دمنة** قول الفيلسوف **بيدبا** : « **إنّي وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء ،وهي جُماَع ما في العالم ،و هي : الحكمة ...العقل ...العفة**

---

(1)المصدر نفسه ، ص 16.
(2)المصدر نفسه ، ص 20.
(3)المصدر نفسه ،ص 36.
(4)المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(5)المصدر نفسه ،ص 44.
(6)المصدر نفسه ،ص 16 .

...العدل ، و هذه هي المحاسن ، و أضدادها هي المساوئ » [1]، وكذلك في : « **فأفضل ما رزقهم و منَّ عليهم به من العقل الذي هو قوة لجميع الأحياء .. العقل هو سبب كل خير»** [2].

4-(**أمَّا) الشرطية** : ومثال ذلك قولك لصاحبك : (أنا عازم على الجهاد) ، فإذا أحسست منه شكا و تردُّدا في ما قلت فإنك تؤكد له الخبر ، فتقول : **أمَّا** أنا فعازم على الجهاد . والفرق بين (أمَّا) بالفتح و(إمَّا) بالكسر أنَّ الثانية ليست من أدوات التأكيد ، ومن أمثلة أمَّا في **كليلة و دمنة** : « **أيها الملك ، أمَّا المال فلا حاجة لي فيه ، و أمَّا الكسوة فلا أختار على لباسي هذا شيئا »**[3].

و كذلك « **فأمَّا إذ فتحت الكلام فأنا مخبرك عن نفسك ، و مظهر لك سريرة أمرك ، و معلمك حالك »** [4]،و قوله : «**و أمَّا أهل الفضل و المروءة فلا يقنعهم القليل ،و لا يرضون به دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هم أهل له و هو أيضا لهم أهل»**[5] ،« **و أمَّا الكتاب فجمع حكمة و لهوا »** [6] ، فـــــــــ(أمَّا) هنا شرطية تفصيلية توكيدية ، وفي هذه الحالات جميعا يقترن جوابها بالفاء .

5-**قد** : و هي من الحروف التي لا تدخل إلا على الفعل ، و يقسمها النحويون قسمان :

Ãإن دخلت على الماضى تكون للتحقيق أو للتقريب،ومن أمثلة دخولها على الماضى في **كليلة و دمنة** قول الفيلسوف **بيدبا** : « **قد سمعت مقالتكم ،و تبيَّن لي نصيحتكم ،و الإشفاق عليَّ و عليكم »**[7] .

وما جاء على لسان الملك **دبشليم** : « **قد قالت العلماء:أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك :الغضب فإنه أجدر الأشياء مقتا ،و البخل فإن صاحبه ليس بمعذور مع يده ،و الكذب فإنه ليس لأحد أن يجاوره، و العنف في المحاورة فإن السفه ليس من شأنها»**[8].

وكذلك « **قد رزق الله ملكنا...من العقل أفضل الرزق و من النصيب أجزله و أعانه على ما رزق من ذلك بحسن الأدب و البحث عن العلم و طلب التفسير لجميع علوم الفلسفة ، و الاستنباط عما غاب، و التخير للصواب مما ظهر ، فبلغ ما لم يبلغه ملك قط ممن كان قبله من الملوك»**[9] .

و«**وقد قيل في أمور من كنَّ فيه لم يستقم له عمل ، منها التواني ، و منها تضييع الفرص،و منها التصديق لكل مخبر ، و منها التكذيب لكل عارف»** [10]،و الأمثلة عن التوكيد بـــــــــــــ(قد) التي تدخل على الفعل الماضي عديدة عي **كليلة و دمنة** لا سبيل لذكرها جميعا .

---

(1)المصدر نفسه ،ص 22 ، 23 .
(2) المصدر نفسه ، ص 40.
(3) المصدر نفسه ، ص39 .
(4) المصدر نفسه ، ص 44 ، 45 .
(5) المصدر نفسه ، ص100.
(6) المصدر نفسه ، ص56 .
(7)المصدر نفسه ،ص56.
(8) المصدر نفسه ،ص 28.
(9) المصدر نفسه ،ص 41.
(10) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

Ãإن دخلت على المضارع تكون للتقليل أو التكثير،ومن ذالك يقول **بيدبا** : « **قد تعلمون أنَّ مجاورة السبع و الكلب و الحية و الثور على طيب الوطن و نضارة العيش غدر بالنفس**» [1].

وقد رأى بعض النحويين أنها تكون للتأكيد إذا دخلت على الماضي فقط ، و الحق أنها تكون للتأكيد حينما تدل على التحقيق ، لا فرق في ذلك بين الماضي و المضارع .

6-**إنَّما** : كقولك إنَّما الجهاد العمل،وهي كلمة مركبة من (إنَّ)حرف التوكيد و(ما) الزائدة الكافة ، وهي أداة حصر و توكيد، ومن أمثلتها في **كليلة و دمنة** : قول **بيدبا** « **إنَّما نبأتك بما فيه صلاح لك و لرعيتك،ودوام ملكك لك** »[2] « ذلك أمر **إنما** يتم باستفراغ العقل و إعمال الفكر» [3]، و « إنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به»[4]،و« **إنما المال يطلبه صاحبه و يجمعه في كل وجه لبقاء حاله و صلاح معاشه و دنياه و شرف مترلته في أعين الناس...**»[5]،و«**والإنسان إنما يتقلب في عذابها من حين يولد إلى أن يستوفي أيام حياته**»[6]،و«**كل من يدنو منهم(الملوك) إنَّما يدنو ليسرَّ الصديق و يكبت العدو**»[7].

فهذه الأمثلة جميعا تندرج ضمن ضربي الخبر : الطلبي و الإنكاري ، فالأول ما كان المخاطب مترددا في قبوله،مطالبا بالوصول إلى اليقين في معرفته،وحين إذن يحسن توكيده بأداة واحدة ،وأما الثاني فما كان المخاطب فيه منكرا للخبر ، و في هذه الحالة يجب توكيده بأكثر من مؤكد ، و ذلك حسب درجة إنكاره قوة و ضعفا .

وأما الخبر الابتدائي فما كان المخاطب حين سماعه خالي الذهن من الحكم عليه، غير متردد في قبوله،و لا معترض عليه فلا يحتاج المتكلم إلى تأكيد ما،ومن أمثلة هذا الضرب في **كليلة ودمنة**:«**من لم يستح من الحكماء،و يكرمهم،ويعرف فضلهم على غيرهم ،ويصنهم عن المواقف الواهنة ،و يترههم عن المواطن الرذيلة ، كان ممن حرم عقله ، و خسر دنياه ، و ظلم الحكماء حقوقهم ،و عُدَّ من الجهال** »[8].

7-**القسم**: أسلوب القسم في اللغة العربية من المؤكدات المشهورة ، التي تمكن الشيء في النفس وتقويه ، و يكسب الكلام مزيد ثبوت و تقرير، لتطمئن نفس المخاطب إلى الخبر ، و يتكون من جملة القسم و جواب جملة القسم و من أمثلته في **كليلة و دمنة** قول **بيديا** : « **و لعمري إنَّ الملوك لأهل أن يهابوا ،ولا سيما من هو في المترلة التي جلَّ فيها الملك عن منازل الملوك قبله**» [9].

---

(1) المصدر نفسه ،ص16 .
(2) المصدر نفسه ،ص 29 .
(3) المصدر نفسه ،ص 35 .
(4) المصدر نفسه ،ص 60 .
(5)كليلة و دمنة ، ص 69 .
(6) المصدر نفسه ، ص88.
(7) المصدر نفسه ، ص 100.
(8) المصدر نفسه ، ص 20 .
(9) المصدر نفسه ،ص 23.

× الإنشـــــــــــاء :

يلحظ الدارس لمؤلفات البلاغيين العرب أنَّهم لم يستعملوا مصطلح الإنشاء ، وإنَّما استعملوا مصطلح الطلب[1]، يقول **السكاكي**«و السابق في الاعتبار في كلام العرب شيئان : الخبر و الطلب »[2]،و يعرف الطلب بقوله : « يستدعي مطلوبا لا محالة ، و يستدعي فيما هو مطلوبه ، أن لا يكون حاصلا وقت الطلب »[3].

فالطلب عند **السكاكي** مفهوم عام يشمل الطلب وغير الطلب ، في حين يرى الخطيب **القزويني** أنَّ الإنشاء« ضربان : طلب و غير طلب،و الطلب يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل »[4]،ومن هنا نفهم أن مصطلح الطلب عند **السكاكي** شامل للطلب و لغيره ،وهو عند **القزويني** يختص بالإنشاء الطلبي فقط ، و البيّن أن الاختلاف بينهما واقع في المصطلح لا في المفهوم ،على أننا سنعتمد في البحث مصطلحي الإنشاء الطلبي و الإنشاء غير الطلبي .

×الإنشاء الطلبي: وذلك إذا « استدعى الكلام الذي تقوله شيئا غير حاصل عند النطق »[5]، و يشمل هذا النوع فروعا خمسة : الأمر،الاستفهام،النهي،النداء،التمني، «وكل مخاطبة يقتضي بها شيء ما لها جواب، فجواب النداء إقبال أو إعراض،وجواب التضرع و الطلبة بذل أو منع، و جواب الأمر و النهي و ما شاكله طاعة أو معصية ،وجواب السؤال عن الشيء إيجاب أو سلب »[6]،ولكل من هذه الأنواع شروط إذا توفرت فيه جرى الأسلوب على الأصل، و إذا تم العكس فعندئذ تخرج إلى معان فرعية .كذلك يمكننا التمييز بين أفعال لا يشترط تحققها في الواقع مثل : التمني و الاستفهام ، و أفعال على عكس ذلك و هي : الأمر و النهي و النداء.

1-الاستفهام :وهو في تعريف البلاغيين طلب حصول الشيء في الذهن [7]، ويميز **السكاكي** الاستفهام عن غيره من الأساليب الإنشائية الطلبية بقوله « إنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش له مطابق ، و فيما سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج نقش مطابق ، فنقش الذهن في الأول (أي الاستفهام) تابع ، و في الثاني (أي باقي الطلبيات) متبوع» [8].

---

(1)أنظر على سبيل المثال : مفتاح العلوم للسكاكي ، ص 164 ، و كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي [illegible] ،بيروت، ط2 ، 1990 ، ص162.
(2)السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 164.
(3)المرجع نفسه ، ص 302 .
(4)الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، مراجعة : بهيج غزاوي ،دار إحياء العلوم ، بيروت ، ط1 ، 1988، ص 130 .
(5)فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني) ، ص 147 .
(6)الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 163 ، 164 .
(7) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 303 .
(8) المرجع نفسه ، ص 304.

وقد اختلف العلماء العرب حول الاستفهام أهو من الإنشاء الطلبي أو غير الطلبي ، و إن عدَّه أغلبهم من الضرب الأول،و قد جعل **الفارابي** الاستفهام ضمن ما سمَّاه « ما يقتضى به قول ما »(1)، أما باقي أنواع الطلب من نداء و تضرع و إذن و منع و كف و أمر و نهي فسمَّاها « ما يقتضي به فعل شيء ما »(2).

فالمعيار الذي اعتمده للتفريق بين الاستفهام و غيره من أنواع الطلب هو«فحوى الخطاب» (3)،فإن كان المطلوب " قولا " كان الطلب استفهاما ،و إن كان المطلوب فعل شيء ما كان الطلب " غير استفهام " ،كأن يكون أمر أو غير ذلك .وقد جعل الفارابي نوعا واحدا من أنواع الطلب مكافئا للاستفهام و هو: النداء ، ذلك عندما قرر أن « قوته قوة السؤال عن الشيء »(4)، أي أن " القوة الانجازية " المحتواة في " فعل " النداء هي نفسها المحتواة في "فعل" الاستفهام . و الجامع بينهما أن كلا منهما يقتضي جوابا قوليا على الأرجح ، فيما تقتضي باقي أنواع الطلب أجوبة فعلية .

و للاستفهام كلماته الموضوعة ، وهي: الهمزة ، أم ،هل ، ما ،من ، أي ، كم ،كيف ، أين ، أنى ، متى ، أيان ،وهذه الكلمات ثلاثة أنواع : أحدها يختص بطلب حصول التصور ، و ثانيها يختص بطلب حصول التصديق ، و ثالثها لا يختص(5).

وأما عن الفرق بين التصور و التصديق فيكمن في أن التصور يكون المتكلم فيه خالي الذهن عن أي فكرة حول المستفهم عنه ، آما في التصديق فالواجب أن يكون لدى المتكلم فكرة مسبقة عن الموضوع المستفهم عنه ،و يندرج ذلك ضمن ما أسماه **سيرل** معيار الشروط المعدة (6).

وتتمثل هذه الشروط في أن يكون المستفهم غير عالم بما يسأل عنه طالبا العلم به ، و هذا هو المقصود بإجراء الاستفهام على أصله ، الذي هو الاستخبار و طلب العلم ، فألفاظ الاستفهام « قد تستعمل دالة على معانيها التي للدلالة عليها وضعت منذ أول ما وضعت»(7).فيكون الاستفهام و الحال هذه **فعلا كلاميا مباشرا** ، أما إذا وجدنا الاستفهام في غير مقام الاستخبار خرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض تواصلية ، فرضتها المقامات الوارد فيها الاستفهام ، و امتنع فيها عن إتيانه معنى أصلي مباشر إلى معنى فرعي غير مباشر ؛ إذ من الممكن أن «يستعمل على معان أخر على اتساع و مجاز و استعارة»(8).

ومن المعاني التي يمكن **للاستفهام** أن يؤديها بصيغة غير مباشرة :

---

(1) الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 163.
(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 112 .
(4)الفارابي ، كتاب الحروف ، ص163.
(5) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 308 .
(6)مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 114 .
(7)الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 164 .
(8) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

× **التقرير** : ومعناه أن تقرر المخاطب بشيء ثبت عنده،لكنك تخرج هذا التقرير بصورة الاستفهام،ذلك لأنه أوقع في النفس،و أدل على الإلزام ، لما فيه من حجة دامغة.

وينقسم التقرير بحسب المعنى قسمان :

1-**بمعنى التحقيق و التثبيت**:فأنت لا تستفهم أفعل أم لم يفعل،لذلك أنت لا تريد جوابا ؛بل تريد أن تخبره بأنه فعل،وأن تنتزع اعترافه بذلك ،وهذا القسم من الاستفهام التقريري هو إنشاء من حيث اللفظ؛لأنَّ صيغة الاستفهام من صيغ الإنشاء ، و خبر من حيث المعنى ؛ لأن معناه تثبيت الخبر و تحقيقه.

2-**طلب إقرار المخاطب بما يريده المتكلم**:نحو قولك لتلميذك:ألست أستاذك ؟ فإنَّ المقصود من العبارة حملُ تلميذك على أن يقر بذلك ، إلاّ أنَّ هذا القسم يختلف عن القسم الأول في كونه يحتاج إلى جواب.

والغرض البياني من **الاستفهام التقريري** إلزام المخاطب بالحجة و انتزاع الاعتراف منه بما يريده المتكلم ، و في ذلك غرض نفسي ، و ذلك لأن البيان و البلاغة لهما صلة وثيقة بقضايا النفس ، و بعلم النفس كذلك.

×**الإنكـــــــــــــار**: ويسمى الاستفهام على إثره **استفهاما إنكاريا** ،والفرق بينه و بين الاستفهام التقريري أنَّ هذا النوع أنت لا تقرر المخاطب في شيء ،وإنما تنكر عليه و تستهجن منه ما حدث في الماضي،أو ما يمكن أن يحدث في المستقبل ،ويحمل هذا النوع من الاستفهام معنيي: التكذيب و التوبيخ ،سواء على أمر مضى، أو لأمر في الحال،أو في الاستقبال.

وقد يعدل المتكلم عن استعمال صيغة **الاستفهام الحقيقي** إلى صيغة **الاستفهام الإنكاري**،إمَّا لزيادة المخاطب إحراجا على إحراج، أو لثقة كبيرة في نفس المتكلم،الذي لو كان في كلامه أدنى ريب لردَّ على قائله جوابا على استفهامه ، وفي ذلك جميعا تحصيل أغراض بيانية للمتكلم و المخاطب معا.

كذلك يستفاد من **خروج الاستفهام عن مقتضى الظاهر** معان مثل:

التعجب_الوعد_التخويف_الأمر_النهي_التهكم_الاستبعاد_التهويل_التحقير_التنبيه على ضلال المخاطب_التمني_الاستبطاء_التعظيم_النفي_التشويق_التكثير_التسوية.

كما أنَّ هناك أغراضا غير هذه يمكن أن تفهم من السياق ، فضلا عن التداخل بين هذه الأغراض ، فقد يكون التقرير مع التوبيخ ، أو التقرير مع التعجب و هكذا.

فمن **الاستفهام الحقيقي** في **كليلة و دمنة** :

Ã«**أفعلتَ هذا استصغارا منك لأمري و احتقارا لشأني؟**» (1)،وأداته الهمزة ،والهمزة كما سبقت الإشارة للتصديق و التصور.وهي في هذا المثال استفهام تصديق ،و التصديق طلب السؤال عن شيء حدث

(1)كليلة و دمنة ، ص17 .

وقوعه أم لا؛ وتكون الإجابة عليه بكلمة (نعم) للإثبات، و(لا) للنفي؛ فهو إدراك نسبة الفعل بدقة، لأن المتكلم مُتَردّد بين إثبات الشيء ونفيه ،ولهذا يطلب تحديد الإجابة وتعيينها .

Ã«**أيها الفيلسوف الفاضل...ما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك ،و فهمنا عند فهمك ؟**»[1].

Ã« **و كيف كان ذلك ؟** »[2]، و هي اسم يستعمل للسؤال عن الحال.

وأمَّا **الاستفهام البلاغي** فهو الاستفهام الذي لا يبحث عن إجابة محددة ؛ وإنما يبحث عن تصور ما للمتكلم دون أن يستفسر عن شيء، فقد يخرج الاستفهام عن قوته الحرفية (الاستفهام الحقيقي) إذا لم تتوفر فيه شروط الاستفهام،فيفيد معنى جديدا يقتضيه الاستلزام الحواري ،وأمثلته في **كليلة و دمنة** كثيرة نوردها كالآتي:

Ã«**كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك،و صغر همتك**»[3]،ويتمثل معنى الاستلزام الحواري في هذا المثال في تعظيم النفس وتحقير الآخر، ومثله« **تكلمت بكلام ما أظن أنَّ أحدا من أهل مملكتي يستقبلني بمثله ...فكيف أنت مع صغر شأنك ، و ضعف منَّتك ، و عجز قوتك** »[4]، والاستلزام الحواري هنا مفاده التحقير و التهكم .

Ã«**ألستَ الذي قصدت تقصير همَّتي،وعجَّزت رأيي في سيرتي بما تكلمت فيه**»[5]، و مفاده الإثبات و التقرير و الاتهام.

Ã« **يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك ، ألا تنتهين عن طلب ما لا يناله أحد إلا قلَّ انتفاعه به و كثر عناؤه فيه و اشتدت المؤونة عليه و عظمت المشقة لديه بعد فراقه ؟ يا نفس أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين إليه منها ؟ ألا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده منها شيء فليس له و ليس بباق عليه فلا يألفها إلا المغرورون الجاهلون ؟**»[6] .

ومفاد الاستلزام الحواري في هذا المثال هو التوبيخ و الزجر بالدرجة الأولى ، ثم الحث على الابتعاد عن المذمات.

---

(1)المصدر نفسه ، ص18.
(2) المصدر نفسه ، ص67.
(3) المصدر نفسه ، ص18 .
(4)المصدر نفسه ، ص27.
(5)المصدر نفسه ، ص 29.
(6) المصدر نفسه ، ص 75.

Ã« فمن ذا الذي يعلم هذا و لا يستعد له قبل حلوله و يحتال لغد جهده في الحيلة و يرفض ما يشغله و يلهيه من شهوات الدنيا و غرورها »[1]،ومفاد الاستلزام الحواري في هذا المثال هو التعجب و الحث على ترك سفاسف الأمور و ملذات الدنيا.

Ã«كيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك و أذى تلك الأيام قليل يعقب خيرا كثيرا ، أو ليس أن الدنيا كلها بلاء و عذاب»[2]، ومفاد الاستلزام الحواري في هذا المثال هو التعجب و التقرير ؛ أي الإثبات مع التسليم، إذ لا يحتاج إلى جواب ،لأنه يقرر فكرة من الأفكار؛ يحمل المخاطب على الإقرار بها ، أو بمعنى آخر فإن السؤال نفسه هو جواب ثابت.

نستنتج من خلال ما سبق أن للاستفهام قوتان :

قوة انجازية حرفية = السؤال الحقيقي .

قوة استلزامية =المعنى الجديد الذي استلزمه الحوار بين المستفهم و المخاطب .

وبهذا يخرج أسلوب الاستفهام إلى أسلوب مجازي لا يطابق في دلالته المجازية الدلالة الحقيقية فيصبح بمعنى الخبر، لا بمعنى الإنشاء.**فالاستفهام الحقيقي** يتطلب فعلا مباشرا و هو الإجابة عن السؤال ؛ إذ الأصل فيه طلب الإفهام ، فإذا خرج عن مراده الحقيقي سمي **استفهاما بلاغيا** ، وهو في هذه الحالة انجاز لفعل كلامي غير مباشر، فلا تكون الغاية من إطلاقه الحصول على إجابة «و إنما للتعبير على العكس من ذلك على أعلى درجات التعيين و تحدي المخاطب أن يستطيع الإنكار أو حتى الإجابة »[3].

فالخروج عن الأصل في الاستفهام يهدف إلى تحقيق أفعال انجازية متضمنة في الصيغة الاستفهامية ، مما يتعين على المتلقي« ألا يقوم بقراءة حرفية للملفوظ أو على الأقل لا يكتفي بتلك القراءة »[4].

2- **النداء** :يرى أغلب العلماء العرب أن النداء من الإنشاء الطلبي ، و يخالفهم في ذلك **الكاتبي** ؛ إذ جعل النداء من التنبيهات« لأنه لا يدل على الطلب دلالة أولية »[5].

و النداء هو طلب إقبال المدعو إلى الداعي حسا أو معنى «يقتضي به أولا من الذي نودي الإقبال بسمعه و ذهنه على الذي ناداه ، منتظرا لما يخاطبه به بعد النداء ، و هو نفسه لفظة مفردة قرن بها حرف النداء ، و إنما يكون حرفا من الحروف المصوتة ، التي يمكن أن يمد الصوت بها إذا احتيج به إلى ذلك ، لبعد المنادى

---

(1)المصدر نفسه ،ص 89.

(2) المصدر نفسه ،ص 88.

(3)إدريس سرحان ن طرق التضمين الدلالي و التداولي ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، المغرب ، 1999 ، 2000 ، ص 378 .

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(5)نجم الدين الكاتبي القزويني ، الرسالة الشمسية ضمن تحرير القواعد المنطقية للرازي ، ص 42 نقلا عن : مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 115.

أو لثقل في سمعه ، أو لشغل نفسه بما يذهله عن المنادى ، فقوته قوة قول تام يقتضى به من الذي نودي الإصغاء بسمعه و ذهنه ، ثم الإقبال وجهة الذي ناداه »[1].

والنداء عند **الفارابي** « مما يقتضى به فعل شيء ما »[2]،و للنداء أدوات مخصوصة هي:

Ã**أدوات نداء للقريب** :و هما حرفان (الهمزة) و(أي)،و قد يترل البعيد مترلة القريب فينادى بالهمزة أو(أي) تنبيها أنه على بعده فهو قريب من القلب .

Ã**أدوات نداء للبعيد** :(يا) الأصل فيها أنها وضعت لنداء البعيد ؛ إلا أنها قد تأتي مشتركة بين النداء البعيد و القريب ، (أيا) ، وا (و أكثر ما تستعمل في الندبة) ، (ها) ، (آ) ، (آي).

Ã **إنزال القريب مترلة البعيد:** قد يحصل ذلك فينادى بإحدى أدوات النداء ، و ذلك لأسباب أهمها :

- للدلالة على أن المنادى رفيع القدر عظيم الشأن ، فيجعل بُعد المترلة كأنَّه بُعد في المكان .
- للإشعار بأن السامع غافل لاه ، فتعده كأنه غير حاضر في مجلسك .

ومن أهم الأغراض التي تخرج إليها صيغ النداء : التحسر و التوجع ، التعجب ، الاختصاص ، الندبة ، الإغراء و التحذير ، الزجر و الملامة ، الاستغاثة و هناك أغراض أخرى تفهم من السياق[3].

والواضح أن الدلالات التي تتولد من إجراء النداء كالندبة و الزجر و التحسر و الاستغاثة و غيرها ، إنما تحمل في طياتها معنى النداء ،ولا تبدو منقطعة عنه،فليس هناك انفصال تام بين هذه الأغراض البديلة وغرض النداء الأصلي.

ومن أمثلة النداء الحقيقي في **كليلة و دمنة**:« **يا بيدبا** ، **تكلم مهما شئت**،**فإنني مصغ إليك**،**ومقبل عليك** ، **و سامع منك** »[4]، وكذلك «**يا أخي لا تغتم**» [5].

فيما يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معنى مجازي كمثل : « **وا سوأتا من رفيق صالح قد ائتمنني على ماله و خلَّفني فيه** »[6]،الذي يفيد الحسرة و التفجع المستفاد من استعمال أداة الندبة (وا) ،و من سياق الحكي كذلك.

3- **الأمر** : الأصل فيه « طلب الفعل على جهة الاستعلاء »[7]،وهذه الصورة « حقيقة فيه لتبادر الفهم عند استماع نحو : قم و ليقم ، و توقَّف ما سواه من الدعاء ، و الالتماس و الندب ، و الإباحة و التهديد ، على اعتبار القرائن »[8].

---

(1) الفارابي ، كتاب الحروف ، ص 162 ، 163 .
(2) المرجع نفسه ،ص162 .
(3) أنظر : فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها علم المعاني ، ص 163 _167.
(4) كليلة و دمنة ، ص 22 .
(5) المصدر نفسه ، ص 67 ، تغتم :اغتم الرجل حزن و تكدَّر ،كقولنا : لا تغتم ؛ فما بعد الضيق إلا الفرج .
(6) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .
(7) فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها علم المعاني ، ص 149 .
(8) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 318.

فالأصل في الأمر أن يدل على الوجوب،و إنما يدل على غيره بالقرائن،و من هنا لا بد أن يكون على وجه العلو ؛ أي من الأعلى لما هو أدنى منه ، يقول **السكاكي** :« لا شبهة في أن طلب المتصور ، على سبيل الاستعلاء ، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه،ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور،واستتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة،وإلا لم يستتبعه ، فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور أفادت الوجوب،وإلا لم تفد غير الطلب ، ثم إنها تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام »[1]،فـــــــــ" منزلة " المتكلم مقارنة بــــــــــــــــــ" منزلة " المخاطَب ، هي التي تصبغ الطلب بصيغة خاصة ، يؤدي بها غرضا خطابيا خاصا ، و وظيفة تواصلية معينة .

فإن كان من الأدنى إلى الأعلى فهو الدعاء ؛ مثل : اللهم اغفر لنا و ارحمنا ، و إن كان إلى من يساويك منزلة فهو التماس ؛ كقولك : أعطني الكتاب.

ومن المعاني التي تؤدى بصيغة الأمر على مقتضى قاعدة « خروج الأسلوب عن مقتضى الظاهر »[2]:

- **الإرشاد** : و ذلك كقوله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[سورة الأعراف ، آية 199].

- **الاعتبار** : وذلك كقوله سبحانه :﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآَخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة العنكبوت، آية 20].
- **التخيير** : و مثله قول المتنبي :

عش عزيزا أو مت و أنت كريم   بين طعن القنا ، و خفق البُنُد [1].

- **الإباحة** :كقوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [سورة البقرة ، آية187].
- **الدوام** : مثل قول المؤمنين:﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الفاتحة، آية 5] ؛ أي أدم هدايتنا ،و ثبتنا عليها، و يمكن أن يكون هذا من باب الدعاء .
- **التأديب**:كقولنا لأحدهم اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم :سم الله ، و كل بيمينك ، و كل مما يليك.
- **التعجب** : مثل قوله تعالى : ﴿ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ﴾ [سورة الإسراء، آية 48].
- **التهديد** :كقوله سبحانه :﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سورة فصلت، آية 40].
- **التمني** :و منه قولك :تنفَّس أيُّها الصبح ، و أشرقي يا شمس ، لنَسر إلى فلسطين.

---

(1) المرجع نفسه ،ص 318 ، 319.

(2) المرجع نفسه ، ص 323 .

(1) الواحدي ، شرح ديوان المتنبي ، ص31 ، مكتبة المصطفى www.al-mostafa.com بتاريخ:2012/09/06، سا:22:05 .

Ã **الاهانة و التحقير** : مثل قول جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا   أبشر بطول سلامة يا مربع [2].

Ã**التعجيز و التحدي** :وهو« كما إذا قلت لمن يدعي أمرا ليس في وسعه : افعله ، امتنع أن يكون المطلوب بالأمر،حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليه بامتناع ،و توجه إلى مطلوب ممكن الحصول مثل: بيان عجزه ،وتولد التعجيز و التحدي »[3]،ومثله قوله تعالى:﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة ،آية 23].

Ã**الامتنان:**كقوله تعالى:﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[سورة النحل، آية114].

Ã**التسوية** :مثل: ﴿ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل، آية114].

و ينبغي التنبيه في هذا السياق إلى أمرين:

أولا : أن هذه الصيغ قد يتداخل بعضها مع بعضها الآخر .

ثانيا :أن هذه الصيغ ليست على سبيل الحصر، فهناك صيغ كثيرة يمكن أن تستفاد من السياق؛كالندب ، و التلهيف ، و التحسر، و الخبر، و الإكرام ، و التكوين ، والتفويض ،و التكذيب ،و المشورة ، و التسخير ، و التسليم[1].

ومن الأمر الحقيقي في **كليلة و دمنة** :

« **الزم السكوت فإنَّ فيه السلامة ،وتجنَّب الكلام الفارغ فإن عاقبته الندامة** »[2]، و« **ليتكلم كل منكم بكلام يكون أصلا للأدب**»[3]،وكذلك«**أن تضع هذا الكتاب...و ليكن مشتملا على الجد و الهزل و اللهو و الحكمة و الفلسفة** »[4]، و«**ليحرص أن يكون مكسبه من أطيب المكاسب و أفضلها و أنفعها له و لغيره معا**»[5]، وتلك من صيغ الأمر اللام المقترنة بالفعل المضارع .

ومن الأمر كذلك « **الواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء،والواجب على العلماء تقويم الملوك بألسنتها و تأديبها بحكمتها و إظهار الحجة البينة؛ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج و الخروج**

---

(2) جرير، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1986 ، ص272 . و مربع لقب راوية جرير واسمه وعوعة ، و كان الفرزدق قد حلف ليقتلنه (الهامش).

(3)السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 305 .

(1) أنظر : فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها (علم المعاني) ، ص152 .

(2) كليلة و دمنة ،ص 23.

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(4) المصدر نفسه ،ص 24 .

(5) المصدر نفسه ،ص 34.

عن العدل »[1]، و« **انج بنفسك و دع عنك الحمق و التردد »**[2] ، و اسم فعل الأمر في:« **وعلى العالم أن يبدأ بنفسه و يؤدبها بعلمه »**[3] **.**

ويخرج الأمر في **كليلة و دمنة** عن المعنى الأصلي له ليفيد:

Ã**النصح و الإرشاد** :ومن أمثلته:« **يا نفس انظري في أمرك،وانصرفي عن هذا السفه،و أقبلي بقوتك و سعيك على تقديم الخير،و إيّاك والتسويف ،واذكري أن هذا الجسد موجود لآفات»**[4]**.**وكذلك «**يا نفس اعتبري كيف يجهَدُ الرَّجل أن يفرّج عن مضيم واحد كربة واحدة ،و يستنقذه منها رجاء الأجر»**[5]، وكذلك :«**ينبغي لمن طلب أمرا أن يكون له فيه غاية و نهاية يعتمد عليها و يقف عندها»**[6]،و« **ينبغي له أن يحذر مما يصيب غيره من الضرر لئلا يصيبه مثله»** [7] ، وكذلك « **ينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهما »**[8]**.**

Ã**الدعاء** : مثل : «**فليعظم المنة على عبده باستتمام النعمة إليه »**[9]**.**

Ã **التحقير** : مثل : «**راجع عقلك و اعلم أن لكل إنسان منزلة و قدرا »**[10]**.**

Ã**الإكرام** : « **سل تعط ما أحببت،و اشفع تشفع،و اذكر حاجتك تسعف بها و تكرم »**[11]**.**

4-**النهي** : و هو طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء فيفيد بذلك الوجوب و له صيغة واحدة هي المضارع مع (لا) الناهية ، فإن لم يكن على جهة الاستعلاء « أفاد الترك فحسب »[12]**.**

وقد يخرج النهي عن « طلب الكف و الترك » إلى إفادة « الدعاء » إن كان من الأدنى إلى الأعلى؛ كقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[سورة البقرة ،آية286]،أو الالتماس إن كان من متماثلين ؛كقولك لصديقك : لا تسبقني .

ويشترك النهي و الأمر في كون المطلوب بهما "فعل" ما ،إلا أن المطلوب بالنهي فعل مخصوص،هو« الكف عن فعل آخر»[13]، ففي حالة الأمر يكون المخاطب غير قائم بـــــــــ " الفعل " المراد منه ، فيطلب منه القيام به ؛ أما في حالة النهي فالمخاطب يكون متلبسا بـــــــــ " فعل " ما فيطلب منه تركه .

---

(1) المصدر نفسه ،ص 64 .
(2) المصدر نفسه ،ص 82.
(3) المصدر نفسه ،ص 61.
(4) المصدر نفسه،ص 76.
(5) المصدر نفسه ،ص 77 .
(6) المصدر نفسه ،ص 61
(7) المصدر نفسه ،ص 64 .
(8) المصدر نفسه ،ص 65.
(9) المصدر نفسه ،ص 51 .
(10) المصدر نفسه ،ص 101 .
(11) المصدر نفسه ،ص 51 .
(12) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص320 .
(13)الشريف الجرجاني ،حاشية على تحرير القواعد المنطقية ، ص 44 ، نقلا عن: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، ص 108.

وقد تخرج صيغة النهي من مدلولها الرئيس _وهو طلب الكف_إلى معان أخر ، تعرف بالقرائن و تستفاد من السياق ، و منها على سبيل المثال: **الإرشاد** ، **التهديد** ، **التيئيس** ، **التوبيخ** ، **التسلية و التصبر** ، **التمني.**

نستنتج مما سبق أن النهي فعل كلامي أصلي،أما البقية من المعاني المتفرعة عنه فهي أفعال متضمنة في القول ،فما اعتبره اللغويون و النحاة "معان مجازية "؛ إنما هي أفعال كلامية تؤدي أغراضا خطابية و وظائف تواصلية معينة ، يحكمها مبدأ " الغرض " أو " القصد " الذي يبتغيه المتكلم من الخطاب .

وأما عن معاني النهي في كتاب **كليلة و دمنة** فهي على نوعين :

أ-معنى حقيقي : مثل:« **لا يتعرض لما يجلب عليه العناء و الشقاء** »[1]،وكذلك :« **لا يقبل من كل أحد حديثا،ولا يتمادى في الخطأ إذا التبس عليه أمره،ولا يلج في شيء عنه،ولا يقدم عليه حتى يتبين له الصواب فيه ...لا يطلب أمرا فيه مضرة لغيره لصلاح نفسه بفساد غيره** »[2].

ب-معنى مجازي : الغاية منه إرشاد الآخر بصيغة مخاطبة الأنا ، و من أمثلته في الكتاب : « **يا نفس لا تغتري بصحبة أحبائك و خلاّنك،ولا تحرصي على ذلك كل الحرص،يا نفس لا يحملنَّك أهلك و أقاربك على جمع ما تهلكين فيه إرادة صلتهم...يا نفس لا تركني إلى هذه الدار الفانية ،و لا تغتري بها طمعا في البقاء و المترلة التي ينظر إليها أهلها...يا نفس لا تملّي من عيادة المرضى و مداواتهم...يا نفس لا يَبعُد**

×الإنشاء غير الطلبي :

وهو إنشاء لا يستدعي أمرا حاصلا عند الطلب ، و ذلك كالتعجب ، و الترجي، و المدح ، و الذم، والدعاء ،وصيغ العقود ،والقسم،وبعض أفعال المقاربة مثل:كاد و كرب،وأفعال الرجاء :عسى،حرى...

1**-التعجب**:ومن أمثلته في **كليلة ودمنة**:«**ما أصغر هذه المشقة في جانب روح الأبد و راحته**»[1]،«**ما أمرَّ هذا و أوجعه**» [2]،فقد عبر المتكلمون في هذين المثالين عن [illegible] في شيء ما،الأول تحقيرا لها،والثاني استقباحا ، وتحقق ذلك من خلال صيغة التعجب القياسية **(ما أفعل)** .

وكذلك التعجب في المثالين:«**وكيف لا يستحلي الرجل مرارة قليلة تعقبها حلاوة طويلة،وكيف لا تمرُّ عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة** »[3]،و«**كيف يأبى الصبر على أيام قلائل يعيشها في النسك و أذى تلك الأيام قليل يعقب خيرا كثيرا ، أ وليس أن الدنيا كلها بلاء و عذاب**» [4]،ويفهم من السياق.

---

(1) كليلة و دمنة ، ص 64 .
(2) المصدر نفسه ،ص 65 .
(1) كليلة و دمنة ، ص 87 .
(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(4) المصدر نفسه ، ص 88 .

2-**الدعاء** :وأغلبه جاء على لسان الفيلسوف **بيدبا**،يقول:«**أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد،ودوام ملكه على الأمد**»(1)،و أيضا:«**الملك أطال الله مدته**»(2)،«**أيها الملك السعيد جدُّه،علا نجمك،وغاب نحسك،ودامت أيامك**»(3)،«**أكرم الله الملك كرامة يجمع له بها شرف الدنيا و الآخرة ،و أحسن جزاءه فقد أغناني الله بحسن رأي الملك عن جميع عروض الدنيا** »(4)،« **أنا للملك شاكر أسأل الله له دوام السرور و الغبطة في جميع الأمور**»(5).

ومثله«**أدام الله لك أيها الملك السرور و الفرح و قرة العين،ورزقك من الشرف في الدنيا ما تفوق به جميع المخلوقين،و في الآخرة أفضل المنازل مع الصالحين في جنات النعيم**»(6).

و« **أدام الله لك أيها الملك الكرامة و الجمال في الدنيا و الآخرة..و عمَّرك أقصى و منتهى غاية ما عمَّر به أحدا من آبائك في أفضل السرور،وأعمّ العافية،ووصل ذلك بجزيل شرف الآخرة و رضوان الله،إنه على ذلك قدير**»(11).

3-**المدح** : تعبيرا عن موقف الاستحسان،ومثله في **كليلة ودمنة** :«**الملك السعيد جده الطالع كوكب سعده**»(7)،«**أيُّها الملك الناصح الشفيق،الصادق الرفيق**»(8)،وكذلك :«**أيها الحكيم الفاضل،و اللبيب الفاضل،والذي وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل و الأدب و الفضيلة** »(9)،ومثله:«**إنَّ الذي طبع عليه الملك من جودة القريحة،و وفور العقل حرَّكه إلى عالي الأمور،وسمت به نفسه،و همته إلى أشرف المراتب منزلة ،و أبعدها غاية** »(10)،ومن المدح:«**لا أعلم أني رأيت رجلا أرصن عقلا،ولا أحسن أدبا،ولا أصبر على طلب الحاجة،ولا اكتم للسرّ منك ،ولا أحسن خلقا** »(11).

---

(1) المصدر نفسه ، ص 22 .
(2) المصدر نفسه ، ص 25 .
(3) المصدر نفسه ، ص34 .
(4) المصدر نفسه ، ص50.
(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) المصدر نفسه ، ص53.
(11) المصدر نفسه ،ص53، 54 .
(7) كليلة و دمنة ،ص26 .
(8) المصدر نفسه ،ص29 .
(9) المصدر نفسه ،ص32 .
(10) المصدر نفسه ،ص34 .
(11) المصدر نفسه ،ص45.

4-الذم:تعبيرا عن موقف الاستهجان، ومثله:« **ملكنا فظ غليظ يعاقب على الطفيف**»[1]،وكذلك«**وما هو عليه من الخروج عن العدل و لزوم الشر و رداءة السيرة و سوء العشرة مع الرعية** »[2].

×شروط نجاح الفعل الكلامي :

لضمان نجاح الفعل الكلامي بين المتخاطبين ينبغي توفر القواعد التأسيسية التي نادى بها **غرايس** هذه القواعد« ليست أعرافا عشوائية ؛بل هي وسائل عقلية لتسيير التبادل التعاوني »[3].

هذا و يخضع الفعل الكلامي لجملة شروط يتعلق بعضها بالمتخاطبين و بعضها الآخر بالمحتوى القضوي ، و قد حدَّد **جورج يول** George yuleهذه الشروط بخمسة أنواع هي: الشروط العامة Condition générales ،وشروط المحتوىconditions du content،والشروط التحضيريةpréparatoire conditions ،وشروط الوضوح Conditions du Sincérité ،و الشروط المحورية Essential conditions [4].

وقد تفشل بعض الأفعال في حالات خاصة ، تخترق فيها بعض الشروط لعدم مراعاة السياق « فجملة من قبيل "افتتحت الجلسة " لا تفضي إلى إنتاج فعل كلامي ناجح إذا لم يكن المتكلم شخص خاص في سياق خاص (الشخص في هذه الجملة القاضي في المحكمة) »[5].

وتتعلق **الشروط العامة** بالمتخاطبين و معارفهم اللغوية و مقاصدهم التواصلية ،أمَّا **شروط المحتوى** فتتعلق بالفعل الذي يرغب المتكلم في انجازه،فالوعد والتحذير مثلا لا بد أن يتعلقا بالمستقبل**...**وتحتاج هذه الأفعال **لشروط أولية تحضيرية**،فشروط الوعد الأولية مثلا اثنان،هو أن الحدث لا يتحقق بذاته؛بل يحتاج إلى من يحققه،والثاني هو وجود آثار مترتبة عليه،ويرتبط بهذه الشروط **شرط الوضوح**،أمَّا **الشرط المحوري** فيتم فيه نقل السامع من حالة إلى أخرى،فالتحذير مثلا ينقل السامع من حالة عدم معرفة بأحداث مستقبلية سيئة إلى حالة المعرفة،والأمر ينقل السامع إلى حالة إجبارية،و لهذا يتكون الشرط المحوري من محتوى الكلام و السياق و مقاصد المتخاطبين[6].

×الفعل الكلامي المباشر:

---

(1) المصدر نفسه،ص 47.

(2) المصدر نفسه ،ص 15 .

(3) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص430 .

(4) رحيمة شيتر ، تداولية النص الشعري ، جمهرة أشعار العرب أنموذجا ،ص 153.

(10) George yule ,pragmatics , OXFORD University , Press NEWYORK , fifth impression 2000.p 50 . نقلا عن : رحيمة شيتر ، تداولية النص الشعري ، جمهرة أشعار العرب أنموذجا ، ص153

(1) ibid ,la mème page .

وهو« الحدث الكلامي أو الخطابي الذي يدل عليه ملفوظ معين دلالة مباشرة و حرفية »[1]،ومثاله قولنا:"اخرج "،التي تعني أمر أحدهم بمغادرة المكان،وعلى هذا فالفعل الانجازي المباشر هو« الذي يعتمد المتكلم من أجل تحقيقه و المخاطب من أجل اكتشافه و التعرف عليه على ما تحتويه البنية اللسانية الشكلية للملفوظ مباشرة »[2].ومن أفعال الكلام المباشرة في **كليلة و دمنة** : **الأمر** و **الاستفهام** و **النداء**،ما لم تخرج عن مقتضى الظاهر لتفيد معان أخر تستفهم من السياق،وقد تكلمنا عنها في مواضع سابقة .

×الفعل الكلامي غير المباشر:

تثبت الدراسات أنّنا نتواصل بالأفعال الانجازية غير المباشرة أكثر مما نتواصل بالأفعال الانجازية المباشرة ، «فالأفعال الانجازية التي لا تستخدم إلا مباشرة قليلة جدا،وهي تقتصر في الغالب على ما يسمى بالأفعال المؤسساتية أو التشريعية،كالتوكيل،والتفويض،والوصية،والتوريث،و الإجارة ونحوها؛ لأنَّ الأفعال الكلامية إن استخدمت هنا غير مباشرة،فسوف تؤدي إلى اللبس و ضياع الحقوق»[3].

ويعد **سيرل** من بين الأوائل الذين بحثوا في الأقوال التي لا تدل صيغتها على ما تدل عليه،فقد لاحظ أن التأويل الكافي لجمل اللغات الطبيعية يصبح متعذرا إذا اكتفينا بما تحويه الصيغة من معلومات؛فجملة:(هل يمكنك أن تناولني الملح) ظاهرها استفهام،ولكن دلالتها لا تشير البتة إلى ذلك؛ إنما تشير إلى الطلب.فدلالة الجملة الحرفية هي الاستفهام ،في حين دلالتها الاستلزامية (الضمنية) هي الالتماس[4]،كذلك عبارة (صباح الخير)،قد لا تعني في مقام معين التحية الصباحية؛ وإنما قد يفصح المقام عن استخدامها للسخرية أو التهكم.

هذه الأحداث غير المباشرة بتعبير **سيرل** هي«حالات ينفذ من خلالها حدث حقيقي بشكل غير مباشر بواسطة حدث آخر »[5]،و من الأمثلة المشهورة،كما سبق و أشرنا،الالتماس؛أي الطلب المؤدب، الذي يبدو في ظاهره سؤالا :

- هل تعطيني الكتاب من فضلك ؟.
- هلا جلست هناك ؟.

بالإضافة إلى الجمل الإخبارية التي تظهر كأسئلة في ظاهرها ، و تسمى عادة بالأسئلة الاستنكارية :

- من يهتم ؟ (لا أحد يهتم).
- ألم أخبرك أن تكون صريحا ؟ (لقد أخبرتك ...).

ولتفسير العلاقة بين القوة المباشرة و غير المباشرة في مثل هذه الجمل،قام بعض الباحثين باقتراح طريقتان من وجهة نظر علم الدلالة التوليدي :

---

(1) إدريس سرحان ، طرق التضمين الدلالي و التداولي ،ص342 .
(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 82 ، 83 .
(4) إدريس سرحان ، طرق التضمين الدلالي و التداولي، ص 345 .
(5) قويدر شنان ، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني المنشأ الفلسفي و المال اللساني ، ص28 .

Ãاقتراح **ليكوف** و **غوردن** لبعض المبادئ و المسلمات التخاطبية،أو قواعد تداولية تعمل على مستوى البنى العميقة للجمل .

Ãاقتراح **صادوك** **وكول** **ومورغان** بتوسيع الفرضية الانجازية لتشمل الأحداث الكلامية غير المباشرة،بحيث تمثل قواها الانجازية الكامنة بـــــــــــــ" **البنية العميقة** "،وتفسر العلاقة بين القوة التحقيقية المباشرة و غير المباشرة من خلال قواعد تحويلية ، و تُعامل على أنها أمثلة منحرفة للعلاقة القواعدية بين البنيتين العميقة و السطحية،فالبنية العميقة للمثال: هل يمكنك أن تناولني الكتاب ؟ هي فعل انجازي توليدي صيغته : أطلب منك أن تناولني الكتاب[1].

وقد نجز عن هذه الاقتراحات مصاعب تقنية و نظرية فمن ناحية أولى يجب إيجاد اشتقاقات تحويلية لبناء تركيبي استفهامي مثل:هل يمكنك أن تناولني الكتاب من فضلك؟من فعل انجازي توكيدي مثل:اطلب منك أن تناولني الكتاب من فضلك.في حين تكمن الصعوبات النظرية في اقتراح **ليكوف** و **غوردن** في أنهما أقاما اقتراحهما على أشكال معقولة لصيغ الطلب .

وفي محاولة للتغلب على هذه الصعوبات يعطي **سيرل** تفسيرا للأحداث الكلامية غير المباشرة مع الأحداث الكلامية المباشرة،بالنظر إلى العلاقة بين القوة الانجازية غير المباشرة و قوتها الانجازية الظاهرة ،كالعلاقة بين **(ما قيل)** و **(ما يقصد)** ،ويسمي **سيرل** الفجوة الحاصلة بين الحاسين بـــــــــــــ " **الاستلزام الحواري** ".

وقد اقترح **غرايس** مجموعة من القواعد تضبط عملية التخاطب أو التأويل،وتشمل **قاعدة الكم**،و**قاعدة الكيف**،و **قاعدة الورود**،و**قاعدة الكيفية** ،فإذا ما تمَّ خرق إحدى هذه القواعد ينتج لدينا استلزام حواري،ولهذا تلعب الأفعال الكلامية دورا هاما في تحويل المقاصد و المعتقدات ، و ذلك من خلال العمليات الذهنية الاستنتاجية،التي يقوم بها المتخاطبون،والتي لا تظهر في العملية التلفظية،إذ أنها أفعال لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة في المعنى الانجازي الحرفي؛ و إنما تكمن الزيادة فيما أطلقه **سيرل** بمعنى التكلم،وذلك بالتركيز على ما يتلفظه المتكلم من ناحية،وعلى ما يقصده من ناحية أولى .

وعلى العموم يمكن التمييز بين الأفعال الانجازية المباشرة و غير المباشرة من خلال تحديد ثلاثة فروق جوهرية ، هي:

Ã أنَّ القوة الانجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات،في حين تستند الأفعال الانجازية غير المباشرة إلى المقام،بحيث لا تظهر قوتها الانجازية إلا فيه.وهنا يكمن الدور البالغ الأهمية للسياق في تحديد القوة الانجازية للفعل الكلامي،فعبارة **"افتتحت الجلسة"** قد تعني في سياقها الملائم:جلسة محاكمة،في

---

(1) المرجع نفسه، ص 29 .

حين قد تعني خارج هذا السياق تعبيرا غير حرفي عن جلسة حديث عائلي،أو تطلق للسخرية من جماعة تغتاب شخصا آخر .

Ãأنَّ القوة الانجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى،فإذا قال لك صديقك:أتذهب معي إلى المكتبة؟، فقد تلغى القوة الانجازية غير المباشرة و هي الطلب ، ليقتصر الفعل على قوته الانجازية المباشرة ، التي هي الاستفهام .

Ãأنَّ القوة الانجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استنتاجية استدلالية ، تتفاوت من حيث البساطة و التعقيد، أما القوة الانجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه(1).

في حين يضع **مونقانو** (Maingueneaus) شروطا للتعامل مع المضمرات القصدية ، و التي هي:

أنَّ القوة الانجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استنتاجية استدلالية ، تتفاوت من حيث البساطة و التعقيد، أما القوة الانجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه(2).

Ãالكفاءة اللغوية القائمة على معرفة الافتراضات المسبقة (Présupposition).

Ãمعرفة قوانين الخطاب: التي صنفها **غرايس** و المنضوية تحت مبدأ عام يجمعها،هو **مبدأ التعاون**، والذي « يلزم عناصر التواصل بعدم قطع العلاقة التحادثية القائمة بينهم»(3)،إذ يسهم هذا المبدأ و ما يتفرع منه من مسلمات تحادثية(Maximes conversationnelles) في ضبط الأفعال من حيث دلالتها على قصد المتكلم

Ãالمعرفة الموسوعية(4).

وقد أورد التداوليون ملخصا حول الدوافع التي جعلت المتكلمين يلجئون إلى التعبير بشكل غير مباشر، لعلَّ أبرزها :

Ã تصارع أو تشابك الأهداف و الأغراض.

Ãالرغبة في قول و عدم قول أي شيء في الوقت نفسه.

Ã أنَّ استخدام اللامباشرة قد يكون من أجل تحصيل المتعة.

ولكن التفسير الأكثر شيوعا هو ذاك المتعلق بـــــــــــ**"اللطافة و التأدب"**، فقد اهتم به كل من **سيرل** و **غرايس** ثم **براون** و **لوفينسون** بوصفه سببا أساسيا باطنيا لاستخدام الأسلوب غير المباشر،بمعنى أنه قدرة يمتلكها المتكلم و المستمع، في حين اهتم به ليتش بوصفه مستوى سطحيا يتعلق مباشرة بالعادات و

---

(1)بتصرف عن:أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 83 ، 84.
(2) بتصرف عن :أحمد محمود نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، ص 83 ، 84 .
(3) Voir : Dominique maingueneau ;pragmatique pour le discours littéraire ;bordas,paris, 102.
(4)Ibid ,p 80

الطبائع الاجتماعية المتعارف عليها ، ومن وجهة نظر **براون** و **لوفينسن** فإن درجة التلطف المطلوبة في التحاور تقوم على عوامل هي:

- **المسافة الاجتماعية** :والتي تتكون من عوامل نفسية حقيقية مثل:المكانة،العمر،الجنس،درجة الألفة ...إلخ ، التي تقرر مجتمعة درجة الاحترام المطلوبة في حالة كلامية معينة .
- **القوة النسبية .**
- **حجم السيطرة.**

وقد اقترح **توماس** Thomas J.A إضافة محور آخر يتعلق بـــــــــــــ**"الحقوق و الواجبات"**،ولكن يجب وزن هذه العوامل مجتمعة بعلاقتها بالسياق الثقافي(1).

ومن أفعال الكلام غير المباشرة في **كليلة ودمنة** : **الاستفهام غير المباشر**،إذ لا يتطابق معناه الدلالي مع المعنى الذي رغب المتكلم في التعبير عنه،وإنما قد يفصح المقام عن المعنى الحقيقي المراد من إطلاقه،وأمثلته كثيرة في الكتاب، فليس القصد منه السؤال الذي هو القوة الانجازية الحرفية المباشرة للاستفهام،وإنما يخرج عن ذلك ليفيد معان متعددة بحسب السياق الوارد فيه .

وتعد جميع **ضروب الخبر** أفعالا كلامية غير مباشرة؛ إذ تدفع المخبر بها إلى الاقتناع بفحواها، و من ثمَّ القيام بما تتضمنه من فعل كلامي غير مباشر على الرغم من صيغتها الإخبارية العادية .

إنَّ الأفعال الكلامية غير المباشرة تخترق حياتنا بشكل واسع؛إذ ننتج وبدون إدراك تام منا **استعارات(** أفعال كلامية غير مباشرة **)**كثيرة في لغتنا اليومية،هذه الاستعارات و غيرها من الأنواع التصويرية الأخرى تخلق تصادما بين **ما يقال** و **ما يهدف إليه،** فالصور غير الحرفية تختلف عن الكلام الحرفي في الطريقة التي يتصل بها القول مع قصد المتكلم ، فإذا كان هناك تطابق في القول و القصد في الكلام الحرفي ، فإن هذا التطابق لا وجود له في الكلام غير الحرفي.

كذلك يعكس تسلل الاستعارة و غيرها من الأنواع التصويرية في حياتنا حضورا للخيال بشكل أو بآخر، فكيف الحال في النصوص الأدبية، التي تنبني على الصور التخييلية بالدرجة الأولى.

×الفعل الكلامي و الخطاب الأدبي:

إذا كان الخيال مظهرا من مظاهر اللغة العادية؛فإنَّه يبدو في لغة الأدب أكثر تألقا؛بل أنه مطلب أساسي فيها، فالنصوص الأدبية«ضرب من الاستعارة القصوى،فدلالتها لا تتجاوز الملفوظ ذاته،وترتكز على مواصفات مضمرة خاصة ،وعلى عقد واقع بين الكاتب و القارئ،إنها طريقة مخصوصة في اللعب باللغة »(2).وحقيق بنا أن نتساءل هنا إذا ما أفضى الخطاب الأدبي،بما هو خطاب تخيلي بامتياز، إلى انجاز أفعال كلامية أم لا ؟.

---

(1) أنظر : قويدر شنان ، التداولية في الفكر الانجلوسكسوني المنشأ الفلسفي و المآل اللساني، ص30 ،31.
(2)فيليب بلانشيه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة ،ص 149 .

يلعب الخيال أو تكوين الصور دورا هاما في تشكيل وعي المتلقي و إدراكه،و فعل الإدراك،الذي يؤدي إلى متعة الإدراك،يولد في المتلقي تجربة جمالية اتصالية / تطهرية [1].

إنَّ النص الأدبي باعتباره نصا يفترض طقسا خاصا و شروطا لنجاح عملية تأويله:إن نصا أدبيا لا يستقبل استقبالا ملائما إذا لم ننظر إليه على أنه أدبي،وفي النص الأدبي بالذات تبرز و بقوة مسألة من المسائل الهامة التي عالجتها التداولية ، وأولتها عناية خاصة ،و هي مسألة المضمر(L'implicite).

ويظهر هنا أن الاعتماد على المكونات اللغوية وحدها لا يكفي؛بل إن السياق المشترك و المعارف المشتركة و الآفاق الايديولوجية و الفنية المشتركة تلعب دورا حاسما في هذا المجال،يقول **باختين** :« في الملفوظ لا يمكن أن يصبح مضمرا إلا ما نعرفه نحن _مجموع المتخاطبين_و نشاهده و نحبه و نتعرف عليه،و ما يوحد بيننا...إن " أنا " لا يمكن أن تتحقق في الخطاب إلا بالارتكاز على"النحن"،بحيث يصبح كل ملفوظ يومي شيئا يشبه قياسا مضمرا (Enthymème) موضوعيا و اجتماعيا »[2]، ويرى **جيرار جونيت** أن « الخيال السردي نتيجة للأفعال اللغوية غير المباشرة »[3]. ويذهب **مونقانو** إلى وجود اتجاهين أساسيين،يرى أحدهما أنه توجد أفعال كلامية خاصة بالأدب ،سواء كانت مباشرة أو غير مباشرة ،ويذهب الاتجاه الآخر إلى أن الخطاب الأدبي هو تحويل لأفعال كلامية جادة [4].

وتعدُّ **الاستعارة** عند العديد من الباحثين **فعلا كلاميا غير مباشر**،إذ أن« محتوى الاستعارة في الأدب غير ممكن إعادة صياغته في لغة حرفية »[5]،على أن هناك « تصادما ظاهرا _في الاستعارة و كذلك في الأنواع التصويرية الأخرى من الكلام_بين ما يقال و ما يهدف إليه...و في الاستعارة فإنَّ غير المباشرة Indirection هي أحد أجزاء الملفوظ الاستعاري »[6].

---

(1) يعتمد البعد الاتصالي /التطهري في نظرية الاستقبال مع **ياوس** على فعل **التماثل** ، و الذي في جوهره اتصال بين ذات و أخرى ، و قد يكون التماثل مع بطل الرواية ،أو المتكلم في القصيدة ،أو الأفكار و السلوكيات المطروحة و الجديرة بالثناء . و للتماثل خمسة أنماط أو صيغ تقررها الميول أو النزعات المصاحبة لفعل الاستقبال، و هي: **التماثل مشاركة**(حيث يندمج المتلقي بالعالم الخيالي للخطاب كباقي شخوص الحكاية) ،**التماثل إعجاب** (تجاه البطل أو المشهد عموما بحيث يتشجع المتلقي لتقليد و تبني سلوكيات البطل) ،**التماثل تعاطف**(التعاطف مع البطل أو الثيمة عموما و من ثمَّ اتخاذ خطوات عملية لتنفيذ ما يدعو إليه البطل أو النص)،**التماثل تطهر** (بحيث يضع المتلقي نفسه مكان البطل و يتماثل معه و يتطهر من المشاعر السلبية بداخله) ، **التماثل تهكما**: يقوم المتلقي برفض البطل أو السخرية منه.وهذه الصيغة في جوهرها رفض و هدم للتماثل ، لأنها تكرس الاغتراب بين المتلقي و البطل أو الفكرة المستهدفة ، ويرمي التماثل تهكما إلى تحريك ملكة النقد عند المتلقي ليتفحص مسلماته و منظومته المعرفية ، سواء في فرضياتها الأخلاقية أو الاجتماعية أو الأدبية. زهرة أحمد حسين علي ، النفي إلى الهامش ، نحو استشراف المنظومة الأدبية لصقر الشبيب ، مجلة عالم الفكر، مج 25 ، عدد 4 ، أبريل / يونيو 1997 ، الكويت،ص217، 218.

(2)عبد القادر بوزيدة ،ملاحظات و مقارنة بين بعض الاتجاهات التداولية : باختين و مونقانو نموذجا، مجلة اللغة و الأدب ، ع17 ،جانفي 2006، الجزائر، ص 47 .

(3) Mainguenеaus , Pragmatique pour le discours litéraire , p24

(3) Ibid , la même page.

(5) أحمد صبرة ، التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية ، مجلة علامات ، جدة ،ج49 ، م13،سبتمبر 2003 ، ص 480 .

(6) المرجع نفسه ،ص 486 .

لذلك فإنَّ الاستعارة « تحتاج لقواعد إضافية لفهمها »[1]، إذ الفرق بين المعنى الحقيقي و المعنى الاستعاري شاسع ،فالأول « قابل للمعجمة ،بينما المعنى الاستعاري لا يمكن تجسيده في معاجم لغوية »[2].

ويرى **سادوك** (Sadoc) أن المبادئ التي تتحكم في الاستعارة تنتمي إلى دائرة علم النفس وليس إلى دائرة اللسانيات ؛ إذ لها صلة وثيقة بعمليات الإدراك و التخيل وطرائق تحليل الذاكرة[3].

ومن يقرأ كتاب **كليلة ودمنة** تشده الاستعارة كفعل كلامي طاغ على نصوصه،فهي من حيث دلالتها و كثافتها في نص **كليلة و دمنة** يمكن عدها **فعلا كلاميا جامعا**(Macro acte de langue) ، فالكتاب استعاري برمته ، لاعتماده التشخيص (Personnalisation)بالدرجة الأولى،بحيث استعار مؤلفه دلالات تنتمي إلى عالم البشر فجاءت على ألسنة الحيوان.

كما تشكل الاستعارة **فعلا كلاميا حجاجيا** ، أثارها المؤلف لتدعيم المزاعم و الأفكار التي يعلن عنها السارد **بيدبا** ، أثناء مخاطبته القارئ الافتراضي أو الواقعي،وعليه يجب أن يراعى في النظر إلى الأعمال الأدبية أنها ليست ملفوظات منعزلة ؛ بل كيان متكامل ،وهو ما يقودنا إلى اعتبار الخطابات الأدبية أحداثا كلامية بدل كونها أفعالا كلامية .

×مفهوم الحدث الكلامي :

إنَّ النصوص الأدبية ، طالت أم قصرت ، لا تؤدي بالضرورة دائما إلى أفعال كلامية مختلفة ،كالشكر،و التهنئة، و الأمر، و النهي، و الوعد...الخ ؛ بل إننا في كثير من الأحيان نصادف فيها فعلا كلاميا واحدا،لكن هذا لا ينفي وجود أفعال كلامية أخرى،كالاستفهام و التعجب و غيرها،لأنَّ العملية التخاطبية لا تقوم على فعل كلامي واحد؛وإنما تتضافر الأفعال الكلامية المختلفة لتعبر عن الكفاءة التداولية للمتكلمين .

فالحدث الكلامي انطلاقا من هذا التصور سلسلة من الأفعال الكلامية أو هو«نشاط يظهر في التفاعلات الخطابية و اللغوية بطريقة تواضعية تفضي إلى نتيجة ما، و يمكن أن يحتوي على فعل كلامي مركزي ،ولكن يمكن أيضا أن يحتوي (الحدث الكلامي)على منطوقات تقود إلى ردود أفعال متتابعة تبني الفعل المركزي »[4].

---

(1) المرجع السابق ،ص 487 .
(2) المرجع نفسه ،ص487 ، 488.
(3) المرجع نفسه ،ص 486 .
(4)George yule ,Pragmatics ,p 57. 158 نقلا عن :رحيمة شيتر ، تداولية النص الشعري ، جمهرة أشعار العرب أنموذجا،ص

هذا الحدث سواء صرح به أو كان مضمرا تتضافر سلسلة من الأفعال الكلامية في إنشائه،وقد تظهر القيمة الانجازية لهذا الحدث في الأعمال الوعظية القصصية_كما في **كليلة و دمنة**_التي تضطلع بدور الشاهد «الذي يكتسب قوته الاقناعية،أي فعاليته التداولية،من خاصيته الحكائية »[1]،فيما يحاول القراء الولوج إلى عالم النص؛ إذ يتمتعون « بحق قراءة الأفكار الخلفية للمتكلم ، و التنقيب عن المعاني المسكوت عنها ، و ذلك في حدود معينة بالطبع تقوم على مقاومة الضغط اللامتناهي للدينامية الترابطية ، و التحكم في التوالد الفوضوي للعلامات»[1].

وتنطوي الأغراض على أفعال كلامية تضمر علاقة ما بالفعل المحوري أو المركزي ،و قد أطلق عليه التداوليون اسم " **الفعل الكلامي الجامع** "،و يعد الفعل الكلامي الرئيس (البؤرة) في **كليلة و دمنة** (الذي نعده في هذا الكتاب فعلا جامعا) هو : **إسداء النصيحة** .

هذا الفعل لم يكن ليكتب له النجاح إلا على أساس إستراتيجية محكمة ، تخللها تقديم الحجج التي لا يمكن دحضها ، مصوغة في مجموعة من المقدمات مكنت الملك من فهم الدلالات الضمنية لأقوال الفيلسوف،دون أن يصرح بها ؛ لأنه يدرك أن التصريح ضمن هذه المواقف نهايته الهلاك ، فهو لم يقل أنَّك حاكم مستبد و متجبر،وأن حكمك لن يدوم ، لأنك لم تلتزم بسنن و أخلاق الملوك العدول، فالملك فهم ذلك بجدارة ، الأمر الذي أغضبه، مما حمله على الأمر بقتله وصلبه.

ولكون الأسلوب الذي جاءت عليه نصيحة **بيدبا** قد أعطى ثماره في مرحلة لاحقة،فقد فكر مليا فيما فعل،وأمر بإطلاق سراحه، و أكرمه، و رفع من قيمته و درجته؛ بل ذهب إلى أبعد من ذلك حينما أمره بوضع كتاب «**مشروع ينسب إليه ،وتذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه و أجداده من قبله**»[2].

---

(1) إدريس سرحان ، طرق التضمين الدلالي و التداولي ،ص103.

(2) محمد الولي ، الاستعارة في محطات يونانية و عربية و غربية ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، ط1 ، 2005 ،ص417 .
(3) عبد الله بن المقفع ، كليلة و دمنة ، ص 33 .

×الوصف و انجاز الخطاب السردي :

يعد الوصف فعلا كلاميا ، أو بالأحرى حدثا كلاميا له فاعلية خاصةً في ارتباطه بصنف خاص من الخطابات هو الخطاب الأدبي ، فيكون الوصف فضاءً جامعا بين الحقل التداولي و الخطاب الأدبي.

فالخطاب الأدبي خطاب ينبني على إعادة تسمية أشياء العالم « و اللغة حين تهم بتسمية الأشياء تقوم بمناداتها،لكي تقربها إلى عالمها فتحتويها بالوصف،وحينها ينبثق المعنى من هذه العملية المعقدة التي ينتجها الفعل اللغوي »(1)،ولقد أشار القدامى إلى مركزية الوصف في العمل الأدبي بشتى أنواعه،والأمر يشمل السرد الذي يجعل من الوصف حلقة مهمة من حلقات نموه.

و بما أن الوصف فعل كلامي، فإنَّه في **كليلة ودمنة** يتكون من :

Ã **فعل قولي** : صوت و تركيب و دلالة و إيقاع .

Ã **فعل انجازي** : يتعلق بتحقيق الرغبة في جلب الاستماع .

Ã**فعل تأثيري** : يتجلى في التحقق الفعلي للتجاوب مع الخطاب .

كما يقوم الوصف بدور آخر يرتبط بأطراف العملية التواصلية من جهة، و من جهة أخرى بالحواس الفاعلة في مجال الوصف« فأبلغ الوصف ما قلب السمع بصرا »(2)،إنه يلعب على أكثر الحواس ارتباطا بالوجود المادي العيني ،و يقوم باستحضار المغيب.

فخطاب **كليلة ودمنة** من الخطابات التي«تتحول فيها حاسة السمع إلى بصر و بصيرة،وحاسة البصر إلى حاسة سمع جديدة »(3).خطاب تتحول فيه اللغة عن بعدها الأول (المكتوب، السطحي، المعجمي) إلى بعدها المتحرك...و بذلك تظهر اللغة عملية خيميائية وليست كيميائية كما يرى **آرثر رامبو** في "كيمياء اللغة " ؛ أي أن تتحول اللغة إلى علائقها " النسقية " و " الرؤيوية " و " المخيلتية " و " الحواسية " و " الحدسية " و " ما وراء ذلك "(4).

×الفعل الكلامي و الحجاج :

غلب على أصحاب نظرية الأفعال الكلامية الاشتغال بالبسيط منها فقط،و لم يشتغلوا بـــــــــــــ" الأفعال اللغوية المركبة "، وهذا بالذات ما أرادت النظرية الحجاجية المعاصرة تفاديه فقاما بتوسيع هذه النظرية لتشمل الأفعال اللغوية المركبة فضلا عن الأفعال اللغوية البسيطة ، فالبنية الحجاجية عبارة عن سلسلة من الأقوال مرتبطة ارتباطا مخصوصا،إذ يمثل القول فيها أصغر وحدة تكوينية l'unité minimale .

---

(1) أحمد يوسف ، الدلالات المفتوحة ، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، ص 87 .
(2) ابن رشيق، العمدة ، ص 196
(3) بايزيد فاطمة الزهراء ، سيمياء الحواس في فوضى الحواس ، الملتقى الدولي الخامس " السيمياء و النص الأدبي "، ص124 .
(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

يقول **ديكرو**:«لقد عالجنا نظريتنا الحجاجية ضمن النظرية العامة للتلفظ_الحديث énonciation»[1]، وتحتوي كذلك على أفعال لغوية بسيطة،على أن الفعل الحجاجي فعل كلامي مركب.

فقد اهتم **ديكرو** بدراسة وظيفة الفعل اللغوي المحقق في القول،والذي يعد أصغر وحدة تكوينية تداولية،ولأن الدرس الحجاجي عند **ديكرو** و**انسكومبر** يندرج ضمن التداولية المدمجة كان القول هو الوحدة الصغرى الأنسب للدراسة،يقول **طه عبد الرحمن**:«اعلم أن نظرية المراتب الموجهة توجيها قصديا تشارك بعض الاتجاهات اللسانية**...**في التسليم بأن الوحدات الأولى التي هي الأصل في الخطاب الطبيعي ليست هي "المفردات "كما اشتهر ؛ وإنما هي وحدات حوارية حجاجية تتمثل في المركبات التي هي "الأقوال"»[2].

وتتمثل وظيفة الحجاج عند **ديكرو** و زميله في التوجيه الناتج عن القول ،والذي يطلق عليه **طه عبد الرحمن** اسم "**الحجاج التوجيهي** " و يعرفه« هو إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل،علما أن التوجيه هو هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره »[3].

والشاهد على ذلك أن نظرية الأفعال الكلامية قد جعلت من مفهوم القصد و الفعل الأصلين الذين تتفرع عليهما باقي مفاهيمها،يقول **طه عبد الرحمن**:«إن كل حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية في تعلقها بالمتكلم،و الدليل هو أنها تعد فعلا قصديا متميزا»[4]،فالفعل الكلامي مثل الحجاج نشاط يقوم على القصدية intentionalité و الاتفاقية conventionnalité.

كذلك فإنَّ الفعل المتضمن في القول أو المنجز بالقول يشكل حجة تدفع المتلقي لتغيير موقفه أو تعديله،فيصبح رد فعله متصلا بذلك الفعل المتضمن في القول، و لتوضيح ذلك نورد الأمثلة الآتية من **كليلة ودمنة** :

يقول **بيدبا** على لسان **دمنة** :« **إنَّ اللئيم الكفور لا يزال ناصحا نافعا حتى يرفع إلى المترلة التي ليس لها بأهل،فإذا بلغها اشرأبت نفسه إلى ما فوقها** »[5]،**فالفعل اللفظي** هو الهيئة التركيبية لهذا المثال.بما انتظم من أصوات لغوية داخل تركيب نحوي سليم له دلالة حرفية تتمثل في التقرير،أمَّا **الفعل الانجازي** فيتمثل في مراد الفيلسوف **بيدبا** من هذا التقرير ؛ إذ ينبه السلطة إلى ما يتوجب عليها تجاه من أحسنت إليهم ، و أغدقت عليهم منافعها ، ليتبين أن هؤلاء أشد خطرا من أولئك ، فيدعوها إلى الاحتراس و التوقي و عدم الائتمان و الاسترسال لمثل هؤلاء ، أمـــَّــا **الفعـــل التأثيري** فيتمثل فيما يتركه هذا التقرير من أثر في المتلقي(السلطان **دبشليم**)؛ إذ يعيد حساباته فيمن أحسن إليهم،فالملك حقيق أن يربط شكوكه و تسلسل الأحداث موقظا حدسه و قدرته على التوقع ، حتى يأمن العواقب.

.(1)O.Ducrot ,J.C.Anscomber ;L'argumentation dans la langue Pierre Mardaga, 1983 , p 05

(2) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص275 .

(3) المرجع نفسه ، ص227 .

(4) المرجع نفسه ،ص 259 .

(5)كليلة و دمنة ، ص 132 .

وفي قوله كذلك على لسان **دمنة**:«**لو أن امرءا توسد النار،وافترش الحيات،كان أحق أن يهنئه النوم،ممن يحس من صاحبه بعداوة يريده بها**»[1]،**فالفعل اللفظي** يحمل دلالة حرفية تتمثل في الشرط(الجملة الشرطية)،أمَّا **الفعل الانجازي** فيكمن في التحذير الذي قصد فيه المبالغة بالتمثيل ليظهر جدية تحذيره،ومدى الخطورة التي تنطوي عليها قلة التحذير،وأمَّا **الفعل التأثيري** فيتمثل في إعمال السلطان نظره،وما يجب عمله لتوقي المتآمرين.

نستنتج أن **الفعل التأثيري** هو نتيجة أثر **الفعل الإنجازي**، ومن المعلوم أن كل الأفعال الإنجازية قد لا تلازمها أفعال تأثيرية.ولكن في الحجاج يمكن القول أن كل فعل إنجازي يؤدي بالضرورة إلى فعل تأثيري،لأن غاية الحجاج هي التأثير في معتقد أو سلوك المتلقي،وهذا التأثير ينجم عن النتيجة التي يريد المحاجج إقناع المتلقي بها.

وفيما يلي نتتبع بعضا من نماذج الأفعال الكلامية ،من **كليلة ودمنة**،وعرض غرضها الإنجازي،وما يتركه من أثر في المتلقي كدليل على ضرورة تلازم الفعل التأثيري مع الفعل الإنجازي في الحجاج :

Ã **فعل النصح** : سبق و أشرنا إلى أن النصح هو الفعل الكلامي الجامع في **كليلة ودمنة** ، فكل القوالب اللغوية التي صيغت بها الحكايات هي أفعال قولية أو لفظية،فيما يتمثل الفعل الانجازي في التقرير ، و الاستفهام و الأمر ، و النداء و غيرها، التي تدعو جميعا المخاطب إلى العمل بها أو تركها ،و أمَّا الفعل التأثيري الذي هو غاية الحجاج فيتمثل في قبول النصيحة والامتثال لها في الحياة العملية.

ومثل ذلك :«**يا نفس انظري في أمرك،وانصرفي عن هذا السفه،وأقبلي بقوتك و سعيك على تقديم الخير،و إيَّاك و التسويف،و اذكري أن هذا الجسد موجود لآفات**»[2]،فهذا نموذج عن النصح الذي يتضمن فعل القول و الانجاز و التأثير.وقوله :«**وليس لأحد النظر في القدر الذي لا يدري ما يأتيه منه،ولا ما يصرف عنه،و لكن عليه العمل بالحزم و الأخذ بالقوة،ومحاسبة نفسه في ذلك** »[3].

فالفيلسوف **بيدبا** ينصح الإنسان بدعوته إلى مواجهة القدر،وذلك بالاحتراس و التوقي و الأخذ بالحزم و القوة ، و نفسه يجب أن يحاسب ،و إذا لم يعمل على ذلك ما استطاع حينها تقع الملامة .

ويدعم ذلك بقوله على لسان الجرذ :« **هذا بلاء قد اكتنفني،وشرور تظاهرت علي،ومحن قد أحاطت بي،و بعد ذلك فمعي عقلي فلا يفزعني أمري،ولا يهولني شأني،ولا يلحقني الدهش،ولا يذهب قلبي شعاعا ؛فالعاقل لا يفرَقُ عند سداد رأيه ،و لا يعزب عنه ذهنه على حال** »[4].

---

(1) المصدر نفسه ، ص133 .
(2) المصدر نفسه ، ص 76.
(3) المصدر نفسه ،ص 278 .
(4) المصدر نفسه ، ص 264،265 .

ينصح **بيدبا** العاقل أن لا يستسلم أو يقع في الدهش و التخبط،ولا يتفرق عليه رأيه،فالاعتقاد بسلطة المقدور لا يمنع المرء من اللجوء إلى عقله و حيلته،لإيجاد المخرج الملائم،أو التقليل من وقع البلاء،هذا إذا لم يُحوّل مجرى الأحداث السيئة ليُسيّرها بالاتجاه الأنسب.

ويقدم الفيلسوف **بيدبا** نصيحة أخرى للملك يقول:«**العاقل...لم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره و عاقبة صبره** »(1) ؛إذ ينصحه باعتماد الخضوع كوسيلة لتحقيق غاية نبيلة،وهي إبعاد الجائحة عن النفس و الوطن ، فأهل البيت تفتدى بهم القبيلة ، و القبيلة تفتدى بها المصر ، و المصر يفتدى به الملك.

فحتى و إن كانت الوسيلة غير شريفة أخلاقيا (نقض العهد و إهلاك صديق : مثل الذئب و الغراب و ابن أوى و الجمل) ، فالغاية نبيلة « **فيها إصلاح و ظفر** » (2)،وهذا تمثيل واضح لمقولة :« **أفضل الأعمال أحلاها عاقبة**» الواردة في الكتاب.

وفي موضع آخر ينصح الفيلسوف **بيدبا** القائد العاقل بتجنب الإحباط أو الغرور،يقول:« **لا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده فيهلكه ، و تحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغا يبطره و يسكره،فيعمى عليه أمره** »(3)، فأوقات الشدة هي محك حسن القيادة،كما لا يجب أن يبطره الانتصار و يسكره ، فعلى القائد الكفء التحلي برباطة الجأش في الحالتين، هذه الصفة التي يجدر توفرها في كل صاحب مسؤولية.

في موضع آخر ينصح **بيدبا** السلطة بالتهيؤ للمستقبل،والاستعداد لمواجهة المستجدات و التقلبات التي قد يحملها الزمن إليها ،يقول :« **أرى أن تحتال للأمر قبل تفاقمه،ولا تنتظر وقوعه ؛لأنك لا تأمن أن يفوتك و لا تستدركه ...و أحزم الرجال المقدام ذو العدة، الذي يعرف الأمر قبل وقوعه، فيعظمه إعظاما،و يحتال له حيلت حتى كأنه قد لزمه ،فيحسم الداء قبل أن يبتلى به،و يدفع الأمر قبل وقوعه** »(4).

فالسلطة العاجزة الفاسدة عند **كليلة ودمنة** هي تلك المترددة المسترسلة،والمطمئنة إلى علاجات الزمن، معتقدة أن الزمن الذي يحمل المشكلة يحمل معها حلولها أيضا:« **أعجز الملوك آخذهم بالهويناء،وأقلهم نظرا في مستقبل الأمور وأشبهه بالفيل الهائج الذي لا يلتفت،فإن أحزنه أمر تهاون به ،و إن أضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه** »(5).

وبيدبا في مواضع أخرى ينبه الملك ممن سبق و أساء إليه ،ويدعوه إلى ضرورة استبعاده عن المناصب الرفيعة في الحكم ؛ لأنه سيعمل على الإضرار به انتقاما للإساءة ، لذلك لابد من الحذر منه،وعدم الائتمان له،أو الاسترسال إليه، وهي قاعدة لكل زمان و لكل سلطة .

---

(1) المصدر نفسه ، ص 242 .
(2) المصدر نفسه ، ص 146.
(3) المصدر نفسه ، ص 265 .
(4) المصدر نفسه ، ص 129،130 .
(5) المصدر نفسه ، ص 133 .

وفي قوله: « **إن اللئيم الكفور لا يزال ناصحا نافعا حتى يرفع إلى المترلة التي ليس لها بأهل،فإذا بلغها اشرأبت نفسه إلى ما فوقها** »[1]، يحذر الفيلسوف بيدبا الملك من المتآمرين المحسن إليهم،فهو كالسابح في نهر كثير التماسيح ، مما يؤثر سلبا على إدارته للمُلك، موهن قراره ، مزورة إرادته ؛ لأنه يتَّكل في ذلك على هؤلاء الطامعين .

يقول أيضا:«**اعلم أن الفأس يقطع بها الشجر ينبت،والسيف يقطع اللحم ثم يرجع فيندمل،واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه،والنصل من السهم يغيب في الجسد ثم يتر ع فيخر ج،وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تترع ، ولم تستخرج** »[2] ، ففي هذا المثال يحذر الفيلسوف بيدبا الإنسان من الكلام المهين،الذي لا يعمق العداوة ،ويثير البغض و يشحن عزيمة العدو فحسب؛بل قد يكون السبب في أصل العداوة ،كما جاء على لسان وزير الغربان عندما سأله ملكه عن أصل العداوة بينهم و بين البوم ، فقال : « **ابتداء العداوة ... كلمة تكلم بها غراب** »[3]،فالاحتقار يولد الكراهية،ويجلب على صاحبه الوبال و العار،و يؤجج الحقد و العداوة،وأنه لا مفر من عاقبته الوخيمة، ولا منجي لقائله من أثره ،إذ « **لكل حريق مطفئ : فللنار الماء ،وللسم الدواء ،وللعشق الفرقة ، و نار الحقد لا تخبو أبدا** »[4].

كما أن هذا الفعل الكلامي الجامع تتخلله أفعال كلامية جزئية تقوم كلها بخدمته و تدعيمه لعل أهمها:

Ã**فعل التوبيخ و الاستنكار** : كقول بيدبا :« **يا نفس،أما تعرفين نفعك من ضرك... يا نفس،أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين إليه منها ؟ ...يا نفس،انظري في أمرك ،وانصرفي عن هذا السفه** »[5]، ففـــي هذا المثال خرج الاستفهام عن حقيقته اللفظية إلى الاستنكار مما تتطبع النفس عليه من حب الدار الفانية ،فتلهث وراء حطامها ،وهنا يدعو الفيلسوف بيدبا المخاطب إلى ضرورة ترك الأنس بالدنيا و الالتفات إلى ما بعدها،و هذا الاستنكار قد يدفع المتلقي إلى التأثر و الاقتناع ،فلا تغره بعد ذلك الأيام بوصلها وطولها ،ولا الدنيا بحلاوتها ،فإن لذاتها منقطعة ، و لذات الآخرة مستمرة .

Ã**فعل التنبيه:** « **و على العالم أن يبدأ بنفسه و يؤدبها بعلمه** »[6]،فالفعل القولي يتمثل في صيغة الأمر،والفعل الانجازي يتمثل في دعوة الفيلسوف العالم و غيره إلى البدء بالنفس في الموعظة و التأديب،وأما الفعل التاثيري فيتمثل في الاقتناع بفكرة أن تغيير الآخرين لا يستقيم قبل تغيير الذات . و هنا تظهر وظيفة المتلقي في صناعة الحدث الكلامي عن طريق قدراته التأويلية التي يجب أن تتم في ضوء المعطيات التضمينية،التي بثها المتكلم في خطابه.وفي ظل هذه الأفعال الكلامية جميعا حدث الفعل التأثيري النهائي بإذعان الملك

---

(1) المصدر نفسه ، ص 132 .
(2) المصدر نفسه ، ص 228 .
(3) المصدر نفسه ، ص222 .
(4) المصدر نفسه ، ص228 .
(5) المصدر نفسه ، ص 75.
(6) المصدر نفسه ، ص 61 ، و مثله قوله تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات ، آية 21] ،ويقول سقراط كذلك: (الرجل الذي يريد أن يغير العالم لابد أن يبدأ بنفسه أولا) .

للنصائح،وتأثره بالبنى الحكائية،و استنتاجه لمغزاها الشريف«**فلما انتهى المنطق بالفيلسوف إلى هذا الموضع سكت الملك**»[(1)]، والسكوت فعل كلامي غير مباشر دال على الموافقة في الرأي و التسليم به

نستنتج من خلال ما سبق أنَّ الفعل الكلامي في **كليلة ودمنة** لم يقتصر على نقل الخبر أو وصفه فحسب ؛و إنما نطق به المتكلم لينجز المخاطَب فعلا ، فالغرض من الفعل الكلامي الانجاز ، الذي هو التزام المخاطب بأداء عمل ما، و قد ترتبت عن الفعل الانجازي آثار يقصدها مرسل الخطاب ليحدث تغييرا في المشاعر و الأفكار و السلوك ،وتمثَّل كما رأينا في الإقناع و الإرشاد و النصح و الهداية ،وهذا ما سمَّاه **أوستين** الفعل الناتج عن القول ، فالتداول تواصل و تفاعل و قوة موصول بالفعل**.**

كما شهدنا للفعل الكلامي في **كليلة و دمنة -** على تنوعه بين الصريح و الضمني**-** بالنجاح ، و ذلك لتوفر القرائن الحالية من العناصر الخارجية (المقام) ، مما جعل المقال منسجما مع المقال ، و هو ما يلخّصه الفعل الكلامي "الصمت" الذي أحدثه المخاطب الملك **دبشليم** ، و الذي يدلّ على الإقرار بالخطأ و الإنابة منه **.**

---

(1) كليلة و دمنة ، ص 315 .

الفصل الثالـــث

الحجـــــــــــــــاج في كتــــــــاب كليلـــــــــة ودمنــــــــة

✖ المفهوم الاصطلاحي للحجاج .

✖ملامح الخطاب الحجاجي:

1-داخل النص الحجاجي .

2-ما يحيط بالنص الحجاجي.

الحجاج ووسائل الإقناع :✖

1- الوسائل النفسية و الاجتماعية .

2-الوسائل المنطقية .

3- الوسائل البلاغية .

4- الوسائل اللغوية .

×المفهوم الاصطلاحي للحجاج :

يعدُّ ميدان الحجاج Argumentation[1]مجالا واسعا للبحث و الدراسة،ذلك لارتباطه بفروع المعرفة المختلفة ؛كعلوم اللغة والفلسفة والمنطق،فأصبح كل حجاج يستمد معناه و حدوده ووظائفه من مرجعية خطابية محددة،ومن خصوصية الحقل التواصلي الذي يكتنفه هذه المرجعية الخطابية كانت سببا في تنوع مضامين الحجاج، لذلك نجد«حجاجا خطابيا (لسانيا)،وحجاجا خَطابيا (بلاغيا)،وآخر قضائيا أو سياسيا أو فلسفيا »[2]،وتبعا لذلك يصبح الحجاج _ عمليا _ بعدا من أبعاد الخطاب الإنساني المتاح باللغة المكتوبة و المنطوقة .

فلا يكاد يخلو خطاب من حجة(Argument) ما؛إذ« لا ينحصر في استعمالات ظرفية،وإنما هو بعد ملازم لكل خطاب على وجه الإطلاق »[3]،حيث نجدها في التواصل العادي ،كما نجدها في التواصل النوعي؛ إذ تنصبغ بنوع الخطاب الذي ترد فيه، فإن كان الخطاب لغويا عاديا تكون الحجة لغوية محضة،وإن كان الخطاب لغويا راقيا تكون الحجة لغوية بلاغية ،وإن كان الخطاب منطقيا فان الحجة تكون عقلية صرفة .

وكنتيجة لهذا التنوع تعددت تعريفات الحجاج«دارت حول عناصر موضوعية وبنائية و وظيفية شتى »[4]،إلا أن الغاية منه واحدة هي محاولة الوصول إلى إقناع السامع بفكرة ما،ومن ثم التأثير على سلوكه،ولذلك يعرفه الكثير من الباحثين بأنه «خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي،والتأثير على سلوكه أي الإقناع »[5].

---

(1) إنَّ أوّل ما يعترض الباحث في هذا الحقل تداخل مفهوم الحجاج مع مفاهيم عديدة : كالبرهان ، و الدليل ، و الخطابة ، و المناظرة ، و الذريعة ، و الاستدلال ، و أكثرها التباسا به مفهوم البرهان ، ثم الجدل و الخطابة ، لا سيما لكونهما الثنائية التي تمخض عنها الدرس الحجاجي الحديث . و لابن حزم الرأي ذاته يقول:« الحجة هي الدليل إذا كان برهانا أو إقناعا أو شغبا » أنظر : ابن حزم ، الإحكام في أصول الأحكام ، مجلد 1 ، دار الآفاق ، بيروت ، 1983 ، ص 39 ، في حين يرى طه عبد الرحمن بأنه « يطلق على الحجة أسماء أخرى ، مثل : الدليل ، و الاستدلال ، و حتى البرهان ؛ لكن هذا الإطلاق من باب التجوز أو التوسع » طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص255 . و يرى عبد الله صولة أنه لا أهمية من التصنيف الذي جعل من الدراسة الحجاجية إما برهانا « ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق ... و إما مجال أوسع يهتم بدراسة مجمل التقنيات البيانية الباعثة على ادعاء السامع أو القارئ » عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج1 ، جامعة منوبة ، 2001 ، ص13 . على أن الباحث يرى أن البرهان و إن كان نمطا من الحجاج؛ إلاّ أنَّه ضيّق و ذو حدود معينة لا يرقى إلى مقارنته بالحجاج خاصة في العصر الحديث .

(2) حبيب أعراب الحجاج و الاستدلال الحجاجي " عناصر استقصاء نظري "، مجلة عالم الفكر ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت سبتمبر 2001 ،العدد 1 ،المجلد 30 ، ص 98 .

(3) المرجع نفسه ، ص 100 .

(4) محمد العيد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر ،ع60 ، صيف_خريف 2002،ص 44.

(5) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ص 7 .

وتطلق لفظة حجاج و محاججة عند **بيرلمان**(Perlman) و **تيتيكا** (Tytica) على العلم و موضوعه، و مؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة التسليم ،و ربما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار إلى درجة تبعث على العمل المطلوب...وعلى صعيد آخر يمكن القول بأنَّ الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي إلى حصول عمل ما ، أو الإعداد

له،ومن ثم سيكون فحص الخطابات الحجاجية المختلفة بحثا في صميم الأفعال الكلامية،وأغراضها السياقية،وعلاقة الترابط في الأقوال،والتي تنتمي إلى البنية اللغوية الحجاجية [1].

ولأنَّ اللغة«نشاط كلامي يتحقق في الواقع وفق معطيات معينة من السياق»[2]،فكذلك الحجاج استراتيجية لغوية يكتسب بعده التأثيري من الأوضاع المصاحبة لإنتاج الخطاب،نقل فيه المتكلم تصوراته و مدركاته إلى السامع قاصدا تقوية قبول أو تقويم معتقدات و أفكار .

ولابدَّ الأخذ بعين الاعتبار ما تقتضيه نوعية الخطاب من جهة،ومستلزمات المتلقي من جهة أخرى، فالغاية التي يتأسس عليها هي مجابهة العقول، وإقناعها بالطرح المقدم، ولذا فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول، ثمّ اختيار أحسن السبل لمحاورتها،والإصغاء إليها ثم محاولة حيازة انسجامها الايجابي،والتحامها مع الطرح المقدم،فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية و الاجتماعية في الحسبان فإنَّ الحجاج يكون بلا غاية وبلا تأثير.

لندرك من خلال ما سبق أن نظرية الحجاج تتجاذبها جوانب مختلفة،لا تتعلق باللغة فحسب؛بل ترتبط أيضا بالجانب النفسي و الاجتماعي و الثقافي و غيره من المستلزمات،التي تؤطر و تسهم في إنتاج الخطاب اللغوي الحجاجي .

×ملامح الخطاب الحجاجي :

1- داخل النص الحجاجي :

1-1-مكونات الحجاج :يبنى النص الحجاجي في شكله الرئيسي على مكونات ستة،هي:

أ-الدعوى:وهي نتيجة الحجاج الغاية منها استمالة المستمع لقبول التصورات و المدركات،و يمكن أن تذكر الدعوى بطريقة صريحة و قد تُضمَّن.

ب-المقدمات:وتمثل معطيات الحجاج،وهي مجموعة المسلمات و البديهيات التي يؤسس المتكلم على منوالها حجاجه،وينبغي للمقدمات أن ترتبط بالدعوى (نتيجة الحجاج) ارتباطا منطقيا،حتى تصلح لتدعيمها .

---

(1) بتصرف عن : شكري المبخوت ، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن أعمال مخبر البلاغة و الحجاج ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة منوبة ، تونس ، ص352 .

(2) عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ، ص 120 .

ج-التبرير:ويمثل بيان البرهنة على مدى مطابقة و صلاحية المقدمات للنتائج المقصودة.

د-الدعامة:وتمثل مجموعة الشواهد و الأدلة و القيم التي يستثمرها المتكلم حتى يجعل المقدمات و التبريرات والنتائج أقوى مصداقية و تقبلا عند المستمع.

ه-مؤشر الحال:ويمثل مجموعة التعبيرات التي تظهر مدى قابلية بعض النتائج للتطبيق، نحو:من الممكن، من المحتمل،على الأرجح، وما إلى ذلك .

و-التحفظات أو الاحتياطات: و التي يضعها المحاجج في حسبانه مسبقا لردود أفعال المستمع تجاه النتيجة [1]،وقد تضمَّن مؤلف **كليلة و دمنة** العديد من الأقوال التي هي بمثابة البيان الجلي عن الهدف الذي وضع من أجله هذا الكتاب،وهو إرشاد الملوك إلى جميع ما يتعلق بسلطتهم ، و بإدارة شؤون دولتهم،و بما يواجهونه من مشاكل إثر ذلك،ولا يسع قارئ الكتاب إلا الاعتقاد بوظيفة واحدة سخَّر لها الكتاب كل وسائله،تتلخص في وضع أسس منهجية لسياسة الملك،فالكتاب أولا و أخيرا يخاطب الدولة،وإن لم يظهر ذلك في كثير من صيغ الخطاب.

وانطلاقا من هذه الغاية بنيت الدراسة التطبيقية في هذا البحث على ما احتوته نصوص **كليلة ودمنة** صراحة أو ضمنا من **ثيمات**(Thèmes)،والتي تستعمل بتعبير مونقانو« لتوصيف الوحدة الدلالية للنص »[2]، وفق الترسيمة الآتية :

الدعوى أو النتيجة ← **الثيمة**

المقدمات **الدعامة أو التدعيم**

وبمقابلة هذه البنية الحجاجية بما يماثلها في نصوص **كليلة ودمنة** من **ثيمات** نجد :

الثيمة : البشر منطبعون على الشر و الفساد

مقدمات ← « إنَّ الإنسان هو أشرف الخلق و أفضله ، ثم هو لا يتقلّب إلاّ في الشرور و الهموم »[3].

تدعيم ← « كذنب الكلب الذي يربط ليستقيم ،فلا يزال مستويا ما دام مربوطا ؛ فإذا حُلَّ انحنى و تعوَّج كما كان »[4].

نتيجة ← «إنَّا قد نرى الزمان مدبرا بكل مكان،حتى كان أمور الصدق قد نزعت من الناس،فأصبح ما كان عزيزا فقده مفقودا،وموجودا ما كان ضائرا

---

(1) أنظر : محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، ص 44 ، 45 .
(2) دومينيك مونقانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، ص130 .
(3) كليلة و دمنة ، ص91.
(4) المصدر نفسه ، ص 132.

وجوده، وكأنَّ الخير أصبح ذابلا،والشر ناضرا ...و كأنَّ إتباع الهوى و إضاعة الحكم أصبح بالحكام موكلا،وأصبح المظلوم بالحيف مقرا،والظالم بنفسه مستطيلا،وكأن الحرص أصبح فارغا فاه من كل جهة يتلقف ما قرب منه، وما بعُد،وكأنَّ الرضى أصبح مجهولا،وكأنَّ الأشرار يقصدون السماء صعودا،وكأنَّ الأخيار يريدون بطن الأرض،وأصبحت المروءة مقذوفا بها من أعلى شرف إلى أسفل درك،وأصبحت الدناءة ممكنة،وأصبح السلطان منتقلا من أهل الفضل إلى أهل النقص،وكأنَّ الدنيا جذلة مسرورة ، تقول قد غُيّبت الخيرات و أُظهرت السيئات »(5).

وقد غلبت هذه البنية الحجاجية على أكثر نصوص **كليلة و دمنة**،لكنَّا نجد بعض التدعيمات قد تأسّست على الموازنة والمقارنة (طرح لقضيتين متقابلتين)على النحو الآتي :

الثيمة الأولى ←—— مقدمات ←—— تدعيم

الثيمة الثانية ←—— مقدمات ←—— تدعيم

} **نتائج جزئية**
نتيجة نهائية

ومن نماذج هذه البنية الحجاجية في **كليلة ودمنة** ثيمة : **الحظ و القدر** ، وهي كالآتي :

مقدمات ←—— الثيمة الأولى : حتمية القدر

تدعيم ←—— قول الحمامة المطوقة:« ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلاَّ وهو مقدّر على من تصيبه المقادير،وهي التي أوقعتني في هذه الورطة،فقد لا يمتنع من القدر من هو أقوى مني »(1).

نتيجة جزئية ←—— متضمنة في صيغة استفهام بلاغي:« أما تعلم أن القدر غالب على كل شيء لا يستطيع أحد أن يتجاوزه ؟ »(2).

تدعيم 2 ←—— «القدر هو الذي يسلب الأسد قوته وشدته و يدخله القبر، و هو الذي يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج،وهو الذي يسلّط على الحية ذات الحُمَّة من يترع حمتها و يلعب بها ،وهو الذي يُصيّر العاجز حازما،و يثبط السهم المنطلق،ويوسع على الُمقتر، يشجع الجبان،ويجبن الشجاع »(3).

نتيجة ←——«ما يغني حذر من قدَر،ولا يجدي الكيّس مع المقادير شيئا »(4).

مقدمات ←—— الثيمة الثانية : مجابهة الحظ السيئ

(5) كليلة ودمنة ، ص 90 ، 91 .
(1) المصدر نفسه ، ص 195 .
(2) المصدر نفسه ، ص 332 .
(3) المصدر نفسه ، ص141 ،142.
(4) المصدر نفسه ، ص 212 .

تدعيم ←وسائل للتخلص من الحظ العاثر:«معي عقلي فلا يفزعني أمري ، ولا يهولني شأني،ولا يلحقني الدهش،ولا يذهب قلبي شعاعا »[5].

نتيجة ←«إنَّ القدر لكما ذكرت،لكن لا يمنع الحازم من توقي المخوف و الاحتراس من المكاره ،لكن العاقل يجمع مع التصديق بالقدر الأخذ بالحزم و القوة لعل ما يستسلم إليه لا يكون مقدورا عليه »[6].

ومن هذا النوع موضوع **الإساءة إلى الغير**،فالفيلسوف **بيدبا** ميَّز بين أصناف المساء إليهم،ودعا إلى عدم الاسترسال إلى بعض تلك الأصناف، أو الائتمان لهم، فتلك قاعدة لكل زمان و سلطة ، وعليه نتحصّل على قضيتين ممثلة كالآتي :

الثيمة: مخاطر الإساءة للغير .

القضية 1:الصنف الأوّل من المساء إليهم

مقدمات ←« من أصابته منه عقوبة من غير جرم،أو جفوة من غير ذنب »[1].

تدعيم ←ميزاته:«عرف بالصلاح والكرم وحسن العهد والشكر والوفاء والمحبة للناس والسلامة من الحسد والبعد من الأذى والاحتمال للإخوان والأصحاب،وإن ثقلت عليه منهم المؤونة »[2].

نتيجة ←«حقيق بالحرص على مراجعته...ولا ينبغي تركه على حال من الأحوال »[3].

احتياط أو تحفظ ←«ومن لم ينظر في أموره نظر مفكر»[4].

نتيجة جزئية ←«كان نظره كنظر الذي يكون بعينيه سبل »[5].

نتيجة نهائية ←« وفي عرض ذلك تهلك الرعية، ويفسد الملك »[6].

قضية 2 : الصنف الثاني من المساء إليهم

مقدمات ← ميزاته:« عُرف بالشراسة و لؤم العهد و قلة الشكر والوفاء،والبعد عن الرحمة والورع ،واتصف بالجحود لثواب الآخرة وعقابها »[7].

تدعيم ←«إنَّ العشب وإن كان لا قوة له يصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل »[8].

---

(5) المصدر نفسه ، ص264 ، 265 .
(6) المصدر نفسه ، ص 276 ، 277 .
(1) المصدر نفسه، ص 280 .
(2) المصدر نفسه ، ص 291 .
(3) المصدر نفسه ، ص 280 _ 291 .
(4) المصدر نفسه ، ص289 .
(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) المصدر نفسه ، ص281 .
(7) كليلة ودمنة ، ص 291 .
(8) المصدر نفسه ، ص 290 .

نتيجة ← «حقيق ألا بتساهل مع من سعى به لكي لا يعودوا إلى مثله **...**فإنه لا ينبغي للعاقل أن يراجع في أمر الكفور للحسنى ، والجريء على الغدر ، والزاهد في الخير ، والذي لا يوقن بالآخرة »(9).

لقد تصفّحنا أثر الإساءة التي تحدثها السلطة،ونأتي الآن إلى تفحّص إحسان السلطة،وما يتوجب عليها تجاه من أحسنت إليهم وأغدقت عليهم منافعها،ليتبين أن هؤلاء أشد خطرا من أولئك،**فالثيمة المركزية** هنا مفادها **: اتق شر من أحسنت إليه** ، وهي كما يلي :

مقدمات ← «إنَّ اللئيم الكفور لا يزال ناصحا نافعا حتى يرفع إلى المترلة التي ليس لها بأهل ، فإذا بلغها اشرأبَّت نفسه إلى ما فوقها »(1).

التداعيم ← المبالغة في تمثيل حال السلطان مع الطامعين:« لو أن امرئ توسد النار و افترش الحيات كان أحق بأن يهنئه النوم ممن يحس من صاحبه بعداوة يريده بها و يطمئن إليه »(2).

احتياط وتحفظ ← « إذا عرف الملك من أحد رعيته أنه قد ساواه في المترلة و الحال فليصرعه » (3) .

مؤشر الحال ← « فإن هو لم يفعل به ذلك »(4) .

نتيجة ← «كان هو المصروع »(5)،« وبعض المحاسن آفة لصاحبها »(6).

تدعيم ← «إنَّ الشجرة اللذيذة الثمر ربما كان أذاها في حملها فلُويت أغصانها،وهصرت أطرافها حتى تتكسر،والطاووس الذي ذنبه أفضله ينسل فيؤلمه،والفرس المطهم الجري ربما ركب حتى ينقطع ، و البلبل الحسن الصوت يحبس دون غيره من الطير»(7).

مرة أخرى يقدم **بيديا** حججا تؤكد صحة دعواه التي يطرحها،وفي الثيمة التالية يؤكد على أن الأعمال لا تصنف بذاتها مجردة وفق ترتيب أخلاقي معين، كأن نعتبر عملا ما صالحا بذاته،وأن عملا آخر طالح،بل تقاس بنتائجها و بالأهداف التي تسهم في تحقيقها،فالنتيجة هي مصب العمل و غايته و منتهاه،لذلك فلا انفصال بين الوسائل و النتائج ،كما لا انفصال بين العلة و المعلول،وعليه فإنَّ الثيمة الواردة بكثافة في **كليلة ودمنة** هي ثيمة **الغاية تبرر الوسيلة** ، والتي عمد الفيلسوف إلى ذكرها بين الفينة و الأخرى.

---

(9) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
(1) المصدر نفسه ، ص 132.
(2) المصدر نفسه ، ص 133
(3) المصدر نفسه ، ص 129 .
(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) المصدر نفسه ، ص 141.

مقدمات ← « ذو العقل حقيق أن يكون سعيه في طلب ما يبقى و يعود نفعه عليه ، وأن يمقت بسعيه ما سوء ذلك من أمور الدنيا »(8).

تدعيم ←« قال الأسد : ما أخطا رأيك ، و ما أعجز مقالك ، و أبعدك عن الوفاء و الرحمة ، و ما كنتَ حقيقا أن تجترأ عليَّ بهذه المقالة،و تستقبلني بهذا الخطاب ، مع ما علمت من أني قد أمَّنت الجمل،وجعلت له من ذمتي....ولست بغادر به...قال الغراب:إني لأعرف ما يقول الملك،ولكن النفس الواحدة يفتدى بها أهل المصر،وأهل المصر فدى الملك،وقد نزلت بالملك الحاجة و أنا أجعل له من ذمته مخرجا،على ألا يتكلف الملك ذلك لا يليه بنفسه ولا يأمر به أحدا.ولكنا نحتال بحيلة لنا وله فيها صلاح وظفر،فسكت الأسد...عن هذا الخطاب »(8).

النتيجة ←«خير الأعمال أحمدها عاقبة »(1)،« يغتبط بخاتمة أمره، و عاقبة صبره »(2).

يقدم الفيلسوف **بيدبا** هذه المرة حججا على أهمية الكرامة الشخصية،والتي يذود الإنسان دون تعرضها للمهانة ،وما ينطبق على الأفراد ينطبق كذلك على الحكومات والدول؛بل هي معنية به أكثر،وعليه توضح البنية الحجاجية الآتية كيف أن **الاحتقار يولد الكراهية** ،و يجلب لصاحبه الوبال و العار، و يؤجج الحقد و العداوة .

مقدمات ← « ولعل أكثر الطير قد رأى أكثر مما رأيت،وعلم أضعاف ما علمت، فمنعها من الكلام بمثل ما تكلمت اتقاء ما لم اتق ، والنظر فيما لم أنظر فيه حذار العواقب. ولا سيما إذا كان الكلام أفظع كلام يلقى منه سامعه و قائله المكروه مما يورث الحقد والضغينة . فلا ينبغي أن تسمى أشباه هذا الكلام كلاما و لكن سهاما... وإن الكلام الرديء هو الذي يرمي صاحبه في الحقد والعداوة »(3).

تدعيم ←«...التي هي أقبح الطير منظرا،وأسوأها خلقا،وأقلها عقلا،و أشدُّها غضبا،وأبعدها من كل رحمة مع عماها،وما العشا في النهار،ونتن رائحتها حتى لا يطيق طائر أن يتقرَّب منها،وأشد من ذلك وأقبح أمورها سفهها ، وسوء أخلاقها »(4).

النتيجة ← « اعلم أن الفأس يقطع بها الشجر ينبت ، والسيف يقطع اللحم ثم يرجع فيندمل ، واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى مقاطعه ، والنصل من السهم يغيب في الجسد ثم يترع فيخرج ، و أشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تترع ، و لم تستخرج »(5).

(7) كليلة ودمنة ، ص 227 .
(8) المصدر نفسه ، ص145، 146 .
(1) المصدر نفسه ، ص 132.
(2) المصدر نفسه ، ص 242 .
(3) المصدر نفسه ،ص 229 .
(4) كليلة ودمنة ، ص222، 223 .
(5) المصدر نفسه ، ص 228 .

← « لكل حريق مطفئ،فللنار الماء، وللسم الدواء ، و للعشق الفرقة ، ونار الحقد لا تخبو أبدا، وقد غرستم معاشر الغربان بيننا وبينكم شجر الحقد والعداوة والبغضاء »(6).

يخاطب الفيلسوف **بيدبا** في الثيمة الآتية القائد العاقل،ويأمره باللجوء إلى عقله و اتزانه،فلا ينبغي أن تحبطه الهزيمة و المفاجآت غير المتوقعة و سوء الطالع الذي يبتليه،فأوقات الشدة هي محك حسن القيادة،والتحذير نفسه يوجهه إلى المنتصر،فلا يقع في الخفة أو يبطره الانتصار و يسكره،فيستجلب سوء تقدير للأمور و تشتتا في الرأي و اندهاشا من النتائج، فالثيمة ، إذن ، هي : **الإحباط والغرور.**

مقدمات ← « ولا يبلغ البلاء من ذي الرأي مجهوده فيهلكه ، وتحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغا فيعمى عليه أمره »(1).

تدعيم ← التبرير:« معي عقلي فلا يفزعني أمري ، و لا يهولني شأني ، و لا يلحقني الدهش ، و لا يذهب قلبي شعاعا »(2).

← التشبيه:«ذو العقل...كالجبل الذي لا تحركه الرياح الشديدة،والسخيف كالعشب يحركه أدنى ريح »(3).

النتيجة ← « أفضل الملوك من لا يخالطه بطر »(4)،« فذو العقل لا يبطر من منزلة أصابها »(5).

كذلك يحث **بيدبا** السلطة على ضرورة التهيؤ للمستقبل،والاستعداد لمجابهة المستجدات و التقلبات التي قد يحملها الزمن إليها،فلا بد لها أن تتسلح ببعد النظر،والتفحص الدقيق لقوانين حركة المجتمع و منحى تطورها،و الدراسة المتأنية لمعطيات الحاضر، ومن ثم أمكن لها تحضير العلاجات الناجحة لأي خلل محتمل؛ فالثيمة الحاضرة هي:**التحسب و حسن التقدير**،فالسلطة العاجزة في **كليلة ودمنة** هي تلك المترددة المسترسلة،والمعتقدة أن الزمن الذي يحمل المشاكل يحمل الحلول كذلك.

مقدمات ← «والعاقل هو الذي يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه،فإنَّك لا تأمن أن يكون وأن لا تستدركه»(6).

---

(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(1) المصدر نفسه ، ص265 .
(2) المصدر نفسه ، ص 264 ، 265 .
(3) المصدر نفسه ، ص 154 .
(4) المصدر نفسه ، ص 133 .
(5) المصدر نفسه ، ص 154 .
(6) المصدر نفسه ، ص129 .

تدعيم ← الشرح : يقال الرجال ثلاثة:« **حازم** : من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ، و لم يذهب قلبه شعاعا ، و لم تعي به حيلته و مكيدته ، التي يرجو بها المخرج منه، **وأحزم** من هذا المقدام ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه ، فيعظمه إعظاما ، ويحتال له حيلة ، حتى كأنه قد لزمه ، فيحسم الداء قبل أن يبتلى به ، ويدفع الأمر قبل وقوعه ، **وعاجز** فهو في تردد و تمن و توان»(7).

← « وأشبهه بالفيل الهائج،الذي لا يلتفت إلى شيء ، فإذا أحزنه أمر تهاون به ، وإذا أضاع الأمور حمل ذلك على قرنائه»(8).

النتيجة ← **ضمنية** :« البصير أقلُّ عذرا عند الناس من الضرير إذا سقطا في حفرة واحدة »(9).

← « أعجز الملوك آخذهم بالهويناء ، وأقلّهم نظرا في مستقبل الأمور»(10).

فإذا ما اتجهنا إلى مفهوم الأخلاق في **كليلة ودمنة** فإنّنا نصطدم بأنّها لا تحمل معان ثابتة خلافا للمفروض، فلا هوية للقيم إلا بما تحمله من قدرة على استيعاب مجموعة من المصالح و الفوائد،أو على دفع المضار؛ فالخديعة ممقوتة في مناسبات،وفاضلة في أخرى،والحرب كذلك و الفتنة و القتل و الصداقة و العداوة،فلا يمكن توصيف القيم و الأخلاق إلا على أساس واحد و هو مدى ما تحمله من ضرر أو نفع للإنسان عامة، و للسلطان بشكل خاص و محدد ، فالثيمة الأكثر حضورا في **كليلة ودمنة** هي **النظر في المنفعة و الضرر** .

المقدمات ← «إنَّ أمورا ثلاثة العاقل جدير بالنظر فيها والاحتيال لها بجهده،منها النظر فيما مضى من الضر والنفع،أن يحترس من الضر الذي أصابه فيما سلف لئلا يعود إلى ذلك الضر،ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته،ومنها النظر فيما هو مقيم فيه من المنافع والمضار،و الاستيثاق بما ينفع ، والهرب مما يضر، ومنها النظر في مستقبل ما يرجو من النفع وما يخاف من قبل الضر، ليستتمَّ ما يرجو ، ويتوقى ما يخاف بجهده»(1).

التدعيم ← **الاستفهام البلاغي**:«ألا ترى كيف تتبع البهائم أمهاتها رجاء ألبانها ؛ فإذا انقطع ذلك انصرفت عنها »(2).

← **التمثيل**:« فالصياد الذي ينثر الحب للطير لا يرجو منفعة الطير؛بل نفع نفسه »(3).

---

(7) المصدر نفسه ، ص 129 ، 130 .
(8) المصدر نفسه ، ص 133 .
(9) المصدر نفسه ، ص 60،61 .
(10) المصدر نفسه ، ص 133 .

(1) كليلة ودمنة ، ص 118 ، 119 .
(2) المصدر نفسه ، ص 269 .
(3) المصدر نفسه ، ص198 .

النتيجة ← « إنَّما سمي الصديق صديقا لما يرجى من نفعه ، و سمي العدو عدوا لما يخاف من اعتدائه و ضرره ، والعاقل إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة ، وإذا خاف ضر الصديق أظهر له العداوة »[4].

كذلك فإنَّ في قضية **الدفاع عن الوطن** يؤكد **بيدبا** و ينبه مخاطبه إلى أنَّه لا يجوز التوقف أمام أي اعتبار مهما حمل في طياته من الصفات المحمودة أو المذمومة ؛ إذ تتساوى القيم و تلغى تعريفاتها و تتلاشى الحدود الفاصلة بين الرذيلة و الفضيلة ما دمنا أمام قيمة عليا ، فالثيمة المركزية هنا **تحمل المهانة في سبيل الوطن .**

مقدمات ← « العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم ، الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة على نفسه وقومه، و لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة و كثير الخير ، فلم يجد لذلك ألما ،و لم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه حتى يبلغ حاجته »[5] .

تدعيم ← «إنَّه من احتمل مشقة يرجو نفعها،ونحَّى عن نفسه الأنفة،والحميَّة،ووطَّنها على الصبر »[6].

← «لو أنَّ رجلا حمل عدوه على عنقه و هو يرجو هلاكه و راحته منه،لكان ذلك عنده خفيفا هينا »[1].

النتيجة ← «حمد غب رأيه »[2]،«خير الأعمال أحمدها عاقبة »[3].

وفي القضية الآتية يؤكد **كليلة ودمنة** ضرورة التأني و الفحص و التثبت و إعمال الروية،لكن لكل شيء حدود،فهو في مواضع أخرى يؤيد التسرع سيما في وقته المناسب،والثيمة المركزية هي:**العمل بين التسرع و الأناة** لنحصل في هذا الموضوع على قضيتين هما كالآتي :

القضية الأولى: ذم التسرع

مقدمات ← «وينبغي للمرء أن يكون للأمور عنده حد لا يجوزه ولا يقصر عنه لأنه من جاز الحد كان كمن قصر عنه لأنّهما خالفا الحد جميعا »[4].

التدعيم ← « لأنّ الأمر إذا فرط مثل الكلام إذا مرق لا مرد له »[5].

---

(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(5) المصدر نفسه ، ص242 .
(6) المصدر نفسه ، ص244 .
(1) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) المصدر نفسه ، ص132 .
(4) المصدر نفسه ، ص 132.
(5) المصدر نفسه ، ص170.
(6) المصدر نفسه ، ص262.

النتيجة ←«إنَّما يسلم العاقل من الندامة بترك العجلة و بالتثبت،والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب ضعف الرأي،ومن لم ينظر في أموره نظر مفكر كان نظره كنظر الذي بعينيه سبل» [6].

القضية الثانية : ذم الأناة .

مقدمات ← «ومن طلب الأمر الجسيم فأمكنه ذلك فأغفله فاته الأمر،وهو خليق ألا تعود الفرصة ثانية، ومن وجد عدوه ضعيفا و لم ينجز قتله ندم إذا استقوى،و لم يقدر عليه»[7].

↓

التدعيم ←« إنَّ العشب وإن كان لا قوة له يصنع منه الحبل الذي يوثق به الفيل »[8].

↓

النتيجة ←« وأمَّا الخرق فهو إعمال الشدة في موضع اللين،والرفق في مكان الغلظة »[9]،«إنَّ الأمور مرهونة بأوقاتها»[10]،«أعجز الملوك آخذهم بالهويناء»[11].

ومن أبرز المواضيع التي طرقها **كليلة ودمنة** موضوع **الدين**،والذي غلب عليه الشك و عدم التصديق،و مرد ذلك اختلاف الملل و الأديان،وتلك هي الثيمة التي يعالجها **بيدبا** من خلال النصوص الآتية :

الثيمة : عدم التصديق بالأديان

المقدمات ←«فلما تحرَّرت من تصديق ما لا يكون،و لم آمن إن صدقته أن يوقعني في هلكة،عدت إلى البحث عن الأديان،و التماس العدل منها »[1].

↓

تدعيم ←« لم أجد عند أحد ممن كلمته جوابا فيما سألته،و لم أر فيما كلموني به شيئا يحق لي في عقلي أن أصدّق به،ولا أن أتبعه »[2].

↓

نتيجة ←القيم موضع إجماع:«فلما خفت من التردد...اقتصرت على كل شيء تشهد به العقول،و تتفق عليه أهل الأديان،ويُرى أنه صواب وحق،فكففت يدي عن الضرب والقتل والسرقة وزجرت نفسي عن الكبر و الغضب،ونزهت قلبي عن الحقد والبغض والخيانة،وصُنت لساني عن الكذب و البُهتان و الغيبة و النميمة و كل أمر مكروه،وأضمرت في نفسي ألا أبغي على أحد،و لا أكذّب بالبعث و لا الثواب و لا العقاب،وأن لا اله إلا الله الفرد

---

(7) المصدر نفسه ، ص288 ، 289.
(8) المصدر نفسه ، ص 233.
(9) المصدر نفسه ، ص 290.
(10) المصدر نفسه ، ص120.
(11) المصدر نفسه ، ص 233 .
(12) المصدر نفسه ، ص133 .
(1) كليلة ودمنة ، ص80.
(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الصمد ، يكافئ على الخير بالخير ، و على الشر بالشر...ورأيت كلا من الصلاح و العلم ليس كمثله صاحب و لا قرين »(3).

كذلك يشير **بيدبا** إلى تظاهر الإنسان بالتقوى و النسك و الورع،وهي وسائل يمكن إبرازها بيسر، إلاَّ أن النوايا الكامنة خلفها لا تظهر إلا للبيب العاقل ، فالثيمة الحاضرة هنا : **الدين بين القول والعمل.**

مقدمات ← « إنَّ بساحل البحر سنورا متعبدا »(4).

التدعيم ← « يصوم النهار ويقوم الليل كله،ولا يؤذي دابة ولا يُهريق دما،عيشه من الحشيش ومما يقذفه إليه البحر »(5).

مؤشر الحال ← « إن أحببت تحاكمنا إليه ورضينا به »(6).

احتياط و تحفظ ← فلما بَصُر السّنّور بالأرنب والصّفرد مقبلين نحوه انتصب قائما يصلي،وأظهر الخشوع و التنسك »(7).

النتيجة ← « فوثب عليها فقتلهما »(8).

ويدعو الفيلسوف **بيدبا** مخاطبه في البنية الحجاجية الآتية إلى ترك الخديعة ، فأكثر نتائجها وبال على صاحبها ، فلا ينجو منها و إن طال الزمن .

الثيمة : الموقف الأخلاقي من الخديعة

المقدمات ← « الخب و الخداع ليسا من صفات صالحي القضاة و تقاة الولاة »(1) .

التدعيم ← «وإنَّما عذوبة ماء الأنهار مالا تبلغ إلى البحار،وصلاح أهل البيت ما لم يكن بينهم المفسد »(2).

← **التمثيل:**«لاشيء أشبه بك من الحيَّة ذات اللسانين التي فيها السم،والمفسد بين الإخوان و الأصحاب كالحيَّة التي يربيها الرجل ويطعمها ويكرمها،ثم لا يكون له منها غير اللدغ» (3).

احتياط و تحفظ ← «إنَّك جامع للخبّ و الخديعة و الفجور ،وإنّي أخشى عليك ثمر عملك »(4).

---

(3) المصدر نفسه ، ص 82 ، 83 .
(4) المصدر نفسه ، ص226 ،السنَّور: و هو الهرّ.
(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
(7) المصدر نفسه ، ص227 ، الصفرد :طائر يكنى أبا المليح.
(8) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.
(6)كليلة ودمنة ، ص 186 ،187.
(7) المصدر نفسه ، ص 159
(8) المصدر نفسه ، ص 159 ، 160
(9) المصدر نفسه ، ص 159.

النتيجة ← « الخبُّ والفجور هما خلتا سوء ، والخبُّ شرهما عاقبة.. ربما كان صاحبهما هو المغبون»(5)

← « ما عاد وبال البغي إلاَّ على صاحبه »[6].

← «مع أنَّك لست بناج من العاقبة »[7].

أما الخديعة في الحرب لمجابهة العدو فهي فضيلة و مجد ؛ لأنها تحمي الوطن و تحقق الانتصار،وكما يقال: **الحرب خدعة**، فإنَّها من أبرز وسائل غلبة العدو،لذلك ينصح **بيدبا** الملوك باعتمادها توفيرا لخسائر الحرب من الأنفس و الأموال .

الثيمة : التحذير من خديعة العدو

المقدمات ← « ذو الرأي يتخوف المكر والخديعة والحيل ، ويعلم أن كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدَّة و المكابرة ،حتى يصاد بالرفق والملاينة،كما يصطاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن »[8].

← «ووجدت صرعة اللين والرفق أسرع وأشدّ استئصالا للعدو من صرعة المكابرة و العناد »[9].

التدعيم ← « إنَّ النار لا تزيد بحدها و حرّها إذا أصابت الشجرة ، على أن تحرق ما فوق الأرض منها ، و الماء بلينه و برده يستأصل ما تحت الأرض منها »[10].

الثيمة : خداع ولاة الأمور للرعية

المقدمات ← «إنَّ أقبح الخداع ما نظرت إليه وعلمت أنه من غير أهله »[1].

التدعيم ← «مثل السلاطين في قلة وفائهم لمن صحبهم كمثل صاحب الخان كلما فقد واحدا جاء آخر»[2].

← الاستفهام البلاغي:«من ذا الذي صحب السلطان فدام له منه الأمن و الإحسان ؟ »[3].

نتيجة ← « الخداع و المكر ليسا من أعمال صالحي القضاء و ثقات الولاة »[4].

(10) المصدر نفسه ، ص 156، 159 .
(1) المصدر نفسه ، ص 67.
(2) المصدر نفسه ،ص 159 .
(3) المصدر نفسه ، ص 274 .
(4) المصدر نفسه ،ص 246 .
(5) المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .
(1) كليلة ودمنة، ص 100.
(2) المصدر نفسه، ص137 .
(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها
(4) المصدر نفسه، ص 187.

←« إنَّ المنازل متنازعة مشتركة على قَدَر المروءة، فالمرء ترفعه مروءته من المترلة الوضيعة إلى المترلة الرفيعة ،و من لا مروءة له يحطُّ نفسه من المترلة الشريفة شديد و الانحطاط منها هيّن»[5].

←«شرُّ الملوك المخادع »[6].

يؤكد **بيدبا** في البنية الحجاجية التالية على أهمية **المال**، إذ يزيد في القوة ، كما يعد عصب الحرب،فضلا عن الجنود الأكفاء ، والثيمة تبعا لذلك هي: **المال و القوة.**

المقدمات ←«إنَّ المال جُعل قوة و زيادة في الرأي و التمكن »[7].

التدعيم ← التمثيل :« ما الإخوان و لا الأعوان و لا الأصدقاء إلا بالمال،ووجدت من لا مال له إذا أراد أمرا قعد به العُدم عما يريده،كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الشتاء، لا يمر إلى نهر، ولا يجري إلى مكان، إلى أن يفسد و ينشف و لا ينتفع به**...**ومن لا مال له لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة »[8].

←«ووجدت الرجل إذا افتقر أتهمه من كان له مؤتمنا ،وأساء به الظن من كان يظن به حسنا، فإن أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا ،وليس من خلة هي للغني مدح إلا وهي للفقير ذم، فإن كان شجاعا قيل أهوج ،وإن كان جوادا سمي مُبذّرا،وإن كان حليما سمي ضعيفا،وإن كان وقورا سمي بليدا ،وإن كان صموتا سمي عييا ،وإن كان لسنا سمي مهذارا »[9].

نتيجة ←«أحرى به أن يكون أنكد الناس حظا في الدنيا و الآخرة »[10].

ويخصص **كليلة ودمنة** باب الجرذ و السنّور ليؤسس للفكر السيا[illegible] العدو، ويبحث في أسباب الصداقة و العداوة،ليصل إلى إمكانية التعامل مع العدو،للخروج من المآزق،وإن كلَّف الأمر بعض التنازلات،وذلك ما توضحه ثيمة **: تضافر الأعداء** ،في البنية الحجاجية الآتية **:**

المقدمات ←اضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه و أحدقوا به من كل جانب،فأشرف معهم على الهلاك، فالتمس النجاة والمخرج بموالاة بعض أعدائه ومصالحتهم ، فسلم من الخوف وأمن»[1].

---

(5) المصدر نفسه، ص 101.

(6) المصدر نفسه، ص 225.

(7) المصدر نفسه، ص 204 .

(8) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(9) المصدر نفسه ، ص206،205 .

(10) المصدر نفسه ،ص 205.

(1) كليلة ودمنة، ص 263 .

التدعيم ← «أنا اليوم شريكك في البلاء،ولست أرجو لنفسي خلاصا إلا بالذي أرجو لك فيه الخلاص»[2]. «كالسفينة و الركاب في البحر فبالسفينة ينجون و بهم تنجو السفينة» [3] .

← «إنَّ الصديق صديقان طائع و مضطر،وكلاهما يلتمسان المنفعة و يحترسان من المضرة »[4].

احتياط ← «فأنا أخافك تخوف أن يصيبني منك ما ألجأني خوفه إلى مصالحتك و ألجأك إلى قبول ذلك منّي »[5] .

← «ثم إنّي إن فعلت ذلك سأشكرك ما بقيت »[6].

نتيجة ← «إنَّ الكريم لا يكون إلا شكورا غير حقود، تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة»[7].«إن أعجل العقوبة عقوبة الغدر، و من إذا تُضُرّع إليه و سُئل العفو فلم يرحم و لم يعف فقد غدر »[8].«والعاقل يصالح عدوه إذا اضطر إليه ، ويصانعه ويظهر له وُدَّه ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بُدا »[9].

وإلى جانب الصداقة التي يعقدها الأعداء ينبه الفيلسوف **بيدبا** في أكثر من موضع من **كليلة ودمنة** إلى **ثيمة الصداقة** التي يعقدها الأخيار فيما بينهم،وينتقل إلى الحديث عن موجبات هذه العلاقة التي لا تقوم على الانتفاع أو الطمع .

الثيمة : موجبات الصداقة

مقدمات ← « إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ويتواصلون عليهما وهما:ذات النفس وذات اليد، فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء،وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض »[10].

تدعيم ← « المودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها،ومثل ذلك مثل الكوز من الذهب بطيء الانكسار،سريع الإعادة،هين الإصلاح إذا أصابه ثلم أو كسر،والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها،ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار سريع الانكسار،ينكسر من أدنى

---

(2) المصدر نفسه، ص 265 .
(3) المصدر نفسه ، ص 266 .
(4) المصدر نفسه ، ص 267 .
(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(6) المصدر نفسه ، ص 266.
(7) المصدر نفسه ، ص267 .
(8) المصدر نفسه ،ص 267 .
(9) المصدر نفسه ، ص 270 .
(10) المصدر نفسه، ص 198.

شيء، ولا وصل له أبدا، والكريم يود الكريم،واللئيم لا يود أحدا،إلا عن رغبة أو رهبة » [1].

نتيجة ← « فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد »[2].« إنَّ من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا ،ولعدو صديقه عدوا »[3].«لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ، ولا غمّ فيها يعدل البعد عنهم »[4].«إنَّ الكريم إذا عثر لا يقيل عثرته و يأخذ بيديه إلا الكرام،كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة »[5].«لا عيش بعد فراق الأحبة،وإذا فارق الأليف أليفه فقد سُلب فؤاده،وحُرم سروره،وغُشي على بصره»[6].

ولأنَّ الدولة تشهد دائما حركة تطور و توسُّع فمن الطبيعي أن ينشأ التنافس بينها و بين الدول الأخرى، ولذلك فإنَّ الصداقة لا يمكن أن تعرف الثبات، وعليه ينبغي الاحتراس و التوقي للخروج بأقلّ الأضرار.

الثيمة: الاحتراس من الأصدقاء

مقدمات ← «رُبَّ صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة ، وهي أشد من العداوة الظاهرة»[7].

← « من كان أصل أمره عداوة جوهرية ، ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك ، زالت صداقته فتحولت و صارت إلى أصل أمره »[8].

تدعيم ← «كالماء يسخن بالنار فإذا رفع عنه عاد باردا »[9].

← «كالرجل الذي يركب ناب الفيل الهائج ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه و يقتله»[10].

نتيجة ← « لا يثق به كل الثقة ، ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه ، وينبغي أن يبعد عنه ما استطاع»[11].

← « اعلم أن سريع الاسترسال لا تقال عثرته »[12].

---

(1) المصدر نفسه ، ص 197.
(2) المصدر نفسه ، ص 198.
(3) المصدر نفسه ، ص 199 .
(4) المصدر نفسه ، ص 210.
(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
(6) المصدر نفسه ، ص 213.
(7) المصدر نفسه ، ص 268.
(8) المصدر نفسه ، ص269.
(9) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(10) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(11) المصدر نفسه، ص 270 .
(12) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

وينبه **بيدبا** مرة أخرى إلى من لا تجوز صداقتهم،حتى و إن دفعت الحاجة إليهم، وأمَّا إن انتفت الخيارات فيمكن الاسترسال إليهم على أن تكون الصداقة محدودة في الزمان والمكان والموضوع ، بحيث يحصر نطاقها .

الثيمة : من لا تجوز صداقتهم

1-العدو :

مقدمات ←«وليس من أعدائي عدو أضرُّ لي منك،وقد اضطرني وإيَّاك حاجة إلى المصالحة »[1] .

تدعيم ←« كالسفينة و الرُّكاب في البحر، فبالسفينة ينجون ، و بهم تنجو السفينة »[2] .

مؤشر الحال ←«إن أنت جعلت لي الأمان قطعت حبائلك »[3].

احتياط وتحفظ ←«أخاف أن يكون مع ذهابه عودُ للعداوة »[4].

نتيجة ← « العاقل يصالح عدوه إذا اضطر إليه ، و يصانعه ويظهر له وُدَّه ويريه من نفسه الاسترسال إليه،إذا لم يجد من ذلك بُدًّا،ثم يعجل الانصراف عنه حين يجد إلى ذلك سبيلا »[5].«لا سبيل إلى اجتماعنا»[6].

2-الموتور:

مقدمات ←«إنَّ الغادر مأخوذ بغدره،وإنَّه إن أخطأه عاجل العقوبة لم يخطاه الآجل،حتى إنَّه يدرك الأعقاب ، وأعقاب الأعقاب»[7] .

مؤشر الحال ←«قد تناصفنا جميعا،فليس لك قبلنا،و ليس لنا قبلك وتر مطلوب، فارجع إلينا آمنا »[8].

← **احتياط وتحفظ** :« لا ينبغي لذي الرأي أن يظن أنَّ الموتور الحقود ناس ما وُتر به ، أو مصروف عنه، وذو الرأي يتخوف المكر و الخديعة والحيل،ويعلم أن كثيرا من العدو لا يستطاع بالشدة و المكابرة ،حتى يصاد بالرفق و الملاينة »[9].

تدعيم ←«كما يصطاد الفيل الوحشي بالفيل الداجن»[10].

مقدمات ←«ألا تعلم أن الضغائن و الأحقاد تكون بين كثير من الناس؟ فمن كان ذا عقل كان على إماتة الثار أحرص منه على تربيته »[11].

---

(1) كليلة ودمنة ،ص 269 .
(2) المصدر نفسه، ص266 .
(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.
(4) المصدر نفسه، ص 269.
(5) المصدر نفسه، ص 270.
(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(7) المصدر نفسه، ص 273 .
(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(9) المصدر نفسه، ص274 .
(10) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(11) المصدر السابق ،ص 274 .

تدعيم ← « اللّعابين يلعبون بالكلاب ثم يذبحونها و يأكلونها، ويرى الكلب الذي قد ألفهم ذلك ، فيمنعه من مفارقتهم ألفته إيَّاهم »(1).

احتياط و تحفظ ← الأحقاد مخوفة حيث كانت،وأخوفها وأشدّها ما كان في أنفس الملوك، فإنَّ الملوك يَدينون بالانتقام، ويرون الدَّرك والطلب بالوتر مكرمة و فخرا، وأنَّ العاقل لا يغترّ بسكون الحقد إذا سكن »(2).

تدعيم ← «مثل الحقد في القلب إذا لم يجد محركا مثل الجمر المكنون ما لم يجد حطبا،فإذا وجد علة استعر استعار النار »(3).

← «إنَّ الرجل الذي في باطن قدمه قرحة إن هو حرص على المشي لا بد أن تُنكأ قرحته ، والرجل الأرمد إذا استقبل بها الريح تعرَّض لأن تزداد رمدا ،و كذلك الواتر إذا دنا من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك»(4).

نتيجة ← «الحقد...لا يطفئه حسن كلام و لا لين و لا رفق و لا تضرع و لا مصانعة ، و لا شيء دون تلف الأنفس و ذهاب الأرواح»(5).«لا أزال في خوف ووحشة وسوء ظنّ ما اصطحبنا فليس الرأي بيني و بينك إلا الفراق»(6).

ومن المواضيع الجد هامة في **كليلة ودمنة** موضوع السلطة ؛بل إنها مدار التأليف عند الفيلسوف **بيدبا** ،و كما تتميز السلطة و تتطور بصلاحها فإنَّها كذلك تنهار بفسادها ، الذي إذا ما تراكم أوصلها إلى الهلاك.

الثيمة : فساد السلطة

مقدمات ← « إنَّما يؤتى السلطان و يفسد أمره من قبل ست أشياء : الحرمان والفتنة والهوى والفظاظة والزمان والخُرق »(7).

تدعيم ← الشرح بالتفصيل: « أمَّا الحرمان فأن يحرم من صالحي الأعوان و النصحاء و الساسة من أهل الرأي والنجدة و الأمانة،وأمّا الفتنة فهي تحارب رعيته ووقوع الخلاف و التزاع بينهم، أمّا الهوى فالاغرام بالنساء والحديث و اللهو والشراب والصيد وما أشبه ذلك،وأمّا الفظاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمع اللسان بالشتم،واليد بالبطش في غير موضعهما، وأمّا الزمان

---

(1) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) المصدر نفسه، ص 277،278 .
(4) المصدر نفسه، ص 275.
(5) المصدر نفسه، ص276 .
(6) المصدر نفسه، ص119.

فهو ما يصيب النّاس من السنين من الموتان ،ونقص الثمرات و الغزوات، وأشباه ذلك ،وأمَّا الخُرق فهو أعمال الشدة في موضع اللين ، واللّين في موضع الشدة »[1].

نتيجة ← ضمنية : « إن الشجرة إذا أريد قلعها عمد إلى أصولها »[2].«شر الملوك من يخافه البريء ، ولا يواظب على حفظ مملكته»[3].« شر الملوك المخادع »[4].

ولأنَّ إدراك السلطة شاق ، وأشقُّ من ذلك الاحتفاظ بها سنَّ **بيدبا** القواعد التي تضمن الإمساك بزمامها، وذلك بتضافر عناصر عديدة ملخصة في البنية الحجاجية التالية :

الثيمة: إدراك السلطة و الاحتفاظ بها

مقدمات ← «إنَّه لم يبلغ أحد مرتبة إلا بإحدى ثلاث: إمَّا بمشقة تناله في نفسه،وإمَّا بوضيعة في ماله ، أو وكس في دينه »[5].

تدعيم

← **المشقة في النفس** : « لا يواظب أحد على باب السلطان و يطرح الأنفة و يحتمل الأذى ، ويكظم الغيظ ويكتم السرّ، فإذا وصل إلى ذلك بلغ مراده »[6].

← **الوضيعة في المال**:« ليبذل ذوو المال مالهم في أربعة مواضع : في الصدقة،وفي وقت الحاجة وعلى البنين ،وعلى الأزواج ، ولا سيما إذا كنَّ صالحات »[7].

← **الوكس في الدين**:« إنّي لما نظرت في الأمر الذي به أرجو إن تعود مترلتي ،وما غُلبت عليه مما كنت، لم أجد حيلة و لا وجها إلاَّ الاحتيال لآكل العشب هذا حتى أفرق بينه و بين الحياة »[8].«فلما بصر السنور بالأرنب و الصفرد مقبلين نحوه انتصب قائما يصلي،وأظهر الخشوع **...**فوثب عليهما فقتلهما » [9].

نتيجة ← «ومن لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب »[10].

يرى **بيدبا** أن صحبة السلطان مبعث دائم للخوف،لذلك ينبه كل من يعمل لها أو يتقرب منها ؛إذ لا يعرف الرجل متى تتنكر السلطة له وتتقلب .

---

(1) المصدر نفسه، ص 119،120 ،السنين كناية عن الشدة و الضيق ، و أمَّا الموتان فيقصد بها موت المواشي .
(2) المصدر نفسه، ص303 .
(3) المصدر نفسه، ص 279 .
(4) المصدر نفسه، ص 225 .
(5) المصدر نفسه، ص32.
(6) المصدر السابق ، ص 103.
(7) المصدر نفسه، ، ص 254 .
(8) المصدر نفسه، ص199 .
(9) المصدر نفسه، ص227 .
(10) المصدر نفسه، ص 105.

الثيمة: مخاطر مصاحبة السلطان

مقدمات ← « إنَّ ثلاثة لا يجترئ عليهن إلا أهوج،ولا يسلم منهنَّ إلا قليل،وهي:صحبة السلطان..» [(1)].

تدعيم ← التمثيل:«السلطان كالجبل الصعب المرتقى، الذي فيه الثمار الطيبة والأنهار الجارية والجواهر النفيسة، وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب و كل ضار مخوف،فالارتقاء إليه شديد ،والمقام فيه أشد »[(2)].

← التمثيل:«إنَّ إرادة الأسد بك...لأنه فاجر خوَّان غدَّار لطعامه حلاوة، و آخره سمُ مميت...فأراني قد استلذذت الحلاوة إذ ذقتها ، و قد انتهيت إلى آخرها الذي هو الموت...فأنا كالنحلة التي تجلس على نور النيلوفر ، إذ تستلذ ريحه و طعمه ، فتحبسها تلك اللذة عن الحين الذي ينبغي أن تطير فيه»[(3)].

نتيجة ← «إنَّما يقدم على خدمة السلطان غير هائب رجلان لست بواحد منهم:إمَّا مصانع ينال حاجته بفجوره ، و يسلم بمصانعته ، و إما هيّن لا يحسده أحد »[(4)].

← « إن قليلا من العيش في أمن و طمأنينة خير من كثيره في خوف و نصب »[(5)].

← « قبحا للملوك الذين لا عهد لهم و لا وفاء »[(6)].

وإنَّ ما يستقيم به الملك أن يكون السلطان عالما بمن يريد الاستعانة به،وما عند كل رجل منهم من الرأي و الغناء،وما فيه من العيوب،وعلى أساس ذلك يوجه لكل عملا يعرف به،واختيار الوزراء هي الخطوة الأولى في مباشرة السلطان إدارة شؤون الدولة .

الثيمة: اختيار الوزراء

مقدمات ← « الملك لا يستطاع ضبطه إلا مع ذوي الرأي، وهم الوزراء و الأعوان »[(7)].

تدعيم ← مواصفات الوزير :

1-«ولا ينتفع بالوزراء و الأعوان إلا بالمودة و النصيحة،ولا نصيحة إلا لذوي الرأي و العفاف »[(8)].

---

(1) كليلة ودمنة ، ص 104 .
(2) المصدر نفسه، ص 204، 205 .
(3) المصدر نفسه ، ص 142 .
(4) المصدر نفسه، ص 283،284 .
(5) المصدر نفسه ، ص 285.
(6) المصدر نفسه، ص 272 .
(7) المصدر نفسه، ص 280 .

2-« ممن لهم الخبرة »[1].

3-الكفاءة : «لا يقتحمه إلا أفهم الرجال و أذكاهم ،والرجل الذي يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القضب وإن كثر...إنَّ الصغير ربما عظم كالعصب الذي يؤخذ من الميتة،فإذا عُملت منه القوس أُكرم ، فتقبض عليه الملوك و تحتاج إليه في البأس و اللهو »[2].« حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع فيأخذه الرجل فيحك به أذنه ...الملك حقيق أن لا يحتقر مروءة يجدها عند رجل صغير المترلة »[3].

4-النسب:«إنَّ السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم و لا يباعدهم لبعدهم ولكنه ينظر إلى كل رجل بما عنده»[4].

نتيجة ← « ينبغي للسلطان ألاَّ يلحّ في تضييع حق ذوي الحقوق ، فإنَّ عاقبة ذلك رديئة »[5].
← « و رأس الحزم للملك معرفة أصحابه و إنزالهم منازلهم على طبقاتهم »[6].

ويؤكد **كليلة و دمنة** على أنَّ عدد الوزراء ليس بذي أهمية؛إذ يحتاج إلى الكفء منهم لا إلى كثرة عددهم؛ بل قد تكون كثرتهم إضرارا بالعمل.

الثيمة : عدد الوزراء

مقدمات ← « إنَّ رأي الرجل الواحد العاقل الحازم أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوي البأس والنجدة والعدد و العُدَّة »[7].
↓
تدعيم ←«الرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيقتل به نفسه و لا يجد له ثمنا،وحامل الياقوت،وإن قلَّ، يقدر على بيعه بالكثير من المال »[8].« والرجل الذي يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القضب وإن كثر» [9].
↓
نتيجة ←« إنَّ العمل ليس رجاؤه بكثرة الأعوان ،و لكن بصالحي الأعوان »[10].

---

(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(1) كليلة ودمنة ، ص 283 .
(2) المصدر نفسه، ص 107 .
(3) المصدر نفسه، ص 107،106.
(4) المصدر نفسه، ص107.
(5) المصدر نفسه ، ص 108.
(6) المصدر نفسه، ص 289.
(7) المصدر نفسه، ص114.
(8) المصدر نفسه، ص 107.
(9) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
(10) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

الثيمة : في العلاقة بين السلطان و الوزراء

و يصنف **كليلة ودمنة** السلطان في علاقته مع الوزراء على معادلات أربع :

×سلطان صالح و وزراء صالحون — **× سلطان فاسد و وزراء فاسدون**

×سلطان صالح و وزراء فاسدون — **× سلطان فاسد و وزراء صالحون**

مقدمات ← **سلطان صالح و وزراء صالحون**

تدعيم ← صفات الوزير الصالح :

1-« يسدّدون أحوال الناس وينظرون في صلاحهم »[1].

2-« إنَّه لم يكن يكتم صاحبه نصيحته و إن استقلّها ، و لم يكن كلامه كلام عنف وقسوة ،ولكن كلام رفق و لين حتى إنه ربما أخبره ببعض عيوبه ،ولا يصرح بحقيقة الحال؛بل يضرب الأمثال ويحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلا »[2] .

نتيجة ← «وإنَّما الملك و زينته أن تكون جنوده ووزراؤه ذوي صلاح فيسدّدون أحوال الناس،وينظرون في صلاحهم »[3].«والملك يزداد برأي وزرائه بصيرة كما يزيد البحر بمجاوره من الأنهار»[4].

مقدمات ← **سلطان فاسد و وزراء فاسدون**

تدعيم ← صفات الوزير الفاسد:

1-«كتم السلطان نصيحته »[5].

2-« كانت سيرته سيرة بطر وشرّ وخيلاء وعجز وفخر مع ما فيه من الصفات الذميمة ،وكل أصحابه و وزرائه شبيه به »[6].

نتيجة ← « لا يطمعنَّ الملك المتهاون بالأمور الضعيف الوزراء في ثبات ملكه و صلاح رعيته » [7].

← « ما أهلك البوم ...إلاَّ البغي وضعف رأي الملك وموافقته وزراء السوء »[8].

---

(1) كليلة ودمنة ، ص154.
(2) المصدر نفسه، ص249 .
(3) المصدر نفسه، ص 154 .
(4) المصدر نفسه، ص 221 .
(5) المصدر نفسه، ص 128 .
(6) المصدر نفسه، ص 248 ، 249 .
(7) المصدر نفسه، ص243 .
(8) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

مقدمات ← **سلطان صالح ووزراء فاسدون :**

تدعيم ← « إنَّ السلطان إذا كان صالحا ووزراءه وزراء سوء منعوا خيره، فلا يقدر احد ان يدنو منه ، ومثله في ذلك مثل الماء الطيب الذي فيه التماسيح لا يقدر أحد أن يتناوله ، و إن كان إلى الماء محتاجا »(1).

← «خير السلاطين من أشبه النسر و حوله الجيف ، لا من أشبه الجيفة و حوله النسور»(2).

نتيجة ← « لو اجتمع المكرة الظلمة على البريء الصالح كانوا خلقاء أن يهلكوه و إن كانوا ضعفاء وهو قوي »(3).« إنَّ أعظم الأشياء ضررا على الولاة خاصة أن يحرموا صالح الأعوان و الوزراء و الإخوان وأن يكون وزراؤهم غير ذي مروءة و لا غناء »(4).« قلَّ من وثق بوزراء السوء و سلم من أن يقع في المهالك »(5).«ليس السلطان بحقيق أن يعجل في الاسترسال إلى هؤلاء،و الثقة بهم و الائتمان لهم »(6).

مقدمات ← **سلطان فاسد ووزراء صالحون**

« كان مؤيدا مظفرا منصورا فهابته الرعية ، فلما رأى ما هو عليه من الملك و السطوة عبث بالرعية،واستصغر أمرهم ،وأساء السيرة فيهم،وكان لا يرتقي حاله إلا ازداد عتوا »(7).

تدعيم ← موقع الوزير الصالح من السلطان الفاسد:«ومن يبذل ودَّه ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر في السّباخ ، ومن يشر على المعجب فهو كمن يشاور الميّت أو يسارَّ الأصم »(8).

نتيجة ← «إنَّ وزراء الملك إذا كانوا صالحين و كان يطيعهم في أرائهم لم يضر في ملكه كونه جاهلا»(9).

---

(1) كليلة ودمنة ، ص 154.
(2) المصدر نفسه، ص 148.
(3) المصدر نفسه، ص 143 .
(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(5) المصدر نفسه، ص 243 .
(6) المصدر نفسه، ص 111 .
(7) المصدر نفسه، ص 15.
(8) المصدر نفسه، ص 143
(9) المصدر نفسه، ص 223 .

إنَّ السرَّ هو المعرفة و العلم المقتصر على واحد،في أمر يتعلق بأفعاله أو مساهداته أو نواياه ، فإذا ما انتقلت هذه المعرفة إلى شخص آخر يبطل كونه سرا، فطبيعة السر تأبى المشاركة، و توضح ذلك البنية الحجاجية الآتية :

الثيمة : الأسرار

مقدمات ←«وللأسرار منازل،منها ما يدخل فيه الرهط،ومنها ما يستعان فيه القوم ،ومنها ما يدخل فيه الرجلان،ولست أرى لهذا السرّ ...أن يشارك فيه إلا أربعة آذان ولسانان »(1).

تدعيم ← مراتب الأسرار :

1-السرّ عند صاحبه لا يجاوزه: «اعلم أن عقل الرجل يستبين في هذه الثماني خصال:...والسادسة أن يكون لسرّه حافظا »(2).

2-ما يدخل فيه الرجلان : « السرّ إذا تكلم به لسانان صار إلى ثلاثة ، فشاع في الناس لا يستطيع صاحبه أن يجحده »(3).

3-ما يدخل فيه الرهط أو القوم : تشبيه اشتراك الجماعة في سرّ واحد بالغيم المتقطع :

«الغيم إذا كان متقطعا فقال أحد إنَّ هذا غيم متقطع لا يكذبه أحد على ذلك»(4).

نتيجة ← « و رأس الأدب حفظ السرّ»(5).

ويتوقف **كليلة ودمنة** مرارا أمام نكران الجميل الذي تتميز به السلطة ،حتى أنه صار سمة ملازمة للملوك،و يعد نكران الجميل عند **بيدبا** خزيا و عارا و مظهرا من مظاهر الفجور .

الثيمة : السلطة و نكران الجميل

مقدمات ← « قبحا للملوك الذين لا عهد لهم و لا وفاء ، ويل لمن ابتلي بصحبة الملوك الذين لا ذمة لهم ولا حرمة ،ولا يحبون أحدا ولا يكرم عليهم إلا إذا طمعوا فيما عنده من غناء، واحتاجوا إلى ما عنده من علم فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ،ولا إخاء ،ولا إحسان ،ولا غفران

(1) كليلة ودمنة، ص221 ، 222 .
(2) المصدر نفسه ، ص 45 .
(3) المصدر نفسه ، ص47 .
(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .

ذنب، ولا معرفة حق،هم الذين أمرهم مبني على الرياء و الفجور،وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب،و يستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم »(6).

تدعيم ←العقاب القائم على الشك:« إن الملك إذا عاقب أحدا عن ظنة ظنها من غير تيقن لجرمه فنفسه عاقب،وإيَّاها ظلم ،وكان ناقص البصيرة »(7).

← التمثيل:«فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لي فيه الهلاك ، وبعض المحاسن آفة لصاحبها ، فإنَّ الشجرة اللذيذة الثمار ربما كان أذاها في حملها فلويت أغصانها و هصرت أطرافها حتى تتكسر،والطاووس الذي ذنبه أفضله ينسل فيؤلمه،والفرس المطهم الجري ربما ركب حتى ينقطع ،والبلبل الحسن الصوت يحبس دون غيره من الطير »(1).

نتيجة ←« لقد صدق من قال : كلما ازداد الإنسان في الخير اجتهادا كان الشر إليه أسرع »(2).

ولأهمية القضاء لتنظيم شؤون الدولة ومصالح المواطنين تطرق **كليلة ودمنة** إلى دور القاضي و عظمة مسؤوليته في إرساء استقرار الدولة،وتثبيت دعائمها، فالقاضي مؤتمن على حقوق الناس و أمنهم و أرواحهم ،إلاَّ أنَّ القضاة ليسوا جميعا سواء، فمنهم الأمين،ومنهم المسيء للأمانة ،حيث يعرض العامة للظلم و الدولة للأذى،و في البنية الحجاجية التالية نتعرف على **أصناف القضاة** :

مقدمات ←«أنا أرغب إلى الملك إن كان في شك من أمري أن يأمر بالنظر فيه ، و يكون من يتولى ذلك لا تأخذه في الله لومة لائم »(3).

تدعيم ←صفات القاضي العادل :

1-«وإنَّ أحق ما رغبت فيه رعية الملك هو محاسن الأخلاق ومواقع الصواب وجميل السير »(4).

2-« إنَّ صالحي القضاة لا يقطعون بالظن،ولا يعملون به لا في الخاصة ولا في العامة ، لعلمهم أنَّ الظن لا يغني من الحق شيء »(5).

3- « الخداع و المكر ليسا من أعمال صالحي القضاة و لا ثقاة الولاة »(6).

4-« لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم »(7).

---

(6) المصدر نفسه ، ص 272 .
(7) المصدر نفسه ، ص 136 .
(1) كليلة ودمنة ، ص 141.
(2) المصدر نفسه، ص 168.
(3) المصدر نفسه، ص 169 .
(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها .
(5) المصدر نفسه، ص 186 .
(6) المصدر نفسه، ص 187.
(7) المصدر نفسه، ص 175 .

نتيجة← « إنا نجد في كتب الأولين أن القاضي العدل ينبغي له أن يعرف عمل المحسن و المسيء ليجازي المحسن بإحسانه و المسيء بإساءته، فإذا ذهب إلى هذا ازداد المحسنون حرصا على الإحسان، و المسيئون اجتنابا للذنوب »[8].

وحرصا من الفيلسوف **بيدبا** على التوجيه والهداية تنوعت مواضيعه،من المواضيع التي احتوتها نصوص **كليلة ودمنة** غير مواضيع السياسة موضوع:**المرأة**،والتي هي على صنفين نوضحهما من خلال البنية الحجاجية الآتية :

مقدمات ←**ليس بحقيق أن يحزن على المرأة**

↓

تدعيم ←ميزاتها :

1-« شرّ الأزواج التي لا تؤاتي بعلها »[1].

2-« المرأة التي تحب ولدها ، و هو شاطر عارم ، فهي تستر أموره و تخفيها ، ثم هو يكون تعبا لها و وبالا عليها »[2].

3-« إنَّ الذهب يجرب بالنار ، والرجال بالأخذ و العطاء ، و الدواب بالحمل و الجري ، و لا يقدر أحد أن يجرب مكر النساء ، و لا يقدر على كيدهنّ و كثرة حيلهنّ »[3].

4-«ثلاثة لا يجترأ عليها أهوج،ولا يسلم منها إلا القليل:...وائتمان النساء على الأسرار »[4].

↓

نتيجة ←« قلَّما حرص الرجل على النساء و لم يفتضح »[5].« ما الإناث بأهل لأن يوثق بهن ، و لا أن يسترسل إليهن »[6].

مقدمات ← **كانت المرأة أهلا لأن يحزن عليها**

↓

تدعيم ←ميزاتها :

1-« المرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النساء »[7].

2-« عفيفة ، كريمة الحسب و النسب عاقلة جميلة موافقة لزوجها محبة له »[8].

↓

---

(8) المصدر نفسه ، ص186.
(1) كليلة ودمنة، ص 279.
(2) المصدر نفسه، ص 312 .
(3) المصدر نفسه، ص 253 .
(4) المصدر نفسه، ص 104.
(5) المصدر نفسه، ص 243 .
(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
(7) المصدر نفسه، ص 307 .
(8) المصدر نفسه، ص 312 .

نتيجة ← « الزوجة الصالحة لا يعدلها شيء، لأنها عون على أمر الدنيا و الآخرة »[9]، « ليبذل ذوو المال مالهم **...**على الأزواج ، و لا سيما إن كن صالحات »[10]**.**

من البنى الحجاجية السابقة نستنتج مقصد المحاجج الفيلسوف **بيدبا** وغاياته فى إقناع مخاطبه الملك **دبشليم** ،وسواء أكان الحجاج من النوع الأول (الدفاع عن قضية)،أم كان من النوع الثاني(ضد أو مع إحدى قضيتين) ، فإنّ هذه البنيات تجتمع في آخر المطاف لتجسد الصورة العامة أو الوحدة الدلالية الجامعة للكتاب ككل، و هي إرادة النصح و التوجيه و تصحيح سياسة الملك و إرجاع الملوك إلى جادة الصواب **.**

وتجدر الإشارة أن دراسة الحجاج في **كليلة ودمنة** إنّما تأتت من خلال جمع أمثلة متفرقة من الكتاب، على شكل استنتاجات و تدعيمات، إما بالتبرير أو التمثيل(بلاغي) أو الشرح والتفصيل أو الموازنة أو الجمع والتقسيم (البديع) أو أحكام عامة أو محددة ،لنصل في النهاية إلى نتيجة أو نتائج صريحة أو ضمنية تتوّج البنية الحجاجية **.**

1-2-**القيمة الحجاجية** Valeur argumentative:

النص الحجاجي نص تقويمي،والقيم _مع الدليل و مصادر معقولية الأشياء _ تكون المادة التفاعلية التي يقدر بها الناس الحجاج ، الذي يستحق منهم الموالاة ، على اعتبار أن النص الحجاجي _كما يرى **دي بوجراند** و **درسلر**_نص موظف لتقوية القبول،أو تقويم معتقدات و أفكار[1]**.**

1-3 -**قوانين الخطاب** Lois de Discours :

أكدّ **ديكرو**[2]في العديد من مؤلفاته عل العلاقة الوطيدة بين قوانين الخطاب و الحجاج ؛ إذ تؤدي دورا أساسيا وفعالا في دلالة الأقوال المستعملة في الحجاج،وخاصة قوانين **الشمولية** و **الإخبارية** و **الإفادة** ،ولأنّ الغاية من الحجاج هي التأثير على المستمع؛فإنّ المحاجج يسعى بكل ما أوتي من أدلة و حجج يوجهها إلى المستمع،في حدود اهتماماته و قدرته على الفهم و الاستنتاج ،وأيضا بحسب الفائدة المرجوة من الخطاب **.**

وتأسيسا على ما يفرضه**"مبدأ التعاون"** الضامن لاستمرارية الحوار بين المتخاطبين، فإنّه على المحاجج شدّ انتباه المستمع إلى كل ما يقدمه،سواء على مستوى المقدمات،أو التبريرات،أو الأدلة و الحجج،ليصل المستمع إلى النتائج المقصود إليها،ضمن إطار المحادثة المفيدة **.**

---

(9) المصدر نفسه، ص 252 .

(10) المصدر نفسه، ص254 .

(1) أنظر التدعيم بالقيمة الحجاجية ضمن وسائل الإقناع المنطقية في هذا الفصل من البحث .

(2) أنظر : عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي ، ص 122 ،123 .

فهذا المبدأ الذي تفرضه طبيعة استمرارية الخطاب بين الطرفين يقتضي وجود تفاهم بينهما حول قدر معين من المعلومات والمعطيات والمفاهيم من شأنها أن تجعل المتلقي« متلقيا إيجابيا يتلقى ما يتلقاه ويفكر فيه ، ثم يرد ويناقش ويفند ويدعم،لينتقل من موقع المتلقي إلى موقع الإرسال،وينتقل المرسل من موقع الإرسال إلى موقع المتلقي»(3).

هذا التبادل في الأدوار يبرز خاصية الحوار في الخطاب وقيمته، وبخاصة أثناء الحجاج ؛ لما له من دور واضح في شدّ انتباه المتلقي، واستحضار تركيزه، و تقديرا لردود أفعاله تجاه ما يتلقاه ، لذا فإن طبيعة الحجاج طبيعة حوارية تخاطبية.

1-2-**ما يحيط بالنص الحجاجي:**وتتمثل في مجموعة عوامل تساعد على تحديد طبيعة الخطاب،و ما يمكن أن يحتوي عليه من حجج ، وهي :

1-2-1-**السياق** Contexte: للسياق دور كبير و قوي«في صياغة الخطاب و تقنياته من حيث كونه رسالة تستهدف استمالة المتلقي والتأثير فيه »(1)،فمعرفة علاقة موضوع الخطاب بزمانه ومكانه ، وبالمحيط الثقافي والاجتماعي والنفسي له ، يبرز الأبعاد الحجاجية داخل هذا الخطاب .

1-2-2-**العلاقة بين المحاجج و المستمع:** يؤكد **طه عبد الرحمن** في تعريفه للحجاج على الجانب الجدلي فيه ، يقول :« و حدُّ الحجاج أنه فعالية تداولية جدلية »(2)،وانطلاقا من البعد التحاوري التبادلي للحجاج قسَّمه إلى نماذج ثلاثة :

×**النموذج الوصلي:** يركز على الخصائص الترتيبية و الصورية(الدالية)للحجاج،دون اعتبار المقام التواصلي ،بمعنى أنه يغفل الفعالية الخطابية بقطبيها الأساسيان المتكلم و السامع .

×**النموذج الايصالي:**ويشتغل بدور المتكلم ووظيفته في العملية الخطابية،دون مراعاة للسامع ،مستندا في ذلك على نظرية الأفعال اللغوية التي تتمركز حول الذات المتكلمة .

×**النموذج الاتصالي:**يستحضر هذا النموذج كلا من المتكلم و السامع في جو من التفاعل و الممارسة الخطابية في مقام حي،هذا الاشتغال المزدوج بالمتكلم و السامع يجعل من الحجاج بنية تداولية بامتياز(3).

ويقترح بعض الباحثين نموذجا رابعا يراعى فيه ركنا العملية التواصلية ، و هما يؤديان وظيفة تواصلية لا اتصالية ، و هو **النموذج التواصلي**،والسبب في ترجيح هذا النموذج على سابقه هو أن نموذج الاتصال يركز

---

(3) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ص117 .
(1) المرجع السابق ، ص 133 .
(2) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 65 .
(3) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص 245 ، أنظر أيضا مؤلفه: التواصل و الحجاج ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، دت ، دط، ص 6 .

على المتكلم بالدرجة الأولى،والسامع بالدرجة التالية،فحضوره تأكيد و إنجاح لحضور المتكلم**.**أما في النموذج التواصلي فيتم استحضار الركنين بشيء من الاستقلالية،حيث ننظر إلى السامع_كما هو الحال مع المتكلم _على أنّه طرف مساو للمتكلم ، من حيث استقباله للحجّة ،و مناقشتها ،واستعمالها إن اقتضى المقام لذلك**.**

كما أنَّ معرفة العلاقة الموجودة بين المتكلم والمستمع تحدد طبيعة الخطاب، ذلك أنَّ معرفة هذا المتكلم المحاجج وما يتصف به من صفات تساعد كثيرا على إبراز الطبيعة الحجاجية للخطاب**.**

ولا يقصد بذلك الشروط التي يجب أن تتوفر في المحاجج كي يؤثر في الآخرين؛ وإنَّما هي صفات معروفة من ذي قبل عن شخصية المتكلم،التي تمنح الحجاج سلطته انطلاقا من سلطة المتكلم نفسه،فهذه الميزة التي يتمتع بها الأفراد تشكل حجة في حد ذاتها،وقد تكون هذه السلطة ترغيبية مقرونة بفعل صاحبها«فحصول الاقتناع لدى المستمع لا يكون إلاَّ بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه،باعتباره دليلا و حجَّة مادية تنسحب على المتكلم ، و تزكي موقفه و تؤكده »(1)**.**وبالمقابل فإن للمستمع دورا بارزا في تحديد ملامح الحجاج ؛ إذ يعدّ سببا في إنشائه إلى جانب الموضوع الخلاف بينه وبين المتكلم .

وفي **كليلة ودمنة** يتمتَّع المتكلم الفيلسوف **بيدبا** باحترام الجميع،وعلى رأسهم السلطة العليا ممثلة في شخص الملك **دبشليم**،الذي يعترف بقيمة العلماء و الحكماء وفضلهم:«**إن كان للملوك فضل في مملكتها فإنَّ للحكماء فضلا في حكمتها أعظم**»(2)،فالفيلسوف **بيدبا**،من خلال سموّ شأنه وعلوّ مكانه في المجتمع،يعد حجَّة في حد ذاته، فهو قوة تفوق سلطتها سلطة الملك نفسه،إنَّها سلطة مكارم الأخلاق التي لا تبلى على مرّ الزمن .

وأمَّا ما يعرفه الفيلسوف **بيدبا**،باعتباره منشئ الحجاج، عن شخصية مخاطبه الملك **دبشليم** فيلخصها قوله:«**اعلموا أنّي أطلت الفكرة في دبشليم،وما هو عليه من الخروج عن العدل ولزوم الشر و رداءة السيرة وسوء العشرة مع الرعية** »(3)،وكذلك ما تضمنته مصارحته للملك من أفعال تدل دلالة عينية على جوره و تعدّيه،يقول:« **طغيتَ و بغيتَ،و عتوتَ و علوتَ على الرعية، و أسأتَ السيرة،وعَظُمت منك البلية** »(4)**.**

ولأنَّ المحاجج **بيدبا** على معرفة عميقة برفض الملك **دبشليم** لانتقاد سياسته في الملك عمد إلى أساليب حجاجية غير مباشرة ،وهي في **كليلة ودمنة** الحكاية على ألسنة الحيوان ، أو بصيغة أخرى **الحكاية المثلية** ،

---

(1) عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ،دط ،2006 ، ص 134.

(2) كليلة و دمنة ، ص 20 .

(3) المصدر نفسه، ص 15 .

(4) المصدر نفسه ،ص 26 .

فالحجاج ، وفقا لهذا التصور، يستعمل مقدمات وتبريرا ودعامة انطلاقا من تصوّره لطبيعة المستمع،وردود أفعاله الممكنة والمحتملة،ولهذا فإنَّ معرفة هذا المستمع الذي يوجه إليه الخطاب تمكن من تحديد ملامح الحجاج،من خلال مجموعة من الصفات التي تميزه عن غيره من المستمعين ،ولا يخفى على **بيدبا** إذ يسرد حججه مدى ذكاء مخاطبه الملك **دبشليم** في الوقوف على المعاني الخفية من وراء الخطاب،فحجج المتكلم تكون على قدر طاقة هذا المستمع.

×الحجاج و إستراتيجية الإقناع :

إنَّ أهم المقاصد التي يرمي المحاجج الى تحقيقها من خلال النص الحجاجي إقناع المستمع،والتأثير فيه،و توجيه سلوكه وجهة معينة؛أي«إحداث تغيير في الموقف الفكري و العاطفي»(1) لديه ، يعرف **توماس شايدال** (TH .Scheidel) الإقناع بأنَّه«محاولة واعية للتأثير في السلوك »(2)؛ فالإقناع ضرورة يتوسلها كل نص حجاجي ،على الرغم من أنه يمكن الفصل بين كل من الحجاج و الإقناع؛ إذ« يكون النص الخطابي نصا إقناعيا،ولكنه ليس نصا حجاجيا بالضرورة ؛لأنَّه لا يعبر عن قضية خلافية،يعني هذا أنَّ كل نص حجاجي نص إقناعي،وليس كل نص إقناعي نصا حجاجيا»(3)،إذن يرتبط الإقناع بالحجاج في أنواع معينة من الخطاب،كالخطاب السردي و الخطاب الوصفي .

×وسائل الإقناع :

تختلف الاستراتيجيات الاقناعية بحسب العلاقة بين طرفي الخطاب،كما تختلف الآليات والأدوات المستخدمة في الإقناع، وذلك لاختلاف الحقول التي يمارس المتكلم أو المرسل فيها الإقناع مثل:الحقل العلمي، أو الاجتماعي ، أو السياسي.

1-الوسائل النفسية و الاجتماعية (4)

وتكمن في مجموعة سمات وشروط تتوفر في المتكلم المحاجج لغاية تهيئة المستمع لقبول النتائج المقصودة ، فأكثر تعلق المستمع_بما أن الإرسالية شفاهية_«يرجع، أكثر ما يرجع ، إلى الإرسال نفسه، إلى الصورة و المظهر، ولو كانت الرسالة رسالة محاجة و مناظرة »(5).

---

(1) عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص444 .
(2) محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، ص 45 .
(3) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(4) من التداوليات المعاصرة : التداولية الاجتماعية و الفلسفية ، يمثلها الفيلسوف هابرماس (Haprmas) في مؤلفه "نظرية العمل الاتصالي" .
(5) جميل عبد المجيد ، البلاغة و الاتصال ، ص 148 .

بالإضافة إلى مقدار الحجج العاطفية التي يرسلها المحاجج إلى المستمع،معتمدا في ذلك على ظهوره بمظهر الصدق و الأخلاق الرفيعة و الطيبة،فيترتب عن ذلك بث الارتياح في الإنصات من قبل المستمع،وهذا ما يسميه **أرسطو**"الإيتوس"(Éthos)يقول:« فأما الكيفية و السمت فأن يكون المتكلم بنحو يجعله أهلا بأن يصدق،ويقبل قوله »(6)، وينتج عن ذلك إثارة عواطف المستمع،وتوجيهها نحو مسار معين قصد الإقناع ؛ فالمحاجج لا يعتمد على الحجج العقلية دائما ؛ إذ «القدرة على الحجاج الجيد ؛ أي القدرة على الإقناع ، يقتضي المعرفة بما يمكن أن يحرك الذات التي نتوجه إليها بالخطاب »(7).

ويمكن إحصاء أهم السمات و الشروط التي على المحاجج الفيلسوف **بيدبا** الالتزام بها فيما يأتي:

1-دراية المتكلم وقدرته على الإحاطة بالمستمع الذي يوجه إليه خطابه الحجاجي، و رصيده الثقافي الحضاري ،وتطلعاته وطموحاته ؛ لأنَّ الخطأ في تصوّر هذا المستمع لا يوصل إلى النتائج المرجوة، فقد تكون عكس ما قُصد به من البداية، و في **كليلة ودمنة** أخطأ الفيلسوف بدايةً السبيل إلى ردع الملك، فكاد أن يقتل، ثم أتيحت له الفرصة لتصحيح الخطأ،وانتهاج الطريق الأصوب لتسيير حججه الوجهة التي تضمن اقتناع الملك ، و تأثره بالخطاب الموجه إليه .

2-حسن تلاؤم موضوع الخطاب الحجاجي مع المقام،خاصة ما تعلق بالزمان والمكان،و بالفعل فإن ما احتوته نصوص **كليلة ودمنة** من نصائح و إرشادات إنَّما كانت وليدة الواقع المرير الذي يعيشه أبناء المجتمع نفسه الذي ينتمي إليه المحاجج **بيدبا** ،فالملوك الطغاة من أمثال **دبشليم** أحوج من غيرهم إلى مثل **كليلة ودمنة**، خطاب ضمني تتوارى المقصدية من وراء تأليفه ،وقد توسل المحاجج فيه بالإستراتيجية الضمنية خوفا من النتائج غير المرغوب فيها المتولدة عن التصريح .

3-اختيار المتكلم للمقدمات المعتمدة في الحجاج،على أساس قضايا احتمالية،قابلة للحوار والنقاش،تمكن من شدّ انتباه المستمع، لأنَّه إذا لم يتوافق معها من بداية الطرح فإنه لا يقبل نتائجها ،على أن النتائج في **كليلة و دمنة** أمر مفروغ منه ، على اعتبار موافقتها للمنطق و للأخلاق التي هي موضع إجماع العامة و الخاصة.

4-سعي المتكلم إلى تحقيق**"مبدأ التعاون"** أثناء الخطاب ، كي لا يصبح الحجاج فرضا وإلزاما على المستمع؛ بل يترك المجال بين الأخذ والردّ في الحواريمكّن عقل المستمع من الاندماج في الموضوع ، وإعمال الفكر للاستنتاج والاستنباط ، وفي **كليلة ودمنة** فإنَّ الخطاب انبنى وفق هذا المبدأ ، فالملك يسأل و يعيّن الموضوع الذي يجب أن يتكلم فيه الفيلسوف **بيدبا** ، إلى الحد الذي يمكن القول فيه أنه المنتج لفصول الكتاب

---

(6) أرسطو طاليس ، الخطابة ، تح : عبد الرحمن بدوي ، وكالة المطبوعات الكويت ، دار القلم بيروت ، دط ، 1997، ص 10.
(7) محمد الولي ، من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات، مجلة نقد و فكر ،ع 8 ، دار النشر المغربية ، 1998، ص 124.

أو أبوابه،يقول بيدبا :« **و قد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور ،وشرحت لك جواب ما سألتني عنه** »[1].

5-اعتماد المتكلم المحاجج لغة طبيعية،مع حسن تأديتها بعيدا عن الانفعال والتكلف،غايتها استمالة مشاعر المستمع من خلال مخاطبة وجدانه وعواطفه .

6-ولأنَّ **كليلة ودمنة** خطاب شفاهي فلا يصعب تخيل كيفية استعمل المتكلم المحاجج **بيدبا** لإشارات وحركات محددة ومنتقاة أثناء التخاطب؛والتي من شأنها أن تؤدي وظائف إفهامية وتأثيرية في الملك **دبشليم** إلى جانب ما تؤديه الألفاظ والعبارات من دلالة، ومن هذه الإشارات (حركات الرأس ، والحاجبين ، واتجاه النظر...) ،وأما باعتبار **كليلة ودمنة** نصا مكتوبا فإنَّ مفردات اللغة ودلالتها تقوم مقام الإشارات والحركات .

7-إبراز المتكلم المحاجج **بيدبا** لمدى اقتناعه بصحة ما يقصد من نتائج وظهور ذلك في واقعه العملي والملموس، فكما أنَّ للحيوانات مملكات هي أشبه بعالم الإنسان،وما يقع على الحيوان يقع على الإنسان،فالملك **دبشليم** لا يستطيع إنكار ما احتوته من حقائق تخص تنظيم أفراد المجتمع و ضمان حقوقهم و صيانة كرامتهم ، فهذه القيم الذي عمد **بيدبا** إلى ترسيخها و تقديم الحجج التي تثبتها هي قيم راسخة منذ الأزل،و قد انتهكها الملك **دبشليم** ، فالظلم واقع إذن ، و كذلك نتائجه وخيمة على أبناء الوطن .

2-الوسائل المنطقية :

2-1-التدعيم(الدعامة):«وهو كل ما يقدمه المحاجج من الأدلة المنطقية، أوالشواهد الخاصة والإحصاءات..إلخ »[1]إلى المستمع ليزيد من إقناعه وتصديقه بصحة النتائج ،وقد يكون هذا التدعيم من خلال:

2-1-1 - التدعيم بالدليل : وهو إضافة مادة مدعمة لدعوى الحجاج بإحدى الطرق الآتية :

أ-الأدلة التاريخية:تتمثل في توظيف حادثة تاريخية ،لا يختلف حولها المحاجج والمستمع ، فيدرجها المحاجج دليلا على صحة دعواه ،وفي **كليلة ودمنة** استقى الفيلسوف **بيدبا** حجته للتأثير على الملك **دبشليم** من تاريخ أجداده، الذي لا يتنازع اثنان حول ما عرف عنهم بالصلاح وحسن السيرة مع الرعية،يقول:« **أيها الملك،إنَّك في منازل أبائك و أجدادك من الجبابرة،الذين أسسوا الملك قبلك،وشيدوه دونك،وبنوا القلاع و الحصون،ومهدوا البلاد،وقادوا الجيوش،و استجاشوا العدة ،وطالت لهم المدة،واستكثروا من السلاح و الكراع، و عاشوا الدهور في الغبطة و السرور،فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذكر،ولا قطعهم عن اغتنام الشكر و استعمال الإحسان إلى من خولوه،والرفق بمن ولوه،وحسن السيرة فيما تقلدوه،مع عظم ما كانوا فيه من غرة الملك، وسكرة الاقتدار** »[2].

---

(1) كليلة و دمنة ، ص 335 .

(1) محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، دراسة في وسائل الإقناع ، ص 44 .

(2) كليلة و دمنة ، ص25 ، 26 .

فقد عمد **بيدبا** لبيان صحة دعواه إلى الاستشهاد بتاريخ الملوك الذين سبقوا الملك **دبشليم** ، و لذلك يدعوه إلى الاقتداء بهم،يقول :« **الأولى و الأشبه بك أن تسلك سبيل أسلافك،و تتبع آثار الملوك قبلك ، و تقفو محاسن ما أبقوه لك** »(3)،و **بيدبا** من خلال استشهاده بهم واثق بعدم رفض الملك لها .

ب-الشواهد الخاصة :وتكون من محيط طرفي الخطاب الحجاجي، كالوقائع والأخبار والأمثلة والقصص؛ ومن ذلك التوسل **بالحكاية المثلية** كأداة للمحاججة أو كإستراتيجية (4)حجاجية .

وقد عدَّ **ابن وهب** الأمثال وسيلة من وسائل الإبانة و التعبير، يقول:«**...**وأما الأمثال و القصص ، فإنَّ الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون الأمثال،ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر و الأشباه و الأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا،وأقرب مذهبا،ولذلك قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [سورة الإسراء، آية 89]**...**و إنَّما فعلت العلماء ذلك لأنَّ الخبر في نفسه إذا كان ممكنا فهو يحتاج إلى ما يدل على صحته ، و المثل مقرون بالحجة ، و لذلك جعلت القدماء أكثر آدابها و ما دونته من علومها بالأمثال و القصص عن الأمم،ونطقت ببعضه على ألسنة الطير و الوحش،وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة لذكر عواقبها،والمقدمات مضمونة إلى نتائجها »(1)

يبين **ابن وهب** في هذا القول ارتباط الأمثال بالقصص،وغايتها عنده إبراز النظائر و الأشباه،حتى يأخذ المستمع العبرة من ذلك ،كذلك يشير إلى قصص الحيوان،وهو ما يعنينا، و الذي اشتهر به على وجه الخصوص **كليلة ودمنة،**حيث يضرب الكاتب الأمثال على ألسنة الحيوانات والطير، ومن ثم فهذه القصص لم تأت عبثا، وليست غايتها التسلية ؛بل تهدف إلى الوعظ و الإرشاد**.**ويمكننا اعتبار المثل في هذا الكتاب **خبرا حجاجيا توصيليا** ؛لأنَّ التوصيل فعل الاتصال الملح،الذي لا يكتفي بآلية واحدة للوصول؛بل قد تتفرع أوجه تمظهره،فقصة المثل هي الخبر،والمثل كشكل من أشكال الخبر ،والتوصيل مخبر عبره**.**

الخبر، إذن ، في ارتباطه بالمقوم الصيغي يمثل جنسا عاما تندرج تحته كل الأنواع الأخرى ذات الصيغة الإخبارية،إلاَّ أنَّ تداول المفهوم ضمن الثقافة العربية القديمة، وارتباطه بمصنفات بعينها جعله يفقد هذه الدلالة الشمولية كجنس عام،ليتخصص بعض الشيء،ويشتغل في تواز نسبي مع مفاهيم ترادفه،وهي:القصة،الحكاية السيرة ،ومن ثم فقد مبدأ الثبات الكلي الذي يمكن أن تمنحه له الصيغة الإخبارية ليحل محله مفهوم آخر شمل هذه المفاهيم جميعا و يمكن أن يرقى إلى مفهوم"صيغي" وهو " القص " «حيث أصبح يتضمن كل فعل

---

(3) المصدر نفسه ، ص 26 .

(4) الإستراتيجية هي في الأصل لفظة عسكرية ، لكنها اليوم تمتد عبر مجالات معرفية متعددة و متنوعة ، وهي بشكل عام : «فن توزيع مختلف الوسائل و استخدامها ، لتحقيق هدف ، عبر مراحل متدرجة زمنيا » ، أبو الزهراء ، دروس الحجاج الفلسفي ، مجلة الشبكة التربوية الشاملة فيلومرتيل ، 2008 ، ص 12.

(1) أبو الحسن اسحق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، تقديم و تحقيق : حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر ، دت ، دط ، ص 117 ، 119 .

إخباري،سواء كان حكائيا، أو سيريا ، أو غير ذلك وتحت مفهوم"القص" يقع " الخبر "كمفهوم يحيل على الوحدات القصصية البسيطة »(2).

فالسرد هو معنى عام جامع يمكن أن يتضمن كل كلام ذي طبيعة إخبارية ، كذلك يعد الخبر « نوع ثابت ونواة مركزية في كل عمل سردي،وتطوره يجعله يتحول من شكله البسيط إلى شكل مركب،أكثر تعقيدا و تفصيلا، يفقده نسبيا خصوصياته النوعية،ويدفعه بالضرورة إلى الاندماج في نوع آخر،قد يكون " قصة " أو" حكاية "»(3).

إنَّ كتاب **كليلة ودمنة** جاء في صورة تمثيلية ،بمعنى أنَّها تتخذ **المثل** وسيلتها للتوصيل،فهي قصص امتزجت فيها الأخبار بالأمثال، و ذلك لحجّية المثل، و دلالته على صحة الخبر في ذهن المتلقي، و من ذاك :

« قال دمنة :لا تنظر إلى صغري و ضعفي،فإن الأمور ليست بالضعف و لا بالقوة،ولا الصغر و لا الكبر في الجثة،فرُبَّ صغير ضعيف قد بلغ بحيلته و دهائه و رأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء.أوَ لم يبلغك أن غرابا ضعيفا احتال لأسود حتى قتله ؟

قال كليلة : و كيف كان ذلك ؟

مثل الغراب و الأسود الثعبان و ابن آوى

قال دمنة: زعموا أن غرابا كان له وكر في شجرة على جبل،وكان قريبا منه جحر ثعبان أسود،فكان الغراب إذا أفرخ عمَد الأسود إلى فراخه فأكلها.فبلغ ذلك من الغراب فأحزنه ،فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى ،وقال له:أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه،قال:و ما هو ؟

قال الغراب : قد عزمت أن اذهب إلى الأسود إذا نام فأنقر عينيه فأفقأَهما لعليَّ أستريح منه .

قال ابن آوى: بئس الحيلة التي احتلت،فالتمس أمرا تصيب فيه بغيتك من الأسود من غير أن تغرر بنفسك و تخاطر بها ...

قال الغراب : و ما ذاك ؟

قال ابن آوى :تنطلق فتتبصر في طيرانك لعلك تظفر بشيء من حُليّ النساء فتخطَفَه ، و لا تزال طائرا واقعا بحيث لا تفوت العيون ، فإذا رأيت الناس قد تبعوك تأتي جحر الأسود فترمي بالحلي عنده ، فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم ، و أراحوك من الأسود .فانطلق الغراب محلقا في السماء، فوجد امرأة من بنات العظماء على شاطئ نهر تغتسل ، و قد وضعت ثيابها و حليها ناحية ، فانقض و اختطف من حليها عقدا ، و طار به .فتبعه و لم يزل طائرا واقعا بحيث يراه كل أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود فألقى العقد عليه ، و الناس ينظرون إليه .فلما أتوا أخذوا العقد و قتلوا الأسود.

---

(2) سعيد جبار ، الخبر في السرد العربي ، الثوابت و المتغيرات ، شركة المدارس للنشر و التوزيع ،الدار البيضاء ، ط1 ،2004 ، ص 96 .
(3) المرجع نفسه ، ص 97 ، 98 ،101 .

و إنَّما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تجزئ ما لا تجزئ القوة [1]**.**

فالتمثيل في **كليلة ودمنة** قائم على مقصديتين[2] :

1_**الإخبارية** : و ذلك انطلاقا من عناصر الإخبار ، و المتمثلة في :

أ_ الخبر:« إن الأمور ليست بالضعف و لا بالقوة ،ولا الصغر و لا الكبر في الجثة ، فرُبَّ صغير ضعيف قد بلغ بحيلته و دهائه و رأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء »[3]**.**

ب-المُخبر : دمنة .

ج-المخبر إليه: كليلة .

د-المخبر عبره:مثل في صورة قصة متكاملة العناصر ، وهي هنا حُجَّة مصدّقة للخبر .

فلا يخفى علينا ما لهذه العناصر المتوفرة في هذا المثل وفي غيره من كتاب **كليلة ودمنة** من قدرة عالية على خلق تواصل منتج و خلاَّق بين كل من الباث و المتلقي،كذلك لا يخفى على القارئ ما لهذا الأسلوب في الإفهام من تأثير على السامع،وتوجيه موقفه نحو الاقتناع المقرون بالإمتاع، يقول **طه عبد الرحمن:**«وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون...أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب،وتوجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء ، و نفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين »[1]**.**

فضلا عن تحريكه لذاكرة المتلقي وخياله ليستحضر القصة المفترضة للمثل،ولأنَّ **كليلة ودمنة** من كتب النصح السياسي، أو ما يسمى بالآداب السلطانية،فإنَّ طبيعة هذا النصح تتخذ مقصديات شتى تختلف أشكال تمظهرها، و قد تواجدت المقصدية الإخبارية هنا في شكل أمثال ؛ إذ لم يجد القدماء حرجا من توظيفها في السياسة، بغرض النقد والتوجيه دون استعمال للكلام الجارح «**لا يكن يكتم صاحبه نصيحة وإن استقلها،ولم يكن كلامه كلام عنف و قسوة،ولكنَّه كلام رفق و لين،حتى إنه ربما أخبره ببعض عيوبه،ولا يصرّح بحقيقة الحال؛بل يضرب له الأمثال،و يحدثه بعيب غيره فيعرف عيبه،فلا يجد ملكه إلى الغضب سبيلا »**[2]**.**

2-**التوصيلية :** لم ينفرد مصطلح التوصيل بمفهوم خاص يميزه عن المصطلحات التي تشاركه الجذر اللغوي الواحد " وصل " ، و إن لم تخرج كلها عن مفهوم الاتصال و التواصل (Communication).بيد أنَّه مصطلح «يكتنفه بعض الغموض بسبب غناه المعجمي،نظرا لدخوله في علاقة ترادف واشتراك مع مجموعة من

---

(1) كليلة و دمنة ، ص 123 ، 124 ، 125 تجزئ : تغني و تكفي.
(2) أنظر مداخلة الأستاذة هاجر مدقن ، المثل في كتاب كليلة و دمنة بين الإخبارية و التوصيلية ، تقريب تداولي ، أشغال الملتقى الدولي الرابع تحليل الخطاب ،فيفري 2009، تيزي وزو ،الجزائر ، ص 238 .
(3) كليلة و دمنة ، ص123.
(1) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 226 .
(2) كليلة و دمنة ، ص 249 .

المصطلحات التي تشاركه في الدلالة،سواء من حيث الجذر،أو من حيث الحقل الدلالي،وذلك مثل: التواصل، الإيصال،الاتصال، الوصل، الإبلاغ، الإخبار، التخاطب(أو المخاطبة)، التحاور(أو المحاورة)، و هلمَّ جرا »[3].

وعلى كل فإنَّ المقصدية التوصيلية في **كليلة ودمنة** تتوضح من خلال استثمار آليتي المحاورة الخاصتين بالخطاب الحجاجي التداولي في هذا الكتاب، وهما : التشخيص و المقام [4].

ج-الإحصاءات:يلجأ المحاجج ،و على حسب طبيعة موضوع الحجاج ، إلى استعمال النسب المئوية والأرقام للتدليل على دعواه،وعلى الرغم من أهمية هذا الجانب في تقوية الحجاج إلا أنَّه غير وارد في **كليلة ودمنة** إلاَّ ما جاء ضمنا عند الاستشهاد بأقوال العلماء، فالجمع هنا دال على كثرتهم، وذلك كفيل بتقوية الحجج التي نسبها إليهم **بيدبا**، وهو أشبه بما يعرف بالإجماع ،الذي هو أحد أهم مصادر التشريع الإسلامي، فمكارم الأخلاق موضع إجماع و اتفاق العلماء ، أينما كانوا ، و في أي زمن عاشوا .

2-1-2-**التدعيم بالقيمة الحجاجية** :تمثل القيمة الحجاجية الحكم المستفاد من وراء كل حجاج، وترتبط بما يدركه المستمع من هذا الحجاج،أو مما يطلب منه فعله،لذلك فإنَّ وراء كل حجاج قيمة يدركها المتلقي،والتي تنعكس على مستوى قناعاته و معتقداته،ثم على مستوى سلوكه و تصرفاته.

وتتعلق القيمة الحجاجية بمعايير عدة يرتبط بعضها بالمجتمع ؛ إذ تعدُّ « مفهوما يستخرج مما يقوله الناس، و مما يفعلونه، و مما تبنيه المجادلات »[1]، كما تتعلق بمقاصد المحاجج في إظهاره لتلك القيمة أو إخفائها،وسواء أكانت صريحة أم ضمنية داخل الحجاج،فإن المستمع يستنتجها ويستنبطها.لذا يسعى المحاجج إلى اعتماد القيم التي « يكون فيها تمسّك الناس قويا، أو التي تتسم بالشمولية »[2]،لتوصل إلى نتيجة الحجاج،كما تتعلق بشخصية المحاجج و نظرة الناس إليه،ومدى قدرته على إقناعهم و التأثير فيهم بما يتميز به من صفات.

وبالنسبة لكتاب **كليلة ودمنة** فإنَّ أهم القيم الواردة فيه؛بل القيمة المحورية للكتاب هي قيمة تقديس العلم والعلماء ، تبناها الفيلسوف **بيدبا** كأرضية صلبة للحجاج مع الملك،لذلك ما تلبث شخصيات الكتاب الحيوانية والإنسانية أن تعود إلى هذه القيمة كلما لزم الأمر، فقد تكررت عبارات من قبيل: **قالت العلماء...فالعلماء قالوا ... والعلماء كتبوا ...**كقيمة مطلقة على جلّ قصص الكتاب.

---

(3) عمر أوكان ، اللغة و الخطاب ،ص 35 .
(4) وهما فعاليتان تداوليتان تنكشف في ظلهما و من خلال تحليلهما المقصدية من كتاب كليلة ودمنة ، أنظر الفصل الثاني من هذا البحث .

(1) محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 53 .
(2) المرجع نفسه ، ص54 .

إذ لم يحتكر **بيدبا** جهدا إلا ووظفه ضمن إستراتيجيته الاقناعية للملك،من أجل تغيير نهجه في سياسة رعيته، فضمَّنَ مقدمته بمجموعة قيم يتعيَّن على أيّ إنسان في مرتبة الملك الاتصاف بها،ليُشهد له بالرشد،وليستمر حكمه،يقول:« **إني وجدت الأمور التي اختص بها الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء،و هي جُمَاعُ ما في العالم،وهي:الحكمة والعفة والعقل والعدل،والعلم والأدب و الروية،داخلة في باب الحكمة.والحلم والصبر والوقار،داخلة في باب العقل ، والحياء والكرم والصيانة والأنفة، داخلة في باب العفة.والصدق و الإحسان والمراقبة وحسن الخُلُق داخلة في باب العدل.وهذه هي المحاسن،وأضدادها هي المساوئ**»[3].

إنَّ تذكير **بيدبا** للملك بهذه القيم هو من باب أولى محاولة إفهامه أنها قيم مفقودة فيه، وذلك بسبب تجبره و ظلمه ، واعتماد **بيدبا** القيم بالذات لأنَّها « تمثل سندا أساسا لتطوير أي حجاج ،والسير به نحو نتائج مقبولة، إنَّ التذكير بها في حد ذاته يعد حجة»[4] .كذلك أورد **بيدبا** قيما على ألسنة العلماء،يقول:«**وحكي أن أربعة من العلماء ضمهم مجلس ملك فقال لهم: ليتكلم كل منكم بكلام يكون أصلا للأدب.**

فقال أحدهم : أفضل خلَّة العلماء السكوت .

و قال الثاني: إنَّ من أنفع الأشياء للإنسان أن يعرف قدر مترلته من عقله .

و قال الثالث : أنفع الأشياء للإنسان ألا يتكلم بما لا يعنيه .

و قال الرابع: أروح الأمور للإنسان التسليم بالمقادير[1].

هذه القيم و إن ظهرت على أنَّها للعلماء و لغيرهم من الناس، فإنَّ **بيدبا** يقصد بها الملوك بالذات،والدليل على ذلك ما تبع هذا الكلام من استشهاد بأقوال ملوك أكبر البلدان وأعظمها في ذلك الزمان.

يقول : اجتمع في بعض الزمان ملوك الأقاليم:من الصين،والهند ،و فارس ،و الروم ،و قالوا ينبغي أن يتكلم كل منا بكلمة تدون عنه على غابر الدهر .

قال ملك الصين: أنا على ما لم أقل أقدرُ منّي على ردّ ما قلتُ.

قال ملك الهند : عجبتُ لمن يتكلم بالكلمة ، فإن كانت له لم تنفعهُ ، و إن كانت عليه أوبقته.

قال ملك فارس: أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، و إذا لم أتكلم بها ملكتها .

قال ملك الروم: ما ندمت على ما لم أتكلم به قط، و لقد ندمت على ما تكلمت به كثيرا[2].

كذلك فإنَّ القيم التي احتوتها نصوص **كليلة ودمنة** سواء كانت مصرحا بها أو ضمنية هي قيم نابعة من رحم المجتمع ، نلمس فيها غاية الحجاج ، ورغبة المحاجج في ترسيخها ، و حرصه على الدعوة إلى الالتزام

---

(3) كليلة ودمنة ، ص 22، 23 .

(4) P ,Breton ,L argumentation dans la communication ; 3edition , p51.

(1) كليلة و دمنة ، ص 23، 24 .

(2) المصدر نفسه ، ص 24 .

بها**.**وقد تتدخل بعض العوامل المتعلقة بالمحاجج- نفسه -في إبراز القيمة الحجاجية،من ذلك ما يتصف به وما يميزه عن غيره من الناس،و الرسالة التي يؤديها في الحياة تبرز غايته من الحجاج ،وتفصل بين مصلحة عامة وأخرى خاصة نفعية ، و الفيلسوف **بيدبا** كما هو على لسان الملك **دبشليم:** « **من أفضل أهل زمانه ...الحكيم الفاضل ... حكيم الهند و فيلسوفها** »[3]،كما أنّه بشهادة تلاميذه«**الفيلسوف الفاضل،والحكيم العادل،أنت المقدم فينا،و الفاضل علينا،و ما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك،وفهمنا عند فهمك ؟**»[4]**.**

فمعروف منذ الأزل أنَّ العلماء والفلاسفة لا يلهثون وراء حطام الدنيا،ولكي تؤتي النصيحة ثمارها،و يستقيم مسارها يتعين التأكد من صدقها،وألاَّ يشوبها شيء من الملق،أو يكون للناصح فيها منفعة شخصية، أو هدف يتعارض مع هدف النصيحة الأساسي،ولذلك فإن سلامة نية الفيلسوف **بيدبا** تجاه الملك **دبشليم** تعدُّ مطلبا أساسيا لنجاح النصيحة،وتأثيرها فيه،وخليق بالملك أن يكون له من نفسه ناصح،بحيث يزن النصيحة بميزان عقله، ويغربلها على ضوء إخضاعها للمفاضلة العقلية حتى تستبين له حيثياتها، وتتكشف له حدودها وقيودها، ومن ثمَّ يتأكد من صحتها طبقاً لما ينتج منها من دلائل تنسجم مع قناعاته .

2-1-3-**التدعيم بالمصداقية** :و تمثل قدرة المحاجج على الالتزام بصدق ما يقصده، و بالنتائج المراد استمالة المستمع إليها،فبمقدار ما يظهر هذا الصدق في الالتزام عند المحاجج بقدر ما يُصدِّق المستمع دعوى الحجاج، و يلمس هذا الصدق في الالتزام من خلال الطريقة التي يعبر بها المحاجج ، إمَّا بطريقة مباشرة يذكر فيها نفسه وحاله في الالتزام بالنتائج التي يقصدها ،ودليل ذلك قول الفيلسوف بيدبا:« **فانظر**،**أيها الملك**،**فيما ألقيت إليك،ولا يثقلن ذلك عليك،فلم أتكلم بهذا ابتغاء غرض تجازيني به،و لا التماس معروف تسوقه إلي،ولكني أتيتك مشفقا عليك**» [1]،و قوله في خاتمة الكتاب:«**وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان الأمور،وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها تزلفا إلى رضاك،و ابتغاء لطاعتك فأبلغتك في ذلك غاية نصحي ...والله تعالى يقضي حقي بحسن النية منك**»[2]؛ إذ يجسد كلامه قيمة صدق المتلقي تجاه الله ، و تجاه نفسه ، و تجاه مخاطبه الملك **دبشليم** ، مما يدفع هذا الأخير إلى تصديق دعواه التي يطرح**.**وإما بطريقة غير مباشرة يستعمل فيها طرفا آخر، ملتزما بالدعوى كدليل وحجة على صحة المقصود ، و ذلك من خلال الشخوص الحيوانية الخيّرة في **كليلة ودمنة** ،والتي لا تنطق إلا حكمة ،كما أنها صادقة تجاه الآخر في أقوالها و أفعالها**.**

2-2-**القياس**(Syllogisme): الذي هو في اللغة التمثيل و التشبيه،وصوره كثيرة نقتصر على ما يتطلبه البحث منها :

---

(3) المصدر نفسه ، ص 21-29-33 .
(4) المصدر نفسه ، ص18 .
(1) كليلة ودمنة ، ص 27 .
(2) المصدر نفسه ، ص335 ، 336 .

2-2-1-القياس المضمر Syllogisme Implicite

وهو قياس ناقص تكون إحدى مقدماته محذوفة (مضمرة) في الظاهر اللفظي، يتم استرجاعها على صعيد المعنى بفضل العقل،لذا يتوجب على المستمع التركيز و الانتباه و اليقظة آن تلقي الخطاب،والقياس المضمر ضرب من القياس ، يبني مقدماته على الاحتمال و الظن، بخلاف القياس المنطقي الذي يقوم على الاستنتاج العلمي الصارم،وعلى مقدمات يقينية و منطقية.ويعد القياس المضمر القياس الأكثر ترددا في الخطاب و في المبادلات الشفوية،مقارنة بالأقيسة الأخرى ، فهو إذن مفهوم خطابي لا منطقي[3].

يتضح أن هذا النوع من القياس يندرج ضمن ما يسمى في التداولية **بمتضمنات القول** (Les implicites) المبنية أساسا على التخمين و الاحتمال ؛ بل و المغالطة في بعض الأحيان،و لكن كفاءة المحاجج واستيعاب المستمع للخطاب كفيلة بأن تجعل الحجج ترقى من رتبة الظن إلى رتبة اليقين، وهذا هو صميم العملية الاستدلالية .وغالبا ما يكون شكل القياس المضمر على النحو الآتي:

مقدمة كـــــبــــرى (محذوفة).

مقدمة صغرى (مذكورة).

نـــتـــيــــجــة (مذكورة).

وفي **كليلة و دمنة** يعدُّ مغزى الحكاية مقدمة كبرى فمرجعها إلى الملك **دبشليم**،وهي مقدمة ضمنية مقدرة بمضمون المقدمة الصغرى والنتيجة معاً،والتي تبدو كأمور حتمية ناتجة عن أحداث و مجريات القصة،كما يظهر دور المقدمة الصغرى جليا،على الرغم من حذف المقدمة الكبرى؛ فالمقدمة الصغرى تمثّل حجة ودليلا على النتيجة المقصودة، مما يجعل المتلقي يشارك بذهنه ويقظته في ربط المقدمات واستخلاص النتائج التي تحيل له ضمنا أنه المقصود من حكايات الكتاب جميعا . و يمكن التمثيل للقياس المضمر من خلال النموذج التالي:

مقدمة كبرى (محذوفة) ←أي من هؤلاء ينتمي الملك دبشليم ؟

مقدمة صغرى (مذكورة)← التدعيم : **مثل السمكات الثلاث** [1]

نتيجـــــــــــة (مذكورة) « **الرجال ثلاثة :حازم و أحزم منه و عاجز،فالحازم من إذا نزل به الأمر لم يدهش له،ولم يذهب قلبه شعاعا،و لم تعي به حيلته و مكيدته،التي يرجو بها المخرج منه،وأحزم من هذا المقدام ذو العدة الذي يعرف الابتلاء قبل وقوعه، فيعظمه إعظاما،ويحتال له حيلة،حتى كأنه قد**

(3) R .Amossy ,L'Argumentation dans le discours , Nathan, 2000. P 118.

(1) طالع الحكاية ، كليلة و دمنة ، ص 130 ، 131.

لزمه ، فيحسم الداء قبل أن يبتلى به،ويدفع الأمر قبل وقوعه،وأمَّا العاجز فهو في تردد و تمن و توان حتى يهلك»[2]**.**

وانطلاقا من المثال السابق فإنَّ المقدمة الكبرى محذوفة أو بالأحرى متضمَّنة في الخطاب أو مقدَّرة بمضمون المقدمة الصغرى والنتيجة معاً،والتدعيم في البنية الحجاجية السابقة يماثل المقدمة الصغرى في القياس الذي يحتاجه المحاجج بوصفه وسيلة تأثيرية منطقية دلالية تربط المنطلق بالنتائج المقصودة ، وعليه فبقدر ما يختار المحاجج **بيدبا** حجَّة بعينها لنتيجة محددة ، بقدر ما تتغيّر هذه النتيجة في ذهن المتلقي الملك **دبشليم** ، ليختار هذا الأخير في أي خانة يصنّف نفسه قياسا على أنَّ أصناف البشر واحد من هؤلاء .

2-2-2-**القياس التمثيلي:**وهو استنتاج نتيجة ما بالنظر إلى نهاية شبيهتها،ويشمل القياس التمثيلي عند علماء العرب التشبيه و الاستعارة ، و لقد أشار **السكاكي** إلى هذا النوع من الأقيسة ، يقول:« و منها التمثيل، وهو تعديد الحكم من جزئي إلى آخر لمشابهة بينهما،وإنَّه أيضا مما لا يفيد اليقين،إلاَّ إذا علم بالقطع أنَّ وجه الشبه هو علم الحكم »[3]،فيما تتناوله الدراسات الغربية الحديثة باعتباره تقنية أساسية من التقنيات الحجاجية .

ويندرج ضمن هذا النوع ما يسمى**"القياس التمثيلي التاريخي"**،ويستعمل كثيرا لاعتماده على أمثلة من الواقع، تثير الانتباه و تكون أكثر تصديقا و إقناعا،ففي **كليلة ودمنة** تقوَّت حجج الفيلسوف **بيدبا** حينما ذكَّر الملك **دبشليم** بدوام حكم آبائه و أجداده؛لأنّه لو لم يكن كذلك لما وصل إليه.

3-الوسائل البلاغية :

لقد أدى الاهتمام بالدرس البلاغي في العصر الحديث إلى إفراز طروحات علمية مغايرة،أدَّت إلى ظهور ما يسمى اليوم بالبلاغة الجديدة ، والتي لاقت نجاحها كما يرى **ايفانوكس** من اعتمادها «على العلاقة اللازمة بين البلاغة ودراسة وسائل الإقناع »[1]،وعلى أية حال« فإننا نعيش لحظة إستراتيجية الإقناع و التركيز على أدوات الحضور»[2]،وفي رحاب هذا التحول أضحى الحجاج مطلبا أساسيا في كل عملية اتصالية تستدعي

---

(2) المصدر نفسه ، ص 129 ، 130.
(3) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص 607 .
(1) عبد الحليم بن عيسى ، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجاً" ، مجلة التراث العربي ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد 102 السنة السادسة والعشرون ، ربيع الثاني 1427 ، نيسان 2006 ، ص 02 .
(2) إيفانوكس، نظريّة اللغة الأدبيّة، ترجمة حامد أبو حمد، ص 177.

الإفهام و الإقناع،وانطلاقا من الدور البالغ الذي تلعبه نظرية الحجاج اعتبر **بيرلمان** البلاغة مطابقة لنظرية الحجاج ،فقد حصر الأولى في الأخيرة[3].

3-1-التشبيه التمثيلي :

إنّ التمثيل حاضر في كل فاعلية فكرية كيفما كانت،ذلك« أنَّ التعقل بواسطة التمثيل هو بناء للفكر في جميع الدرجات،منذ المحاولات المتواضعة للتفكير الطفولي، الذي يستعمل التمثيل استعمالا مفرطا و إلى الأشكال الأكثر سموا من التفكير العلمي... فالتفكير بالصور و المثال و النموذج السابق و الخبرة المكتسبة و إسقاط المألوف على النوازل،و التداعيات القائمة على التشابه و التناظر أسبق لدى الإنسان من التعقل الصارم الذي يحصر موضوعه .و هل يستطيع المرء أن يتخلص من هذه العمليات تكون شخصيته المبكرة و تشحذ ذهنه في كل مراحل نموه ؟ إنَّما يكون كل نمو طارئ على فكر الإنسان مشروطا بدرجة ما بتلك العمليات المبكرة نفسها »[4].

ويطلق الفلاسفة على توسُّل التمثيل كأداة للمحاججة مصطلح **الاستدلال بالمماثلة**،وإن كان الاستدلال عند **أرسطو** يحمل شحنات منطقية صورية،فهو عند البلاغيين العرب القدامى يندرج ضمن مباحثهم البلاغية،وخاصة المعاني والبيان،وبالتالي فهو ليس عندهم عملية عقلية استنباطية محضة؛بل هو أيضا **"عملية خطابية"**،يتم بموجبها اتخاذ علامة مادية أو معنوية ،وجعلها شاهدا و مثالا على شيء أو صفة من صفاته،لذلك قد لا يخرج الاستدلال عندهم من دائرة التشبيه والاستعارة ،وبشكل أعم من دائرة المجاز[5].

كذلك تعرف **المماثلة** على أنَّها«علاقة تناظر بين عناصر أو بنيات تنتمي إلى عوالم مختلفة »[6]، إذ يسقط علاقات مستفادة سابقا على مجال مجهول،أو يبدع علاقات جديدة من منطلق تشابه ما،فالذهن ينظر إلى ما يجري" أمامه "من خلال الأحكام التي تكونت فيه على ضوء الخبرة السابقة،إذ لا وجود لذهن فارغ .

فالتمثيل الحجاجي طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك،حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما،وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبدا،ومن ثمة عُدَّ عاملا أساسا في عملية الإبداع يستعمل في الحجاج،دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصوري حيث لا يطرح معادلة صورية خالصة،و لكنه ينطلق من التجربة بهدف إفهام الفكرة أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة،وذلك بنقلها من مجال إلى مجال مغاير ، جريا على مبدأ الاستعارة...وقلَّما كانت العرب حينما يسوقون خبرا أو قصة مثلا يكنون به عن معنى أو عبارة أو حكمة أو موعظة حسنة قلَّما يضعون النقط على الحروف[1].

---

(3) محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ، مجلة عالم الفكر، م 28، ع 3، يناير — مارس، 2000 ، ص57 .

(4) بناصر البعزاتي ، التحاجج طبيعته و مجالاته ووظائفه ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، سلسلة ندوات و محاضرات ، رقم 134،جامعة محمد الخامس ،الرباط، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط1،2006 ،ص28 .

(5) محمد سالم محمد الأمين ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص36 .

(6) أبو الزهراء ، دروس الحجاج الفلسفي ، ص 39 .

(1) عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير ، ص 97 ، 98 .

وقد فرَّق علماء البلاغة بين التشبيه و التمثيل؛ إذ يكون الوجه في التشبيه حسيا مفردا أو مركبا،من الغرائز أو الطباع العقلية الحقيقية،وهو هنا "تشبيه غير تمثيلي" ، و كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليا مفردا أو مركبا غير حقيقي ومحتاجا في تحصيله إلى تأول هو" تشبيه تمثيلي"،وهذا هو الفرق بين الضربين و إن كان الأول عاما و الثاني خاصا،ولذلك يرى **عبد القاهر الجرجاني** أنَّ «كل تمثيل تشبيه ، و ليس كل تشبيه تمثيل»(2).

فالتمثيل وفق **عبد القاهر الجرجاني** هو ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير حقيقي، من غير نظر إلى إفراد أو تركيب، فتشبيه المعقول بالمحسوس هو أصل التمثيل عنده، وهو الأنسب لحقيقة التمثيل .

أمَّا **السكاكي** فهذا النوع من التشبيه هو ما كان وجه الشبه فيه عقليا و كان مركبا،يقول**:**«و اعلم أن التشبيه من كان وجهه وصفا غير حقيقي،وكان منتزعا من عدة أمور خصَّ باسم التمثيل »(3)، إذ يضيف إلى رأي الجرجاني شرط التركيب، أما عند **الخطيب القزويني** و جمهور البلاغيين فهو ما كان الوجه فيه « وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور »(4)، بصرف النظر عن كونه حسيا أو عقليا .

وأمّا عن بلاغة التمثيل و قيمته و تأثيره في النفوس و فضله في الكلام،يقول **الجرجاني:**«واعلم أنَّ مما اتفق العقلاء عليه أنَّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني،أو برزت هي باختصار في معرضه،ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة،و كسبها منقبة، ورفع عن أقدارها ،وشب من نارها ،وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ،ودعا القلوب إليها،واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة و كلفا،وقسر الطباع على أن تعطيها محبة و شغفا**...**و إن كان وعظا كان أشفى للصدر،وأدعى للفكر،وأبلغ في التنبيه و الزجر،وأجدر بأن يجلي العناية،و يبصر الغاية،و يبرئ العليل،و يشفي الغليل »(5).

وانطلاقا من آراء **عبد القاهر الجرجاني** يمكن رصد النقاط التالية :

1-إنَّ التمثيل ينقلنا من حالة الغموض إلى حالة الوضوح،والغرض هنا أن تكون الحقيقة المراد ذكرها مما يتعذر رؤيته في جلاء،وأن الصورة التي رسمت موازية لها في التكوين هي من خبراتنا اليومية.

2-التدرج في الإدراك من المحسوس إلى المعقول،ومن البساطة إلى التركيب، و في هذا يقول **عبد القاهر الجرجاني:**«ومعلوم أن العلم الأول أتى النفس أولا عن طريق الحواس والطباع،ثم من جهة النظر و الروية،فهو إذن أمس بها رحما ،وأقوى لديها ذمما،وأقدم لها صحبة،وآكد عندها حرمة »(1)،وهذه هي فائدة التمثيل الكبرى .

---

(2) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 95.
(3) السكاكي ، مفتاح العلوم ، ص346 .
(4) الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ،ص 253 .
(5) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ،ص 115، 116 .
(1) المرجع السابق،ص 112.

3-الجمع بين المتنافرين يعطي طرافة و يحدث أنسا وبهجة«إنَّ لتصوير الشبه من الشيء غير جنسه وشكله، والتقاط ذلك له من غير محلته،واجتلابه إليه من الشق البعيد بابا آخر من الظرف و اللطف،ومذهبا من مذاهب الإحسان لا يخفى موضعه من العقل »(2).

4-يرى **الجرجاني**« أنَّ المعنى إذا آتاك ممثلا فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يحوجك إلى طلبه بالفكرة ، وتحريك الخاطر له،والهمة في طلبه،وما كان منه ألطف كان امتناعه عليك أكثر،وإباؤه أظهر،واحتجاجه أشد »(3).

وكثير مما قاله **الجرجاني** ينطبق على معظم ما جاء عند **عبد الله بن المقفع** في كتاب **كليلة و دمنة** ؛ إذ أخرج المعاني المعقولة والأفكار الخفية إلى صور مرئية خليقة بالإقناع و التأثير،وتلك أكمل أوجه التشبيه،وأجدرها بتحقيق الوظيفة الأساسية له .

فالكتاب عبارة عن حكم و معان معقولة، تمثل التجارب الخاصة للمؤلف (وللمترجم أيضا)،وتجاربه من تعامله مع الآخرين،والتجارب الأخرى التي استقاها من آداب الأمم الأخرى،وأكثره تمثيل المعقول بالمحسوس، و من ذلك قوله :« **العلم و الحياء إلفين متآلفين لا يفترقان،من فُقد أحَدهُما لم يوجد الآخر،كالمتصافيين إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه** »(4)، فالعلم و الحياء أمران عقليان متلازمان مثَّل لهما بأمر محسوس ، و هما المتصافيان ، لاستحالة التفرقة بينهما .

ولأنَّ غاية **ابن المقفع** هي التهذيب و التأديب، فقد أطال الفكرة،وبسط الخطاب،وطلب الإسهاب،بقصد الإفهام والتوضيح والبيان،وهو برغم ذلك لم يقع في كلامه على وجه التفنن أو الحلية الأسلوبية،و إنَّما جاء لاقتضاء المقام و المعنى له،فما ترك شيئا مبهما إلاَّ و فسَّره،فجاءت الألفاظ مشاكلة للمعاني،وكذلك المعاني موافقة للألفاظ، مما جعل لتمثيل **ابن المقفع** هذا القدر من التقييم،فهو يخاطب العقل الإنساني،ويهذب السلوك الناشئ عنه .

وكتاب **كليلة ودمنة** غني بالرمز الذي يقف إلى جانب التجسيد،الذي هو إشارة رمزية أخرى يخرج لنا بها الكلام عن دلالته المباشرة .

وأكثر ما في هذا الكتاب معان معقولة شاخصة تتراءى أمام أعيننا،والأمر البديع أنَّ أبطال التمثيل حيوانات مرئية ، تدور بينها حوارات، موعظة، ومحاججة في أمر السلطة و الحاكم ، وما سوى ذلك فطبيعي؛ إذ نعرف أنَّ« الصور و المحسوسات عامة كانت هي الوسيلة الأولى للإدراك،و لم يكن للإنسان طريق إلى المعرفة سواها ...الإنسان في هذه المرحلة كان يعانق الأشياء التي يحسها فقط،ولا يتسع ذهنه إلى شيء غير ما يراه و يحسه،حتى الخرافة كان لا يستوعبها إدراكه ، ثم بعد ذلك ينساب شعاع المعرفة من وراء هذه المحسوسات، و

---

(2) المرجع نفسه ، ص129.
(3) المرجع نفسه ، ص 139.
(4) كليلة و دمنة ، ص 20 .

يشق في إعياء و تباطؤ شديد إلى عقل الإنسان،وبعد زمن متطاول بدأ الإنسان يجرد المعاني و يستخلصها من الأشياء،وبدا الإدراك الذهني وسيلة ثانية من وسائل المعرفة ،وبدأت اللغة المجردة في اثر ذلك،وانتزعت الكلمات من الصور و الأجسام،لتتمخض عن الدلالة الذهنية،وحين تتأمل أكثر كلمات اللغة و تراجع استعمالاتها تجد الدلالة الحسية كامنة هناك»[1].

والمعاني العقلية التي يسعى **ابن المقفع** إلى إيصالها،وإن كانت ثابتة مقطوع بها متيقنة،فإنَّ تمثيلها بالأمور المحسوسة أولى و أحق،لتعطيها مزيدا من الإيضاح فيحصل ثقة بالنفس بها و الاطمئنان إليها ، كما أنَّ هناك فرقا بين المعنى الذي تأخذه من لفظ تسمعه الآذان،والمعنى الذي تأخذه من صورة تراها العيون، كما أنَّ العلم الذي يبنى على الإدراك يكون فيه مزيدا من القوة و التأكيد،و بذلك يجمع **ابن المقفع** بين الإمتاع و الإقناع،يقول **طه عبد الرحمن**:«وقد تزدوج أساليب الإقناع بأساليب الإمتاع فتكون أقدر على التأثير في اعتقاد المخاطب،و توجيه سلوكه لما يهبه هذا الإمتاع من قوة استحضار الأشياء،ونفوذ في إشهادها للمخاطب كأنه يراها رأي العين »[2].

فقد كان تمثيل عالم الإنسان بعالم الحيوان في **كليلة و دمنة** أقوى في النفوس تمكنا و تأثيرا،ذلك أن التمثيل فيه وقع بين آمرين متباعدين،وأكثر ما تبنى عليه الطباع هو أن الشيء إذا تصور ظهوره من مكان مستبعد ازداد شغف النفس، وكثر تعلقها به ،خاصة و أنك ترى بتشبيهه المتباعدين المتباينين مثلين متقاربين،والمؤتلفين مختلفين،ومثله في كتاب **كليلة و دمنة** ؛إذ أن الأصل فيه نقد لما يحصل في مجلس السلطان،والمعلوم أن النقد الموجه لمن هو أعلى شأنا ينبغي أن يتخذ فيه صاحبه الحيطة و الحذر،حتى لا يقع فيما لا تحمد عقباه، فكان التمثيل بعالم الحيوان يلطف من هذا النقد ، و يطبعه بطابع التسلية و الفكاهة .

و تمثيل **ابن المقفع** بصورة عامة يدور في محاور ثلاثة :

الأوَّل-الإيضاح و الإفهام،وهي أولى الخطوات لعملية الإقناع،ذلك أنَّ من أراد إقناع قارئه بمعان معينة جعل تمثيله توضيحا يغري بقبولها و التصديق بها ، يقول **ابن وهب**:«**...**وأمَّا الأمثال و القصص فإنَّ الحكماء و العلماء و الأدباء يرون هذا النوع من القول أنجح مطلبا،وأقرب مذهبا**...**وإنَّما فعلت العلماء ذلك لأنَّ الخبر في نفسه إذا كان ممكنا، فهو يحتاج إلى ما يدل على صحته،والمثل مقرون بالحجة،ولذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالمثال و القصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسنة الطير و الوحش،وإنَّما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها ، والمقدمات مضمونة إلى نتائجها**...**»[3].

---

(1) محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، مكتبة وهبة ، عابدين ،القاهرة ، ط3 ، 1993 ،ص 136.
(2) طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار و تجديد علم الكلام ، ص 226 .
(3) أبو الحسن اسحق بن وهب ، البرهان في وجوه البيان ، ص 117 ، 118 .

ولما كان هدف **ابن المقفع** الإبانة،فقد ارتبطت معانيه بما هو أكثر وضوحا ،وهو التصوير الحسي«فإذا كان مفهوم الشرح و التوضيح يؤدي إلى ضرورة الانتقال من الواضح أو الأقل وضوحا إلى الأوضح،فالطبيعي أن تفضل الصورة التي تنقلنا من الأفكار المجردة إلى الأشياء الحسية، أو توضح المعنويات عن طريق مقارنتها بالحسيات »(1).

الثاني-الترغيب في فضائل الأخلاق مع الخاصة بشكل خاص ، والعامة بشكل عام .

الثالث-التنفير من مساوئ الأخلاق،و ترتبط براعة الإقناع بالقدرة على التحسين و التقبيح؛إذ يؤدي استعمال الصور الحسية إلى ترغيب المتلقي في أمر من الأمور أو تنفيره منه،وقد نجح **ابن المقفع** في ذلك حين ربط معانيه بصور أشد حسنا أو قبحا، كقوله:«**إن صحبة الأخيار تورث الخير،وصحبة الأشرار تورث الشر،كالريح إذا مرَّت بالطيب حملت طيّبا،وإذا مرت بالنَّتن حملت نتنا** »(2)،وكذلك قوله:«**وإنَّما مصاحب العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كمه**»(3)،و«**والمفسد بين الإخوان والأصحاب كالحية التي يربيها الرجل و يطعمها و يمسحها و يكرمها،ثم لا يكون له منها غير اللدغ** »(4)،« ألا ترى أنك إذا شبهت صورة بصورة هي أحسن منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا حسنا يدعو إلى الترغيب فيها،وكذلك إذا شبهتها بصورة شيء أقبح منها كان ذلك مثبتا في النفس خيالا قبيحا يدعو إلى التنفير عنها »(5).

وقد جاء أكثر تمثيل **كليلة و دمنة** في أعقاب المعاني رادفا لها و متأثرا بها، و أشبهه في ذلك البرهان الذي تثبت به الدعوى، و قد جاءت بصيغة صور تمثيلية حسية تولد بعضها من بعض،لأنَّ أغلب تمثيل **ابن المقفع** أتى في شكل صور تمثيلية(قصصية) كبرى، تشتمل على العديد من الصور التمثيلية الجزئية، التي تدور تقريبا ، حول معنى واحد .

---

(1) جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء، ط3،1992،ص 339 .

(2) كليلة و دمنة ، ص 162

(3) المصدر نفسه ، ص 197 .

(4) المصدر نفسه ، ص 160 .

(5) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تقديم و تعليق :أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، دار النهضة ، ج2 ، ط2 ،مصر، دت ، ص 123 .

كما تنوعت ضروب التمثيل في كتاب **كليلة ودمنة** بين: الإفراد و التركيب،التصريح و التلميح ،و التعدد و التنويع .

1-التمثيل من حيث الإفراد و التركيب و التقييد:

قد يأتي المشبه مفردا بينما المشبه به صورة مركبة من جملة من الأوصاف و الأحوال ،ومثله:« **السلطان كالجبل الصعب المرتقى،الذي فيه الثمار الطيبة و الأنهار الجارية و الجواهر النفيسة،وهو مع ذلك معدن السباع و النمور و الذئاب و كل ضار مخوف،فالارتقاء إليه شديد،والمقام فيه أشد**»[1]،فالمشبه مفرد هو السلطان ، والصورة المشبه بها مركبة من عدة تفصيلات جزئية، ساهمت في تفظيع الصورة و تنفيرها ، مما يبعث الحذر لدى الراجي التقرب من السلاطين،بما سيلاقيه من الأذى والضرر منم .

وقد يمثل المركب بالمفرد و مثله :« **فإن الملك عزيز فمن ظفر به فليحسن حفظه و تحصينه ...و هو في خفة زواله و سرعة إقباله و إدباره كالريح** »[2]، فالكاتب في هذه المماثلة « يركز ألوانا و أشكالا وأحوالا كثيرة في كلمة واحدة »[3].

2- التمثيل الصريح :ومثله لا حصر له في كتاب **كليلة ودمنة** :

«**العلم و الحياء إلفين متآلفين لا يفترقان،من فُقد أحَدهُما لم يوجد الآخر، كالمتصافيين إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفسا بالبقاء بعده تأسفا عليه**»[4]،ففي هذا المثل الصريح تتداخل صورة الممثل به بصورة الممثل له ،ووجه الشبه هو الارتباط الوثيق بين الطرفين،والذي يزول بزوال أحدهما ، فأينما حلَّ العلم تبعه الحياء،وقد اختار **ابن المقفع** كلمة(**المتصافيين**) ليدلَّ على ما جمع بين الإلفين تجاوز كل الحدود و المراحل إلى الصفاء و النقاء،فالصَّفي هو أعلى درجات الصداقة و أقواها و أمتنها،وهو ما تؤكده الجملة الشرطية،التي تربط أجزاء الكلام ربطا متلاحقا و ترتب السبب على المسبب،فوجود فعل الشرط يقتضي وجود جوابه،فبانعدام الحياء ينعدم العلم ،ومثله انعدام الصَّفي بانعدام صفيّه، كذلك تكشف هذه المماثلة على حرص **ابن المقفع** الشديد وجوب التحلي بهاتين الخصلتين،اللتين هما من عظيم الأغراض و المقاصد،التي جعلته يلجأ إلى التمثيل لتزيينهما،والترغيب فيهما .

وفي المعنى نفسه ورد «**كالحمامة التي تفرخ الفراخ فتؤخذ و تذبح،ثم لا يمنعها ذلك من أن تعود فتفرخ موضعها وتقيم بمكانها،فتؤخذ الثانية من فراخها فتذبح،حتى تؤخذ هي أيضا فتذبح** »[5]،فمن لا يحرص على ما ينفعه و يترك ما يضره حاله كحال الحمامة التي لا تتعظ من ذبح فراخها حتى تذبح هي،والمعنى الجامع بين الممثل و الممثل له هو ترك الاتعاظ من التجارب السابقة مما يجلب التهلكة .

---

(1) كليلة و دمنة ، ص204 ،205 .
(2) المصدر نفسه ، ص 249 .
(3) محمد أبو موسى ، التصوير البياني ، ص 54.
(4) كليلة و دمنة ، ص 20.
(5) المصدر نفسه ، ص64 .

فالصورتين و إن تشابهتا في المعنى فقد تمايزتا في مدى الإيحاء و التصوير كذلك،إذ الصورة الثانية (الحمامة و ما حدث لها جراء عدم اتعاظها من خسارتها المتوالية) أبلغ في التصوير،وذلك للنهاية المفجعة والخسارة الفادحة،فضلا عن ما في الصورة الثانية من العناد و الإصرار على عدم الاتعاظ من التجارب السابقة على مرارتها ،وقد ورد عن **رسول الله صلى الله عليه و سلم** قوله:« لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين» [1] ،وفي ذلك تحذير منه للمؤمن من الغفلة و تكرار الخطأ ،والحث على التيقظ و استعمال الفطنة .

ومن التمثيل الصريح قوله:«**ولم آمن إن تركت الدنيا و أخذت في النسك أن أضعف عن ذلك،وأكون قد رفضت أعمالا كنت أرجو عائدها،وقد كنت أعملها فانتفع بها في الدنيا،فيكون مثلي في ذلك مثل الكلب الذي مر بنهر و في فيه ضلع ،فرأى ظلها في الماء فأهوى ليأخذها،فأتلف ما كان معه،ولم يجد في الماء شيئا**» [2]، فقد استوفى التمثيل أركانه الثلاثة،وقد جعل لمن يترك الأمر الذي ينتفع منه،رغبة في تحصيل نفع منقطع الرجاء منه ، أو لا تؤمن عاقبته،ومثله في ذلك الكلب الذي طمع في صورة الضلع الذي كان معه في الماء فخسر كل شيء.هذا المثل ساهم في إيضاح ما أبهم من المعاني،فضلا عن تقديمها صورا منفرة أو مرغبة،باستعمال آلية التمثيل التي تضمن استقرار و توكيد المعاني في نفس المتلقي.

3- **التمثيل الضمني:** ذلك أنَّ الشيء« إذا نيل بعد الطلب له،أو الاشتياق إليه،ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى،وبالمزية أولى،فكان موقعه من النفس أجل و ألطف،وكان به أضن و أشغف»[3]، فهذا النوع لا يعبر عنه صراحة ، و إنما يحتاج في الوصول إليه إلى التدبر و إعمال الفكر .

ومن البواعث على استخدام هذا النوع إقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى الممثل له،والرغبة في إخفاء معالم التمثيل ؛ لأنه كلما خفي كان أبلغ في النفس لدقته و لطفه يقول عبد القاهر الجرجاني:« فالاحتفال و الصنعة في التصويرات التي تروق السامعين و تروعهم ،و التخييلات التي تهز الممدوحين و تحركهم ،وتفعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحُذَّاق بالتخطيط و النقش،أو بالنحت و النقر،فكما أن تلك تعجب و تخلب ، و تروق و تؤنق،وتدخل النفس من مشاهدتها حالة غريبة لم تكن قبل رؤيتها،و يغشاها ضرب من الفتنة لا ينكر مكانه ، و لا يخفى شأنه »[4].

ومن أمثلته في **كليلة ودمنة** قول **بيدبا** : «**أرى السفينة لا تجري في البحر إلا بالمَّلاحين لأنَّهم يعدلونها،وإنما تسلك اللُّجة بمدبرها،الذي تفرَّد بإمرتها ،و متى شحنت بالركاب الكثيرين و كثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق** » [5].

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2998) ، كتاب الزهد و الرقائق ،ص1364.
(2) كليلة و دمنة ، ص 85 ،86 .
(3) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 139 .
(4) المرجع نفسه ، ص 342 ، 343 .
(5) كليلة و دمنة ، ص 35 .

فالفيلسوف لما طلب من تلاميذه مساعدته في كتاب طلبه منه الملك في الحكمة والسياسة لينسب إليه،فلم يجد عندهم ما يريده،فرأى استفراغ عقله،وإعمال فكره،واستنقاذ مادته في ذلك الكتاب،فصوَّر حاله و حال تلاميذه و ما ينجزه في الصورة السابقة،و هذا المعنى لم يصرَّح بأداة تمثيل؛وإنما فهم عرضا و ضمنا.

وتكمن البلاغة في هذا النموذج أنَّ المعنى يتأكد و يزداد خصوصية مع تقدم العبارة ، بداية من الصورة التمثيلية:« **أرى السفينة لا تجري إلا بالملاحين** »،فالفيلسوف يرى أن التعاون و التآزر مع تلاميذه،والأخذ برأيهم كالسفينة التي لا تجري إلا بتعاون الملاحين،فكذلك الجماعة لا بُدَّ فيها من أعوان يتآزرون فيما يعود عليها بالصلاح،وقد جاء هذا المعنى في أسلوب القصر (النفي و الاستثناء)،لأنهم شكوا في صحة كلامه فألقى عليهم العبارة بأسلوب القصر و زاد على ذلك التعليل:«**لأنهم يعدلونها**»،ليتعاضد أسلوب القصر مع التعليل لإزالة الشك،ثم زاد المعنى تأكيدا باستعمال أداة القصر (**إنَّما**)حين يقول:«**وإنما تسلك اللجة بمدبرها،الذي تفرَّد بإمرتها**»،و أيضا أسلوب الشرط الذي يربط أجزاء الكلام ربطا وثيقا، يترتب فيه السبب على المسبب حين قال:« **ومتى شحنت بالركاب الكثيرين و كثر ملاحوها لم يؤمن عليها من الغرق**» .

هذه الصورة التمثيلية بما احتوته من تراتبية في غاية البيان زادت المعنى تقريرا في النفس،وكشفت اللبس عن جوانبها الخفية ، كما ساهم تواشج أسلوب القصر بإنما و أسلوب الشرط في إقامة دعوى لا تنكر،وبرهان قاطع على صحة ما يدعو إليه .

ومن **التمثيل الضمني** في **كليلة ودمنة**: « **ليس أحد يصغر أمره إلاَّ و قد يكون عنده بعض الغناء و المنافع على قدره،حتى العود الملقى في الأرض ربما نفع فيأخذه الرجل فيحك به أذنه فيكون عدته عند الحاجة إليه** »(1)، إذ مُثل الأمر الصغير الذي يستهان بنفعه بالعود الملقى على الأرض،الذي ربما نفع عند الحاجة إليه،ولتأكيد كلامه استعان بمؤكد (حتى) التي تفيد «انتهاء الغاية »(2).

وقد عني الكاتب أكثر ما عني بالصداقة،فأجاد فيها و استفاض،إلا أنه يدعو في بعض المواقع من كتاب **كليلة و دمنة** مخاطبه إلى الاحتراس من بعض الأصدقاء،يقول مثلا:« **رُبُّ صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة**

---

(1) كليلة ودمنة ، ص 106.

(2) ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب،شرح و تعليق : عبد اللطيف محمد الخطيب ، السلسلة التراثية 21، الكويت،ط1،2000، 260/2 .

وهي أشد من العداوة الظاهرة،ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل الهائج ثم يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن الفيل فيدوسه و يغلبه »[3]**.**

و قد يجمع بين التمثيلين الصريح و الضمني في صورة واحدة،ومن ذاك :«**إنَّ كثرة الأعوان إذا لم يكونوا مختبرين ربما تكون مضرة على العمل،فإن العمل ليس رجاؤه بكثرة الأعوان،ولكن بصالحي الأعوان،ومثل ذلك مثل الرجل الذي يحمل الحجر الثقيل فيقتل به نفسه و لا يجد له ثمنا،وحامل الياقوت و إن قلَّ يقدر على بيعه بالكثير من المال،والعمل الذي يحتاج فيه إلى الحيل و الخداع لا يقتحمه إلا أفهم الرجال و أذكاهم ،والرجل الذي لا يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القصب و إن كثر»**[1]**.**فالصورة التمثيلية الأولى صريحة استوفت كل أركانها؛ الممثل :كثرة الأعوان الذين لا يرجى نفعهم،والممثل به:الحجر الثقيل الذي يقتل حامله و لا يجد له ثمنا ،الأداة (مثل). ثم اتبعت بتمثيل ضمني في قوله :«**والرجل الذي يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القضب و إن كثر**»،فقد صوَّر عدم حاجة الإنسان لكثرة الأعوان الذين لا فائدة ترجى منهم بالرجل الذي يريد إشعال النار،فما حاجته إلى القضب، و إن كثر،وعنده الجذوع و القضب،فإن كان سريع الاشتعال فإنه كذلك سريع الزوال و الانطفاء .

4-التمثيل المتعدد:

ومثله في **كليلة ودمنة** :« **لا تلتمس تقويم مالا يستقيم فإن الحجر الصلب الذي لا ينقطع لا تجرب عليه السيوف،والعود الذي لا ينحني لا تعمل منه القوس** »[2]،فقد توالت صورتان تمثيليتان لمعنى واحد؛ولكنها لم تصرح بالمعنى ،و إنما فهم التمثيل ضمنا، والمعنى الجامع : قطع الرجاء و الأمل مما لا فائدة منه.

ومثل هذا التمثيل:«**ووجدت صرعة اللين و الرفق أسرع و أشد استئصالا للعدو من صرعة المكابرة و العناد،فإن النار لا تزيد بحدتها وحرّها إذا أصابت الشجرة على أن تحرق ما فوق الأرض منها،والماء بلينه و برده يستأصل ما تحت الأرض منها** »[3]، فانظر إلى التقابل البديع بين الصورتين الممثل بهما،والتي تكشف معنى يقرر بأن صرعة الحيلة أسرع و أشد على العدو من صرعة المكابرة ،ومثل ذلك النار لا تحرق أصول الشجرة و جذورها المتخفية ، بعكس الماء الذي بلينه و برده يستأصلها من جذورها،هذا التقابل أكسب

---

(3) كليلة و دمنة ، ص 268 ، 269 .
(1) كليلة ودمنة ، ص107 .
2) (المصدر نفسه ، ص 156 .
(3) المصدر نفسه ص 246 .

الصورتين إيضاحا بليغا بجمع الشيء إلى ضده ، و عن كونه متعددا فقد انبنت الصورة التمثيلية على عنصر واحد هو الشجرة ،ولكن في حالتين متباينتين :الأولى مع النار،والثانية مع الماء.كما توضح التأكيد بعطف الجملة الأولى على الثانية فقرنت بها،وتأكد أكثر بـــــــ (إنَّ) المقرون بفاء السببية ، مما أقام البينة على صحة ما ادعاه .

5-**التمثيل الملفوف**:ومثله:«**وإنَّ صحبة الأخيار تورث الخير و صحبة الأشرار تورث الشر،كالريح إذا مرت بالطيب حملت طيبا،و إذا مرَّت بالنتن حملت نتنا**»[1]، فقد جاءت الصورتان الممثل لها في إطار المقابلة،فإذا كانت صحبة الأشرار تظهر حسن صحبة الأخيار،فإنَّ صحبة الأخيار تظهر قبح صحبة الأشرار،ومثله الريح إذا مرت بالطيب حملت طيبا،وإذا مرت بالخبيث حملت خبيثا،و البديع في هذه الصورة أن العنصر الذي كون الصورتين الممثل بهما واحد،و لكن في كل صورة له حالة مخالفة لحالة الأخرى، وأما المعنى الجامع بينهما فهو الأثر الناتج عن المخالطة و الاحتكاك.

6-**التمثيل المفروق**:وهو على خلاف النوع السابق ففيه يلحق كل معنى ممثل بالصورة الممثل لها ، فكان كل تشبيه هنا مستقل مفروق عما قبله،ومثله في **كليلة ودمنة** :«**إنَّ من الناس من لا مروءة له ،وهم الذين يفرحون بالقليل، و يرضون بالدون كالكلب الذي يصيب عظما يابسا فيفرح به،وأما أهل الفضل و المروءة فلا يقنعهم القليل،ولا يرضون به دون أن تسمو نفوسهم إلى ما هم أهل له،وهو أيضا لهم أهل؛ كالأسد الذي يفترس الأرنب، فإذا رأى البعير تركها.ألا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه حتى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها و تقنعه منك،وأن الفيل المعترف بفضله و قوته إذا قدم إليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح وجهه و يتملق له**»[2] ؛ إذ شبه المرء عديم المروءة بالكلب يصيب العظم اليابس فيفرح به، و المعنى الجامع هو قلة الهمة و الرضا بالهين الحقير،وشبه الفاضل ذو المروءة بالأسد الذي لا يقنع بالأرنب فتسمو نفسه إلى ما هو أفضل و هنا البعير ، والمعنى الجامع هو علو الهمة و الرغبة في تحصيل معالي الأمور .

وما زاد هذه الصور التمثيلية قوة و تأكيدا للمعنى في نفس المتلقي الاستعارات التمثيلية المردفة في قوله:«**ألا ترى أن الكلب يبصبص بذنبه حتى ترمي له الكسرة من الخبز فيفرح بها و تقنعه منك،وأن الفيل المعترف بفضله و قوته إذا قدم إليه علفه لا يعتلفه حتى يمسح وجهه و يتملق له** ».فهاتان الصورتان ضمنيتان لم يصرح فيهما بأركان التمثيل،فهي صور حسية ضمنية جسَّدت المعنى المعقول،أي حال قليل الهمة الذي يرضى بالقليل مع شدة حاجته على سبيل الاستعارة التمثيلية،وكذلك جسد عالي الهمة الذي لا يرضى بما هو في أمس الحاجة إليه حتى يعظم،وذلك أيضا على سبيل الاستعارة التمثيلية . وأما عن الترابط بين الصور

---

(1) كليلة ودمنة ، ص 162 .
(2) المصدر نفسه ، ص 100.

الصريحة و الصور الضمنية(الاستعارة) فكلاهما يخدمان الغاية نفسها،بحيث تؤكدان المعاني و تزيدان في التنفير، ففي هاته الصور تربية للنفس على العزة و الأنفة و سمو الهمم .

ومن هذا النوع أيضا قوله:«**والمودة بين الصالحين سريع اتصالها بطيء انقطاعها،ومثل ذلك مثل الكوز الذهب بطيء الانكسار سريع الإعادة هين الإصلاح إن أصابه ثلم أو كسر،والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها ، و مثل ذلك مثل الكوز الفخار سريع الانكسار ينكسر من أدنى شيء،ولا وصل له أبدا**»(1)، فالتمثيل، هنا،حاصل بالمقارنة أو المقابلة بين معنيين متضادين؛ صداقة الصالحين بمقابل صداقة الأشرار،ولإدراك التفاوت بين الحالتين كان التمثيل بالضدين خير مآل ، إذ الأمور بضدها تتوضح،فضلا عمَّا يتيحه أسلوب المقابلة من مسحة فنية ساحرة،يستأنس بها السامع فيجتلي المعنى عنده، فإذا ذكر الطرف الأول من المقابلة اشرأبت النفس و استشرفت المعنى النظير و طلبته، فإذا حصلت عليه ازداد تمكنا من النفس.كما أن التوازن الصوتي التي تضفيه له الأثر البالغ فيها.كل ذلك لم يأت اعتباطا ؛وإنما تأكيدا من ابن المقفع بتأثير الصحبة الصالحة على الفرد و من ثمَّ على المجتمع، مما جعله يحبك الصورة،فلا نتحول عنها لما فيها من المتعة و السحر في تأمل معانيها و استجلاء فائدتها .

7- تمثيل الجمع :

7-1- تمثيل واحد بست : و مثله في الكتاب :

«**وكان عندي أنَّه ليس شيء من شهوات الدنيا و لذاتها إلا و هو متحول إلى الأذى و مولّد للحزن،فالدنيا كالماء الملح الذي لا يزداد شاربه شربا إلا ازداد عطشا،وكالعظم الذي يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمي فاه و لا ينال شيئا مما طلب،و كالحدأة التي تظفر بالبَضعة من اللحم فيجتمع عليها الطير فلا تزال تدور و تدأب حتى تعيي و تعجز فإذا تعبت ألقت ما معها،و كالكوز من العسل الذي في أسفله السم الذي يذاق منه حلاوة عاجلة و آخره موت زعاف،و كأحلام النائم التي يفرح بها الإنسان في نومه فإذا استيقظ ذهب الفرح،و كالبرق الذي يضيء يسيرا فيطمع بالنور ثم يذهب بغتة و يرجع الظلام،و كدوددة القز التي تنسج نهارا و ليلا و تهلك وسط نسيجها الذي كلما زادت منه نسجا زاد استحكاما و منعا لها عن الخروج** »(2)،و يصور المؤلف من خلال هذا الحشد المتراكم من التمثيلات هوان أمر الدنيا و حقارتها،وبالرغم من توالي التمثيل بعضه فوق بعض إلا أن

---

(1) كليلة ودمنة ، ص 197.
(2) المصدر نفسه، ص87.

التمثيل لم يفقد بريقه؛بل إن المعنى ازداد كشفا و تقريرا في النفس،فلم يترك ابن المقفع معنى قد ينسحب على الحياة الدنيا إلا أتى به في صورة تمثيلية في غاية التركيب ، ليقدم في النهاية صورة منفرة من الدنيا،ويدفع مخاطبه نحو حقيقتها،فوصل عدد الصور التمثيلية إلى ست صور،نما بعضها من بعض،وقد عطفت بالواو فأضاءت كل صورة معنى خفيا من المعنى العام .

7-2-تمثيل واحد بخمس:

كقول دمنة:«**إنَّ الذين يعملون أعمالهم ليسوا على شيء كالذي يضع الرماد موضعا ينبغي أن يضع فيه الرمل و يستعمل فيه السرجين،والرجل الذي يلبس لباس المرأة،والمرأة التي تلبس لباس الرجل،والضيف الذي يقول أنا رب البيت،والذي ينطق بين الجماعة بما لا يسأل عنه** »[1]،وفي هذا النص خمس صور تمثيلية لمعنى واحد،زادت كل واحدة لسابقتها فضل بيان،فقد مثَّل لمن يقوم بما ليس من عمله بالرجل يضع موضع الرمل رمادا،والرجل يلبس لباس المرأة و ذلك عار و فعل مشين،ومثله المرأة تلبس لباس الرجل،والضيف يستملك الدار إثما و افتراء و هي لغيره،والرجل يتكلم في الجماعة بما لم يسأل عنه،وذلك في التطفل و الفضول .

7-3-تمثيل واحد باثنين:

ومثله:«**على العالم أن يبدأ بنفسه و يؤدبها بعلمه،ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره و نفعه به و حرمان نفسه منه ،ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها،و ليس لها في ذلك شيء من المنفعة،و كدودة القز التي تحكم صنعته و لا تنتفع به** »[2].

وأيضا: «**وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متهما،ولا يقبل من كل أحد حديثا،ولا يتمادى في الخطأ إذا التبس عليه أمره،ولا يلج في شيء،ولا يقدم عليه حتى يتبين له الصواب فيه،و تستوضح له الحقيقة،و لا يكون كالرجل الذي يزيغ عن الطريق فيستمر على الضلال،فلا يزداد في السير جهدا إلا ازداد عن القصد بعدا،وكالرجل الذي تقذى عينه فلا يزال يحكها حتى ربما كان ذلك الحك سببا في ذهابها** » [3]،والمعنى الجامع من هاته الصور: بذل الجهد و العناء مع استمرار الخطأ،ومثله الرجل يحيد عن الطريق الصواب،ويستمر على ذلك فلا يصيبه إلا الجهد و البعد عن القصد ،و التمادي في بذل الجهد في الخطأ مع ما يترتب عليه من نتائج وخيمة،ومثله الرجل يحك عينه حتى نذهب فيعمى .

(1) كليلة ودمنة ، ص 173.
(2) المصدر نفسه ، ص 61 .
(3) المصدر نفسه ، ص 65 .

هكذا يقوم **ابن المقفع** و/أو **بيدبا** بتكثيف الدلالات من خلال إخراج المعنى الواحد في صور متباينة النظم،بحيث يجذب النفس إلى سماعها و تتبُّعها،فيستقر المعنى في عقل القارئ و قلبه معا،وكل ذلك يثبت قدرة ابن المقفع الفائقة في تقريب المعاني العقلية ، من خلال التمثيل المتعدد بما فيه من خواص بلاغية جليلة .

2-3-**الاستعارة** Métaphore

تعدُّ **الاستعارة** المكون الأساس لكل أفكارنا و أحاديثنا العادية منها أو العلمية أو الأدبية،ومن ثمَّ فهي أكثر الأنواع البلاغية حضورا في التعبيرين اللغوي و الفكري«فاللغة بطبيعتها وفي الأصل استعارية ، إذ تؤسس آلية الاستعارة للنشاط اللغوي،وكل قاعدة أو مواضعة لاحقة تولد بقصد تحديد الثراء الاستعاري ، الذي يعرف الإنسان على أنَّه حيوان استعاري رمزي»[1]،وذلك مما يوسع أفق الاستعارة،و يعطيها مساحة رحبة،فتصبح وفق هذا الاعتبار«كل الجمل و العبارات في أي حوار طلق و خطاب اعتيادي استعارية »[2]،ولذلك يصعب الفصل بين التماثلات الحرفية و التماثلات المجازية التي تغذي نشاطاتنا اليومية،وكذلك حواراتنا مع الآخر،إذ«العمليات التمثيلية تبرز بكثرة في المحادثة العادية»[3].

هذا وتعدُّ الاستعارة أسمى المظاهر البلاغية؛بل إنه كثيرا ما يتم إدراج باقي الأشكال المجازية ضمنها على اعتبار أنها«جنس تكون منه جميع الصور البيانية الأخرى أنواعا »[4]،ودليل ذلك أننا نعثر على تعاريف شبه متطابقة لكل الأنواع البلاغية«وأقل هذا الخلط هو الجمع بينها و بين التشبيه،وأكثره عدم التمييز بين الوجوه التي تبنى على المجاورة، و الوجوه التي تنبني على المشابهة » [5]،التي تستطيع أن ترقى إلى مستوى التصوير اللغوي،وإلى مستوى إيصال المعنى .

فللاستعارة قوة توصيل المعنى،والقدرة على اختزال معان و سياقات متعددة في قليل من العبارات،يقول **الجرجاني** :«تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ،حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر،وتجني

---

(1) أمبرتو ايكو، السيميائية و فلسفة اللغة ، ص235 .

(2) سعاد أنقار ، البلاغة و الاستعارة من خلال كتاب (فلسفة البلاغة) ل : إ. إ . ريتشاردز ، مجلة عالم الفكر ، مج 37 ، ع3 ، يناير مارس ، 2009 ،الكويت ، ص 185 .

(3) بناصرر البعزاتي ، الصلة بين التمثيل و الاستنباط ، ضمن كتاب :التحاجج طبيعته و مجالاته ووظائفه، تنسيق : حمو النقاري ، ص 30 .

(4) أمبرتو ايكو، السيميائية و فلسفة اللغة ، ص 234 .

(5) عمر أوكان ، اللغة و الخطاب ، ص 126 .

من الغصن الواحد أنواعا من الثمر،إذ لا تبرز دائما كزخرفة إضافية أو مصطنعة أو ضربا من التزويق »[6]؛أو ضمن ما أسماه عبد القاهر الجرجاني«الاستعارة غير المفيدة »[7]،التي لا تغدو أن تكون مجرد تلاعب بالألفاظ،فقد نظر إليها كنشاط لغوي خالص.

أمَّا عن حجاجية الاستعارة فإنها تدخل ضمن الوسائل اللغوية التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، و بقصد تحقيق أهدافه الحجاجية، و الاستعارة الحجاجية هي النوع الأكثر ارتباطا بمقاصد المتكلمين،وبسياقاتهم التخاطبية،و التواصلية أما الاستعارة غير الحجاجية أو البديعية« فإنها تكون مقصودة لذاتها،ولا ترتبط بالمتكلمين و بمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية، و إنَّما نجد هذا النوع من الاستعارة عند بعض الأدباء و الفنانين الذين يهدفون من ورائه إلى إظهار تمكنهم من اللغة، فالسياق هنا سياق الزخرف اللفظي و التفنن الأسلوبي، و ليس سياق التواصل و التخاطب»[1].

وأمَّا المفيد منها يوظف في كثير من الأحيان في خدمة الإستراتيجية الخطابية،إذ يمكننا أن نعد الاستعارة براديغما حجاجيا« فالاستعارة في اللغة الشعرية هي بمثابة النموذج في اللغة العلمية المرتبطة بالواقع »[2]؛إذ تعد_الاستعارة الحية[3]_ فعالية حجاجية للغة و الفكر معا؛ إذ تدفع بالتجربة المعيشة إلى اللغة .

وتشتغل الاستعارة حجاجيا من خلال عملية الاستبدال بوصفها حركة براديغمية يتم من خلالها بيان قضية بتشبيهها و نقلها إلى فضاء مجازي،وبالتالي تنمحي الحالة التي يكون المتكلم قاصرا عن أداء مقصده محيلا بذلك إلى مكان تنبئي يستشرف فيه مقاصده،وإلى حين تحققها يكون قد أقنع و أفهم،وبهذا فإنَّه « في كل استعارة يوجد مبدأ استبدال »[4].

إنَّ موقع الاستعارة في الخطاب الأدبي ضروري من أجل الفهم،ودليل ذلك أنه إذا تخلصنا من مضمون الاستعارة أو استبدلناه بمفهوم فإننا نصطدم بحالة ابتذال أو سوء فهم أو ضمور لمسار الفكرة و تلاشيها،فالاستعارة بوصفها تمثيلا مركبا من تخييل و تصوير هي شكل خطابي يدفع بالحجة إلى مستوى لا يتحدد معه ميزان لمعرفة قيم الحقيقة فيقع البرهان ، هذا لا يعني أن الاستعارة مفرغة من بعدها المنطقي،وإنما هي انزياح،فلا تنضبط بقياس،ولا تستقيم بتعد،ولا تميل إلى استدلال صريح،فلا ضامن لها و لا هي ضامن لما يستقدم من المعنى؛بل تحضر بذاتها كجزء من منطق اللغة ، بما هي مجال للاطراد و التكرار و الاستبدال و التخييل و التمثيل.

---

(6) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 275 .
(7) المرجع نفسه ، ص 61.
(1) أبو بكر العزاوي ، اللغة و الحجاج ، العمدة في الطبع ، ط1، 2006، ص 109 .
(2) عمارة ناصر ، الفلسفة و البلاغة ، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت منشورات الاختلاف،الجزائر ، ط1، 2009 ، ص 156 .
(3) و هو اسم كتاب لبول ريكور .
(4) عمارة ناصر ، الفلسفة و البلاغة ، ص 157.

والاستعارة باعتبارها تمثيلا فإنَّها تسقط علاقات مستفادة سابقا على مجال مجهول،أو تبدع علاقات جديدة من منطلق تشابه ما وتلعب دورا في الابتكار و التدليل و الحجاج،يقول **بيرلمان** :«التمثيل الذي لا أحد قد نفى دوره في الابتكار يقدم نمطا أساسيا من الدليل بالنسبة للبعض،في حين ينظر إليه بحذر من طرف آخرين،لكن يبدو أنَّه من المحال جدا الاستغناء عنه كلما تطرق العقل لميدان جديد أو مألوف قليلا»[5]،وفي هذا المعنى يقول **بيرلمان**:«إنَّه في تطوراته يفترق التمثيل باعتبار دوره في الابتكار و باعتبار دوره في البرهنة»[1]،وباعتبار القسم الثاني«يجب الاحتفاظ به في الحدود التي لا يمكن تجاوزها بدون خسران،إذا كنا نرغب في تقوية قناعة ما »[2].

فالحجاج من هذا المنطلق دعوة المرسل إلى تعاقد ضمني مشترك، يتم فيه إنتاج و تبادل وجهات نظر و تعزيزها بأساليب متنوعة،والتمثيل أبرزها،ذلك أن علاقة الحجاج بالبلاغة علاقة تلازمية،فكلَّما كان التمثيل«حجاجا كان برهانه أنور، و سلطانه أقهر، و بيانه أبهر»[3].

ومن ثمَّ فالاستعارة الحجاجية برهان وسلطان وبيان؛ فالبرهان« براديغم شبه استدلالي،يقدم مثالا على فكرة فيرسم لها أفقا هو طريق إلى الاقتناع،واستدخال لعالم ممكن و محتمل،وأما السلطان فقوة الاستعارة في الهيمنة على أفق الانتظار لدى المخاطب...فتكون داعية على فعل مستقبلي هو متحقق بذاته بمقتضى القرار الذي انتهت إليه الاستعارة...إذ ليست مجرد مجاز يحيل إلى فضاء تخييلي في اللغة ؛بل هي عملية استبدال و تحويل داخل الوعي نفسه،أما البيان فسلوك انزياحي للغة من خلال الاستعارة وداخل اللغة نفسها،مقصده الفهم و البيان...ففيه شرح و تفسير و تأويل وفق نموذج الغموض من أجل الوضوح،والالتباس من أجل البيان،واللغز من أجل الحقيقة »[4].

والاستعارة عند **عبد القاهر الجرجاني** فرع من التشبيه، يقول: التشبيه كالأصل في الاستعارة،وهي تشبيه بالفرع له صورة مقتضبة من صوره»[5]، فجُلّ كتب البلاغة تعرف الاستعارة على أنها تشبيه حذف أحد طرفيه،والاختلاف بينهما يكمن في حضور الأداة في التشبيه،وغيابها في الاستعارة .

كما تربط طرفي الاستعارة علاقة تلاحم و تقارب لدرجة أن يصيرا شيئا واحدا،وهو ما يجعل من الاستعارة لدى أرسطو تتربع خانة التطابق،و هذا استجابة فلسفية تؤمن بالوجود المستقل في ذاته لموضوعات العالم ،لتغدو اللغة حينها مرآة تقوم بنسخ موضوعات و أشياء العالم،وتقوم بترجمتها في نسق سيميائي دال[6].

---

(5) Perlman logique et Argumentation, p 134

نقلا عن: بناصرر البعزاتي ، الصلة بين التمثيل و الاستنباط ، ضمن كتاب :التحاجج طبيعته و مجالاته ، تنسيق : حمو النقاري ، ص29.

(1) المرجع السابق ، ص30.

(2) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(3) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص115.

(4) عمارة ناصر ، الفلسفة و البلاغة ، ص 160 .

(5) عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز ، ص 253 .

(6) أحمد يوسف ، السيميائيات الواصفة ، ص 121.

إلاَّ أنَّ هذه الرؤية للاستعارة تم تجاوزها،فبقدر ما تقوم الاستعارة على التشابه، كذلك تبني على التنافر و التباين جراء التفاعل الحاصل بين الطرفين،مما يؤدي إلى وحدتهما فالتوتر الموجود بين المعنيين الحرفي و المجازي كما يرى **بول ريكور** يساهم في خلق تلقائي على صعيد الجملة بأكملها،مما يؤدي لانبثاق دلالات جديدة،وهذا مما يجعل الاستعارة أقرب إلى حل لغز منها إلى المشابهة، فالاستعارات الميتة من طراز « أرجل الكرسي »لا تمثل أي ابتكار دلالي كون الاستجابة للتنافر فيها كبيرة جدا،و يشكل ذلك توسيعا جديدا على مستوى الجملة برمتها [7]، كما تبني على المشابهة الإبداعية أو التصورية،والتي تنتج من خلال تفاعل البشر مع محيطهم،وليس على مجرد المشابهة القبلية،وكلما كانت أطراف الاستعارة أكثر تنافرا و تباعدا كلما كانت الاستعارة أكثر إشراقا و إبداعا .

وفكرة أن الاستعارة تتكون جراء عملية استبدال لفظ حقيقي بلفظ مجازي يجعلها تنحصر في مبدأ الانتقاء والاختيار،فانطلاقا هذا التصور تصبح « الاستعارة تحويل اسم شيء إلى شيء آخر بواسطة القياس »[1]،وقد اقتضى هذا التصور تبئير الاستعارة على كلمة واحدة،و أهمل دور السياق في بناء معناها و استخلاصه[2].

×السياق و تأويل الاستعارة :

كثيرا ما نلفي في دراسات البنيويين عبارات من قبيل« التعابير اللغوية أوعية للدلالات»[3]، فتقتضي بذلك أن يكون للألفاظ و الجمل دلالات مستقلة عن السياق و عن المتكلم . بيد أنَّه تأكَّد أنَّ لفهم الاستعارة لا بد من وضع العوامل الشخصية و السياقية في الحسبان؛ إذ«الاستعارة تتكون من عناصر لغوية وغير لغوية،ولأنَّها تعبير عن تصور ذهني فإنها ترتبط ارتباطا وثيقا بنظام اللغة الأصلية ،و بالتجربة الحياتية المستمدة منها**.**وترتبط الاستعارة أيضا بالنظم الاجتماعية الثقافية،إضافة إلى النظام الأدبي في اللغة الأصلية**.**ويتم تقبل الاستعارة من قبل قارئها في لغتها الأصلية من خلال التقبل الذهني لها، إضافة إلى قدرة هذا القارئ اللغوية والثقافية**...**وتلعب العوامل الشخصية مثل المهارة اللغوية و الأدبية و التجربة الحياتية دورا مهما في تفسير الاستعارة ،إضافة إلى العوامل العامة التي تحكم تقبل المجتمع بأسره لهذه الاستعارة »[4].

---

(7) بتصرف عن : بول ريكور ، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى) ، ص 92 ،93 .

(1) أمبرتو إيكو ، السيميائية و فلسفة اللغة ، ص 243 .

(2) يؤكد ريتشاردز على أن الكلمة المفردة لا تتوفر على معنى في ذاتها ،و إنما هو حاصل تفاعل ما يجاورها من كلمات حاضرة كانت أم غائبة عن السياق ،فقضيتها قضية الرقعة الملونة في لوحة ، و التي لا تكتسب حجما و لا مساحة إلا بعد وضعها في إطار معين . أنظر : آيفور أرمسترونغ ريتشاردز ، فلسفة البلاغة ،تر: سعيد الغانمي و ناصر حلاوي ،إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء، دط،2002 ، ص 5-6 .

(3) لايكوف جورج و مارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها ، تر: عبد المجيد جحفة ، دار توبقال للنشر ، ط2009،2، ص 30 .

(4) عيد بلبع ، الرؤية التداولية للاستعارة ،مجلة علامات 23، المغرب ، سبتمبر 2005، ص102 .

وفي الاستعارة تعمل اللغة على نحو استعاري ينفي عن الكلمات معانيها الحرفية ،ويكسبها معاني سياقية «هذا التوسع في المعنى تحكمه ضوابط لغوية و تداولية لتعيين الدلالة من ورائه،والسياق هو الذي يستبقي المعنى الملائم،و يستبعد ذلك الذي لا يناسب المقام »[5].

كذلك يؤكد **محمد مفتاح** على مركزية السياق التداولي في فهم الاستعارة وتأويلها،وينجم عن ذلك انفتاح الاستعارة على سلسلة من التأويلات و القراءات،التي تتعدد بتعدد السياقات الواردة فيها،وذلك بمراعاة الشروط النفسية،الثقافية ، البيئية ، المقاصد ، و كذا الأهداف،حيث يتم تبلور المعاني جراء حضور الأطراف المتمثلة في المتكلم،المخاطب،ومقام الكلام .و كذا إدماجه لعنصر التناص كون الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية تنبني أساسا على ما يدعى بالسيناريوهات التناصية ؛ أي تواجد نواة معنوية يمكن عدها بمثابة نص سابق ،حيث أنَّ كل استعارة تستدعي الأخرى ، مما يولد الانسجام ،وهنا مكمن الثراء الموسوعي للاستعارة [6].

× قصدية الاستعارة :

سبق و أشرنا إلى أنَّ الإنسان يحيا بالاستعارة كون«اللغة في جوهرها استعارية،أي أنها تغير العلاقات غير المدركة قبلا للأشياء،وتعمل على إدامة هذا الإدراك أو الفهم »[1]،إذ هي جزء لا يتجزأ من نسقنا الفكري العادي، إنها « المبدأ الحاضر في اللغة »[2].ويكمن جوهر الاستعارة لدى **لايكوف** و **جونسون** في أنَّها « تتيح فهم شيء ما (وتجربته أو معاناته) انطلاقا من شيء آخر»[3]، إنها عملية ذهنية تتعدى مجال اللغة إلى مجال الفكر ومن خلالها ندرك العالم من حولنا و نمارس تجاربنا فيه .

ويعد **سيرل** (Searl) من أهم الباحثين الذين اهتموا بدراسة معنى الجملة في حالة فعلها،وقد كانت الاستعارة إحدى الإشكالات التي واجهها،فتوصل إلى تقويض المفهوم السائد عن ازدواجية المعنى في العبارة الواحدة،أي تضمنها المعنى الحرفي و المعنى المجازي،ويرى أن الجملة لا تمتلك إلا معناها فقط،وما الحديث عن معنى استعاري إلاَّ حديثا عن المقصديات الممكنة للمتكلم[4].

---

(5) صابر الحباشة ، صور المعاني بين أوستين و الجرجاني ، مجلة أفق الثقافية ، انظر الرابط : http //ofouq .com بتاريخ : 25 /مارس /2012 سا :16:32 .
(6) أنظر : محمد مفتاح ، تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناص) ، ص25 .
(1) ريتشاردز ، فلسفة البلاغة ، ص 92 .
(2) المرجع نفسه ، ص 93 .
(3) لايكوف ، الاستعارات التي نحيا بها ، ص 23 .
(4) أنظر : سعيد الحنصالي ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، دار توبقال ، دط ، 2005 ص 82.ـــ

و يميّز **سيرل** بين معنيين ؛ الأول **معنى تلفظ المتكلم**، و الثاني هو **معنى الجملة**،حيث « يكون المعنى الاستعاري دائما هو معنى تلفظ المتكلم**...**ففي حالة المنطوق الحرفي هناك تطابقا بين معنى المتكلم ومعنى الجملة،بينما في حالة المنطوق الاستعاري يكون هناك اختلاف بين معنى المتكلم و معنى الجملة »(5)**.**

ويولي **سيرل** التمييز بين المعنى الحرفي و معنى المتكلم أهمية في دراسة المنطوق الاستعاري،وتعد مشكلة الاستعارة عنده جزءً من مشكلة لغوية عامة،هي تفسير الكيفية التي ينعزل فيها معنى المتكلم عن معنى الجملة أو الكلمة،أو بعبارة أخرى**:**كيف تقول شيئا و تعني شيئا آخر(6)**.**

ولذلك اعتمد على المعنى الحرفي بشكل أساسي في التوصل إلى المعنى الاستعاري ، فرأى أنّه في حال مطابقة المعنى الحرفي للجملة لمقصد المتكلم فإنَّ المنطوق نفسه يعد منطوقا حرفيا؛ أي غير محمل بمقاصد وراء التركيب النحوي**.**

وفي المقابل عقب **جيري مورجان** (J.Morgan) على اهتمام **سيرل** بالمعنى الحرفي، بوصفه الموصل الوحيد للمعنى الاستعاري ، و قد انطلق مورجان من النظرية التي ترفض وجود صيغ محددة لشرح الاستعارة و تفسيرها، والتي تنفي أيضا إمكانية استبدال التعبيرات الاستعارية بتعبيرات حرفية مساوية،وتبنى هذه الرؤية على أن التفسير الحرفي للاستعارة يفقدها الكثير من المعاني ، ذلك « أن معنى الاستعارة يقفز إلى الذهن بشكل فوري نتيجة لعمل الحدس »(1)**.**

فمن الخطأ الاستدلال على المعنى المجازي الاستعاري من المعنى الحرفي للجملة الاستعارية ،مشيرا أنَّ ثمة عناصر تداولية تتدخل في عملية التأويل، و أنَّ هذا التأويل يتم بوسائل كثيرة، و هو هنا لا ينفي أن تكون الوسيلة اللغوية هي الحاملة للدلالة الثانية **.**

ويضيف **مورجان** بعدا تداوليا آخر في دراسته للاستعارة،وذلك آن تمييزه بين المألوف منها و المستحدث، فالأولى لم تعد بحاجة إلى التتبع الاستدلالي بتعبير **سيرل**، بيد أنَّ الاستعارة الحية تختلف عنها من المنظور التداولي بشكل واضح ، فالمتلقي يتقبل الاستعارة الحية لاحتفاظها ببعدها المجازي ، و لاحتفاظها بطرافتها و جدمّا **.**

وعلى بالرغم من جهود **سيرل** إلا أن معالجته للاستعارة تبقى قاصرة لأسباب عدة (2)،على أنَّها ارتبطت عنده بمعنى المتكلم،وليس بمعنى الجملة،ويلخص **إيكو** ما يراه **سيرل** بقوله**:**«إنَّ الطبيعة الاستعارية للملفوظ ما

---

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) أحمد صبرة ، التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية ، دار الصديقان للنشر و الإعلان ، الإسكندرية ، دط، 1998،ص 65 ، نقلا عن : عيد بلبع ، الرؤية التداولية للاستعارة ، ص99 .

(1) يوسف أبو العدوس ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، منشورات الأهلية ، عمان ، الأردن ، 1997 ، ص 115.

(2) أنظر : سعيد الحنصالي ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، ص 83 ،84 .

تعود إلى قصدية المؤلف و اختياره،وليس إلى أسباب داخلية للبنية الموسوعية »[3]،إلاَّ أنه لا يوافقه؛إذ لا يعني هذا أنَّ قصدية المتكلم ستكون حاسمة في التعرف على الطابع الاستعاري لملفوظ ما [4].

و ينبثق التأويل الاستعاري في تصور **إيكو** من التفاعل بين المؤول و النص،وهذا التأويل تفرضه طبيعة النص كما يفرضه الإطار العام للمعارف الموسوعية لثقافة ما،وفي جميع الحالات فإنَّ النتيجة لا علاقة لها بقصدية المتكلم**...**فالنظر إلى أي ملفوظ نظرة استعارية يقتضي أن تسعفه في ذلك الموسوعة**...**وإنَّ معيار مشروعية (التأويل) لا يمكن أن يأتي إلا من السياق العام المتضمن للملفوظ [5].

×مقبولية الاستعارة

لمعرفة مدى نجاح الاستعارة تداوليا فإنَّها تقاس بدرجة تقبل المتلقي لها«فالوسائل البلاغية تشتغل وفق تراتبية تنتظمها،والذي جعلها على تلك الشاكلة هو القصد الذي تعمد إلى إحداثه في المتقبل،فكلَّما كان استحصال المعنى أوفر ،وإثباته أيقن كانت الوسيلة البلاغية أرفع مرتبة**.**فالوسائل البلاغية _التشبيه و الاستعارة _تقاس بدرجة التأثير الذي تحدثه في نفس المتقبل،وهو تأثير**...**زئبقي لا ينصاع لمعيار »[6].

كما تتحدد مقبوليتها بمدى خضوعها لقواعد المحادثة التي تعرف بمبادئ **غرايس،** فالنشاط الاستعاري يتلخص في اختراق القواعد الأربعة وهي انتهاك« قاعدة النوع (ليكن إسهامك في الحديث صادقا)،وقاعدة الكم (ليكن إسهامك في الحديث إخباريا أكثر ما يمكن و بحسب ما تتطلبه وضعية المحادثة)،وقاعدة الطريقة (كن واضحا)،وقاعدة المناسبة (ليكن إسهامك مناسبا لموضوع المحادثة) »[1].

×مبدأ النوع أو الكيف: إنَّ استعمال الاستعارة ليس معناه الكذب[2]،وإلاَّ لما يكلف المتكلم نفسه عناء البحث عن بناءات استعارية داخل اللغة إن كانت مقاصده واضحة و كانت بنيته التصورية تقوم أساسا على الاستعارة ، وأن الطابع الابتكاري للغة يأتي من تلقاء نفسه دون وعي بذلك [3].

ويرى **لايكوف** و **جونسون** أنه لا يوجد صدق موضوعي مطلق و غير مشروط،وإنَّما «الصدق دائما يبنى بالنظر إلى نسق تصوري ثم تحديد جزء كبير منه من خلال الاستعارة»[4]،إذ يمكن للاستعارات أن تتضمن حقائق تتعدى نطاق التعابير الحرفية ، فليس بالضرورة يظهر المتكلم عكس ما يخفي،ولا يقتصر غرضه فقط على تقديم معلومات ملتبسة للمتلقي[5]،و إنَّما يمكن للاستعارة أن تكون صادقة تعكس الواقع بإحكام**.**

---

(3) أمبرتو ايكو ، التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، تر: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، بيروت،ط2، 2004، ص 159 .

(4) المرجع نفسه ، ص 160 .

(5) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) صابر الحباشة ، صور المعاني بين أوستين و الجرجاني ، مجلة افق الثقافية انظر الرابط : http //ofouq .com بتاريخ : 25 /مارس /2012 سا :16:32 .

(1) أمبرتو إيكو ، السيميائية و فلسفة اللغة ، ص 238 .

(2) سعيد الحنصالي ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، ص 150 .

(3) المرجع نفسه ، ص 83 ،84 .

(4) المرجع نفسه ، ص 163 .

(5) أمبرتو ايكو ، السيميائية و فلسفة اللغة ، ص238 .

×**مبدأ الكم:**يمكن للاستعارة أن تتوافق مع هذا المبدأ و المساهمة في التخاطب،وبإمكانها أن تكون إخبارية و ليس بالضرورة أن ترتبط بالإيجاز و الاختصار مما لا يتناسب مع وضعية الحوار و المحادثة(6).

×**مبدأ الطريقة أو الأسلوب:**يمكن للاستعارة أن تتضمن إثباتات حرفية أو حقائق حرفية،وبالتالي تستجيب لمبدأ الوضوح،فليس بالضرورة أن من يستعمل استعارة فهو يتكلم بطريقة غامضة ، كما أن هدفها ليس إضفاء نوع من الالتباس و الغموض(7).

×**مبدأ المناسبة أو العلاقة :**يمكن أن ننشئ استعارات بشكل عفوي،ولا أدلَّ على ذلك من الاستعارات الوضعية التي نستعملها بشكل عفوي و تلقائي،و بدون أي قصد،ذلك أن نسقنا التصوري العادي الذي يسير تفكيرنا استعاري بطبيعته،فإنتاج الاستعارات ليس بالضرورة عملية مقصودة

×الاستعارة و التشخيص :

إنَّ القدرة على فهم التجربة عن طريق الاستعارة تعد معنى في حد ذاتها،وهي في ذلك مثل استخدام حاسة الرؤية أو حاسة اللمس في حصول بعض الادراكات، وهذا يعني أننا لا ندرك مظاهر العالم و مكوناته،ولا نباشر التجربة إلاَّ عن طريق بعض الاستعارات؛إذ أنَّها تلعب دورا يوازي من حيث أهميته ذلك الدور الذي تلعبه حواسنا في إدراك العالم و ممارسة تجربته،فالاستعارة من هذه الرؤية«مظهر ثقافي»(8)،وليست مجرد مظهر لغوي صرف .

كذلك فإنَّ من يقرأ كتاب **كليلة و دمنة** يجد أن الاستعارة اكتسحت جلَّ صفحات الكتاب،من حيث كثرتها وكثافتها ودلالتها،فهي" **فعل كلامي حجاجي جامع** "(Macro de langage)،فنص**كليلة و دمنة** نص استعاري بامتياز بالنسبة لواضعه(**بيدبا**)،قصد منه استعارة دلالات جاءت على ألسنة الحيوانات تشبه دلالات و عوالم خاصة بعالم البشر ضمن ما يسمى" **التشخيص** " Perssonalisatio ، فبالاستعارة ترى«الجماد حيا ناطقا،والأعجم فصيحا،والأجسام الخرس مبينة،و المعاني الخفية بادية جلية ...أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل كأنَّها قد جسمت حتى رأتها العيون،وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تنالها إلا الظنون »(1).

نستطيع أن نسمي هذا النوع بـــــــ"**الاستعارة الكبرى**"؛إذ يغذي التشخيص نص **كليلة ودمنة** بأكمله،والتشخيص « مقولة عامة تغطي عددا كبيرا من الاستعارات حيث تنتقي كل منها مظاهر مختلفة لشخص

---

(6) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(7) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(8) لايكوف ، الاستعارات التي نحيا بها ، ص 12 .
(1) عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، ص 43 .

ما أو طرقا مختلفة للنظر إليه،و ما تشترك فيه كل هذه الاستعارات أنّها تسمح لنا بأن نعطي معنى للظواهر في هذا العالم عن طريق ما هو بشري، فنفهمها اعتمادا على محفزاتنا و أهدافنا و أنشطتنا و خصائصنا »[2].

و**التشخيص** لدى بنفنست(Benveniste)خاصية تلفظية،أو هو الإطار التشخيصي للتلفظ لاقتضاء التلفظ كبنية حوارية لصورتين هما مصدر التلفظ و هدفه [3]،وهو نوع من أنواع الحجاج سماه **طه عبد الرحمن** « الحجاج التقويمي »،الذي « يعمد فيه المستدل إلى تجريد ذات ثانية من ذاته يترلها مترلة المعترض على قوله، يستنبط من فعل التلقي لديها كل ردود الفعل المحتمل:استفسارات،واعتراضات،ويستحضر بهذا مختلف الأجوبة عليها و مستكشفا في الوقت نفسه إمكانات نقبلها و اقتناع المخاطب بها »[4]،و**التشخيص** عند **بيرلمان** دراسة لطبيعة العقول تستدعي أحسن السبل لمحاورتها،والإصغاء إليها،و حيازة انسجامها الايجابي(L' adhésion positive)،والتحامها مع الطرح المعروض،وهذه الأمور النفسية و الاجتماعية تفقد بغيابها الحجاج تأثيره و غايته[5].

وعليه فإنَّ الاستعارة خاصية جوهرية في الخطاب،ليس باعتبارها زخرفا لفظيا و بيانيا فحسب؛ بل لكونها «آلية تساهم كباقي الآليات في بناء القول الحجاجي من مختلف النواحي الحجاجية (الاستدلال و التأثير و الإقناع)»[6]، انها فن لغوي تداولي يعطي للقول قوته الدلالية و اصابته النفسية تاثيرا و انفعالا و استحسانا .

3-3- الألوان البديعية :

علم البديع في اصطلاح البلاغيين:«علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة »[1]،كذلك فإنَّ المستعرض لألوان البديع يكتشف ما فيها من حسن وجمال وطرافة و بهجة لقارئها. وإن عرف العرب البديع في أشعارهم و أدوا به أغراضهم، فأثاروا الشعور و أيقظوا الوجدان و هيَّجوا العواطف و ألهبوا النفوس؛ فإن للنثر نصيب منه، وهو ما نلحظه في كتاب **كليلة ودمنة** ؛ إذ يعد من الأساليب المؤدية للمعاني أحسن أداء ، و مما زاده جمالا و طرافة جلالة المعنى أن ورد معظمه في النصائح و الحكم.

---

(2) لايكوف، الاستعارات التي نحيا بها ، ص54 .
(3) حبيب أعراب ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، ص 104 .
(4) طه عبد الرحمن ، اللسان و الميزان ، ص228 .
(5) محمد سالم ولد محمد الأمين ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان و تطوره في البلاغة المعاصرة ، عالم الفكر، الكويت ، ع2 ، يناير ، مارس ، 2000 ،ص44.
(6) عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير، ص112.
(1) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 317 .

ومن أبرز أساليب البديع المستثمرة في **كليلة ودمنة** نجد **المطابقة والجمع** مع **التقسيم والتفريق** و **التوشيع**، وهي أساليب تحمل سامعها طواعية إلى الالتزام بالنصائح و تقبلها.هذه النصائح لم تأت بثوب يدعو إلى الضجر و الملل و النفور،و إنَّما صيغت بأساليب انصهرت فيها الألفاظ مع المعاني،بحيث لم يشعر مستقبلها بشيء من التكلف،وإنَّما سرى الكلام على طبيعته.وما تنوع الطرق التعبيرية تلك إلا لتنوع المضامين و الأغراض،كل ذلك في صور تتناسب و المستوى الفكري و الإدراكي للمتلقي، لكي يكون لها أبلغ الأثر في تقييم أخلاقه،و من ثم تقويمها .

3-3-1-المطابقة أو المقابلة :ومثلها في **كليلة ودمنة** :«**وأعمال السلطان كثيرة،و الذين يحتاج إليهم من العمال والأعوان كثيرون،ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة و العفاف قليل...ثم عليه بعد ذلك إنفاذ من يثق به للكشف عن أعمالهم،و تفقد أمورهم بالسر الخفي حتى لا يخفى عليه إحسان محسن و لا إساءة مسيء،فإن لم يفعل ذلك تهاون المحسن و اجترأ المسيء،و في عُرض ذلك تهلك الرعية و يفسُد الملك** »[2].

فمن الموضوعات التي لم تغفل في **كليلة ودمنة** ما يتعلق بالسلطان و ما عليه من مهام،باعتبار تجسيده لمؤسسة السلطة ومعالجته لجوانبها السياسية و الحقوقية و الإدارية و الدستورية، فبذلك ترقى الأمة ويستقيم حالها، إلا أن الحاكم لا يستطيع إدارة أمور الدولة لوحده؛و إنما يحتاج في ذلك لأعوان تتولى تنفيذ توجيهاته،ونقلها إلى الواقع بتحويلها إلى مشاريع ملموسة. وقد ساهمت المقابلة في إجلاء هذه المعاني و غيرها،وأدائها أكمل أداء؛إذ معنى كهذا لا يستطاع التعبير عنه بوضوح دون اللجوء إلى المتضادات من الألفاظ،والمتقابلات من العبارة ،والتي تضارع التضاد الحاصل في المجتمعات،و ذلك مما أضفى على كلام ابن المقفع جمالا و روعة تجذب السامع /القارئ إليها . وقد جاءت المقابلة لتسلط الضوء على جانب حساس حقيق بالسلطان النظر فيه،يقول:« **عليه ... تفقد أمورهم بالسر الخفي حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء** »،وهو من قبيل مقابلة اثنين باثنين ؛ إذ استدعت كلمة (**إحسان**)كلمة (**إساءة**)،واستدعت كلمة (**محسن**)كلمة (**مسيء**) ، و كذلك في قوله:« **فإن لم يفعل ذلك تهاون المحسن و اجترأ المسيء** »،وهي أيضا من قبيل مقابلة اثنين باثنين ، حيث

استدعت كلمة (**تهاون**) كلمة (**اجترأ**) ، و استدعت كلمة (**المحسن**) كلمة (**المسيء**) .

3-3-2-الجمع مع التقسيم والتفريق: وهو لون بديعي وارد بكثرة في **كليلة ودمنة**،ألا وهو"**الجمع مع التقسيم والتفريق**"،هذه الأنواع الثلاثة إذا «وقعت في الكلام بلغ مبلغا عظيما في حسن التأليف و إعطاء الفصاحة حقها»[1]،والجمع«أن تدخل نوعين فصاعدا في نوع واحد»[2]،**كقوله تعالى:**﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ

---

(2) كليلة و دمنة ، ص 280 ،281 .

(1) يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، مراجعة و ضبط و تدقيق : محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1995 ، ص466 .

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[سورة الكهف، آية 47] ، فقد جمع سبحانه و تعالى المال و البنون في الزينة، وأمَّا **التفريق** فهو في اصطلاح البلاغيين:« إيقاع تباين بين أمرين في نوع واحد من المدح أو غيره »[3].وأمَّا **التقسيم** «ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين »[4]، فقيَّده بالتعيين ليخرجه عن اللف و النشر،يقول:«وهذا يقتضي أن يكون التقسيم أعم من اللف و النشر»[5].وأمَّا **الجمع مع التفريق** فهو«أن تدخل شيئين في معنى واحد،وتفرق بين جهتي الإدخال »[6]،ومثله **قوله تعالى:** ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾[سورة الإسراء ، آية 12] ،فالجمع هنا بين الليل و النهار في حكم،وهو أنَّ كلا منهما آية أو علامة على القدرة و الحكمة ،ولكنَّه فرَّق بينهما في الحكم نفسه ؛ إذ الليل مظلم و النهار مضيء .

ومثله في **كليلة ودمنة**:«**قال(الملك)في نفسه:لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف،وضيَّعت واجب حقه،وحملني على ذلك سرعة الغضب.وقد قالت العلماء:أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك:الغضب،فإنه أجدر الأشياء مقتا،والبخل،فإنَّ صاحبه ليس بمعذور مع يده،والكذب،فإنَّه ليس لأحد أن يجاوره،والعنف في المحاورة ، فإنَّ السفه ليس من شأنها »**[7].

وأمَّا **الجمع مع التقسيم** فهو:« جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه ، أو تقسيمه ثم جمعه »[8].

ومثله في **كليلة ودمنة:**

«**واعلم أنَّ عقل الرجل يستبين في هذه الثماني الخصال:الأولى الرفق و التلطف،و الثانية أن يعرف الرجل نفسه فيحفظها،والثالثة طاعة الملوك و أن يتحرى ما يرضيهم،والرابعة معرفة الرجل موضع سره كيف ينبغي أن يطلع عليه صديقه،والخامسة أن يكون على أبواب الملوك أديبا حيّلا ملق اللسان،والسادسة أن يكون لسره و سر غيره صادقا،والسابعة أن يكون على لسانه قادرا فلا يلفظ من الكلام إلا ما قد تَروَّى فيه وقدَّره فلا يطلع عليه إلاَّ الثقة،والثامنة أن لا يتكلم إذا كان في ما لم يستيقنه،ولم يظهر من الأمر ما يندم عليه . فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي إلى الخير و الربح،والمجتنب الشر و الخسران...وكان أهلا أن يشفع في طلبته و يسعف بحاجته و يعطى سؤله »**[1].

---

(2) صفي الدين الحلي،شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع،تح:نسيب نشاوي،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،دت،دط، ص 166

(3) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 367 ، أنظر أيضا : صفي الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع ، ص 167 .

(4) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 334 .

(5) المرجع نفسه ، ص335 .

(6) صفي الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع ، ص 170 ، و القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص 335 .

(7) كليلة و دمنة ، ص 28 .

(8) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص335 .

(1) كليلة و دمنة ، ص 45 ، 46.

وكذلك:«**وقد قالت العلماء :إنَّ ثلاثة لا يجترئ عليهن أهوج و لا يسلم منهن إلا قليل، وهي صحبة السلطان و ائتمان النساء على الأسرار و شرب السم للتجربة »**[2]. وكذلك:«**و قد قيل في أشياء ليس لها ثبات و لا بقاء:ظل الغمامة في الصيف،وخلة الأشرار،وعشق النساء،والنبأ الكاذب و المال الكثير »**[3]. و«**وللأسرار منازل،منها ما يدخل فيه الرهط،ومنها ما يستعان فيه بالقوم،ومنها ما يدخل فيه الرجلان »**[4]،و «**أربعة أشياء أصفار:النهر الذي ليس فيه ماء،والأرض التي ليس فيها ملك والمرأة التي ليس لها بعل،والجاهل الذي لا يعرف الخير من الشر»**[5].ومثله:«**ويقال:أربعة أشياء لا يستقل قليلها:النار و المرض والعدو و الدين»**[6]،فالجمع«**أربعة أشياء لا يستقل قليلها**»،وفي هذه العبارة غموض و غرابة تستثير الذهن،وتدفع إلى الترقب لما سيأتي من تفصيل:« **النار و المرض و العدو و الدين »**.

أمَّا **الجمع مع التقسيم و التفريق** فهو:« الجمع بين شيئين أو أشياء في حكم واحد،ثم التفريق بينهما في ذلك الحكم،ثم التقسيم بين الشيئين أو الأشياء المفرقة،بأن يضاف إلى كل ما يلائمه و يناسبه»[7].

ومثله:«**قال دمنة : إنما يؤتى السلطان و يفسد أمره من قبل ستة أشياء:الحرمان و الفتنة و الهوى و الفظاظة و الزمان والخرق.فأمَّا الحرمان فأن يحرم من صالحي الأعوان و النصحاء و الساسة من أهل الرأي و النجدة و الأمانة،وأن يكون من حوله فاسدا مانعا من وصول أمور الملك إليه،وأن يحرم هو أهل النصيحة و الصلاح من عنايته و التفاته إليهم.وأمَّا الفتنة فهي تحارب رعيته ووقوع الخلاف و التراع بينهم،أمَّا الهوى فالاغرام بالنساء و الحديث واللهو والشراب والصيد و ما أشبه ذلك،وأمَّا الفظاظة فهي إفراط الشدة حتى يجمع اللسان بالشتم،و اليد بالبطش في غير موضعهما،وأمَّا الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين من الموتان، ونقص الثمرات و الغزوات،و أشباه ذلك،وأمَّا الخُرق فهو أعمال الشدة في موضع اللين،واللين في موضع الشدة »**[8].

ومثل ذلك:«**ومن لا مال له لا عقل له و لا دنيا و لا آخرة له،لأنَّ من نزل به الفقر لا يجد بدا من ترك الحياء،ومن ذهب حياؤه ذهب سروره،ومن ذهب سروره مقت نفسه،ومن مقت نفسه كثر حزنه،ومن كثر حزنه قلَّ عقله و ارتبك في أمره،ومن قلَّ عقله كان أكثر قوله و عمله عليه لا له...ووجدت الفقر رأس كل بلاء و جالبا إلى صاحبه كل مقت و معدن النميمة،ووجدت الرجل إذا افتقر اقمه من كان له مؤتمنا،وأساء به الظن من كان يظن به حسنا ، فإن أذنب غيره كان هو للتهمة موضعا،وليس من خلة هي للغني مدح إلا و هي للفقير ذم،فإن كان شجاعا قيل أهوج،وإن كان جوادا**

---

(2) المصدر نفسه ، ص104.
(3) المصدر نفسه ، ص 209 .
(4) المصدر نفسه ، ص 221 .
(5) المصدر نفسه ، ص 311 .
(6) المصدر نفسه ، ص 246 .
(7) عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية علم البديع ، دار النهضة للطباعة و النشر ، بيروت، دط، 1985، ص 162 .
(8) كليلة ودمنة ، ص 119، 120.

سمي مبذرا،وإن كان حليما سمي ضعيفا،وإن كان وقورا سمي بليدا،وإن كان صموتا سمي عييا،وإن كان لسنا سمي مهذارا »[1]**.**

وقد جاء التوشيع في هذا النص في أثناء الكلام و وسطه، فالجمع تجده في قوله:«**وليس من خلة هي للغني مدح إلا و هي للفقير ذم**»،ولقد كان **ابن المقفع** دقيقا في وصف ألوان المهانات التي يلحقها الفقر بصاحبه،فيكون التقسيم :« **فإن كان شجاعا ...وإن كان جوادا...وإن كان حليما...وإن كان وقورا...وإن كان صموتا...وإن كان لسنا ...**»ثم يرد التفريق فيما يتعلق بكل واحد بما يلحقه:**فالشجاع أهوج،والجواد مبذر،والحليم ضعيف،والوقور بليد،و الصموت عيي،واللّسن مهذار.**

فابن المقفع نظر في الغني و الفقير و جمع بينهما في صفات تكون مدح للغني إلا أنها عيب للفقير في الوقت نفسه،فقد نظر في جملة صفات متفرقة و جمع بينها في أنها إذا كانت مدحا للغني فهي عيب للفقير،وهو بهذا الجمع أدخلها في حكم واحد ثم نظر في هذه الصفات و استقصاها و حللها و فصلها و ميزها ، ثم فرق بينها عندما نظر إليها نظرة أخرى و أحدث بينها تفريقا لتتمايز و تختلف .

وعلى الرغم من دقة **التقسيم** و بلاغة **التفريق** إلاَّ أنَّ المعنى هنا غير مستساغ و غير مطابق للواقع، فالفقير أحق بالغني من المدح،إذ الرضا و القناعة هما جميع الغنى،وهو ما عاد **ابن المقفع** ليؤكده في أكثر من موضع من الكتاب**.** ومن هذا الشاهد يتَّضح لنا أن **التقسيم** و**التفريق** كثيرا ما يتداخلان بشكل يعكس التباين الشديد بين تلك الأقسام، ولا غرو في أنَّ هذا الأسلوب هو الجدير بأداء ذلك المعنى، الذي يتلخص في سوء تقدير الناس لبعضهم، وحكمهم على الإنسان بالنظر إلى مكانته ، و حاله ، وسعة يده من عدمها ، و يحتكمون في ذلك إلى درجة التناقض الكلي**.**

و لا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب فاعلية في التأثير على متلقيه،ومما زاد درجة الفاعلية ما تخلل الكلام من مطابقات بديعة ، وذلك في قوله:« **ووجدت الرجل إذا افتقر أتهمه من كان له مؤتمنا،وأساء به الظن من كان يظن به حسنا**»في المطابقة بين **(أتهمه)**و**(مؤتمنا)** وهو طباق معنوي،وكذلك في قوله:**(أساء به الظن)** وقوله : **(كان يظن به حسنا)** فبهذه المطابقة تميزت المعاني و رسخت في نفوس سامعيها .

3-3-3-التوشيع:« ويقال له التوسيع »[1]،وهو في اصطلاح البلاغيين أن« يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر كما جاء عن **النبي صلى الله عليه وسلم :** يشيب ابن آدم و يشيب فيه خصلتان : الحرص، و طول الأمل »[2]**.**

---

(1) كليلة ودمنة ، ص 205، 206 .

(1) العلوي ، الطراز ،89/3 .

(2) صفي الدين الحلي ، شرح الكافية البديعية ، ص 139 .

ويندرج **التوشيع** عند **العلوي** ضمن الفصاحة المعنوية،وهي القسم الثاني من أقسام البديع،فمنه:« ما يكون راجعا إلى الفصاحة المعنوية،وهذا هو المراد بعلوم المعاني،وهذا نحو التخييل والاستطراد والتفويف والتوشيع »(3).

فلا يخفى علينا ما لهذا الأسلوب من قدرة على اجتذاب سمع المتلقي ، و إبعاد ما قد يسبب الملل و السام لديه؛إذ النفس كثيرا ما تأبى خطاب الحكمة و الإرشاد و تقويم الأخلاق،لذلك نجد **ابن المقفع** قد نوع طرق التعبير في كتاب **كليلة ودمنة** حتى يكسي نصوصه ثوب التجدد و الاختلاف، فتتلقى معانيها بالعقل و السمع و الوجدان ، و هو في كل ذلك يراعي أحوال المخاطب و مستويات إدراكه .

وعن دور **التوشيع** في أداء المعنى يقول القزويني:«وهو ... الإيضاح بعد الإيهام ليرى المعنى في صورتين مختلفتين،أو ليتمكن في النفس فضل تمكن فإن المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال و الإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل و الإيضاح،فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك،فإذا القي كذلك تمكن فيها فضل تمكن و كان شعورها به أتم،أو لتكمل اللذة بالعلم به فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم ،وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول، فيحصل لها بسبب المعلوم لذة،وبسبب حرمانها عن الباقي ألم ، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى، واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم »(4).

وكثيرا ما يتزاحم التوشيع مع الجمع و التقسيم في نصوص **ابن المقفع**،على أن الكلّ يندرج ضمن التوشيع، ومن أمثلة ذلك ما جاء على لسان الجرذ:«**إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين و يتواصلون عليهما و هما:ذات النفس و ذات اليد،فالمتبادلون ذات النفس هم الأصفياء،وأما المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمسون بعضهم الانتفاع ببعض،ومن كان يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا فإنما مثله فيما يبذل و يعطي كمثل الصياد و إلقائه الحب للطير لا يريد بذلك نفع الطير ؛ و إنما يريد نفع نفسه . فتعاطي ذات النفس أفضل من تعاطي ذات اليد** »(5).

ومن التوشيع:«**إنَّ الصديق صديقان:طائع ومضطر،وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة،فأما الطائع فيسترسل إليه،ويؤمن في جميع الأحوال،وأما المضطر ففي بعض الأحوال يسترسل إليه،وفي بعضها يتحذر منه** »(1).

ففي هذه الأمثلة يتضافر **التوشيع** مع **الجمع** و **التقسيم** **التفريق**،فالجمع في«**انَّ أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين و يتواصلون عليهما** »،والتقسيم في«**وهما:ذات النفس وذات اليد** »،ليأتي التفريق:« **فالمتبادلون**

---

(3) العلوي ، الطراز ، 208/3 .

(4) القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة ، ص186 .

(5) المرجع نفسه ، ص 198.

(1) كليلة ودمنة ، ص 267 .

ذات النفس هم الأصفياء،و أمَّا المتبادلون ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمسون بعضهم الانتفاع ببعض » والكل ينضوي ضمن التوشيع ، وكذلك المثال الثاني : الجمع:«**الصديق صديقان**»،والتقسيم:«**طائع و مضطر**»،فالتفريق:«**الطائع فيسترسل إليه ،ويؤمن في جميع الأحوال...المضطر ففي بعض الأحوال يسترسل إليه،وفي بعضها يتحذر منه**».فمع التنامي يزداد التباين بين تلك الأصناف جميعا، وهذا في قمة التصنيف بحيث تدرج المعنى و توالد،مما يزيد سامعه إحساسا بقيمته و إذعانا له و اقتناعا به .

ومن خلال تتبعنا لهذه النماذج نستنتج أنَّ **ابن المقفع** إنّما قدم لنا صفوة تجاربه،فهو لا يزال يعرضها أحسن معرض من خلال استدعائه للقالب التعبيري المناسب لها.فجاءت ألفاظه تابعة لمعانيها،وقد أصبحت المعاني هي الهدف المنشود و الغرض المقصود،ولقد كان الجمع مع التقسيم و التفريق و أيضا التوشيع أنسب الطرق لأدائها،لما قدم من قوة في الأداء ،وتشويق في العرض،وكمال في الإيضاح و التفصيل .

وعلى الرغم من أنَّ « الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها »(2)كما قال **النبي صلى الله عليه و سلم**،ولقوله **عز وجلّ**:﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[سورة البقرة، آية 269]،إلاَّ أنَّنا نشهد نفورا من قبل الإنسان عليها،ولذلك احتيج إلى أسلوب لافت مشوق لعرضها،وهو ما تفطن إليه ابن المقفع،إذ لطالما بدا معانيه بصور مجملة مثيرة مبهمة،ومثل ذلك ما سبق ذكره:«**الصديق صديقان**» أو كقوله :« **أربعة أشياء أصفار** »،ثم يأتي التفصيل و التوضيح :« **طائع و مضطر ...فأمَّا الطائع ...وأمَّا المضطر...**» وفي المثال الثاني :«**النهر الذي ليس فيه ماء،والأرض التي ليس فيها ملك،و المرأة التي ليس لها بعل،والجاهل الذي لا يعرف الخير من الشر**».فمن الأمور ما يحتاج إلى تدقيق و تحليل و استنتاج ،وهذا من شأنه ترسيخ المعنى في النفس،ذلك أن المعنى إذا جاء إجمالا أولا أوقع السامع في حيرة و استعظام ما وقر أذنه،فتتهيأ نفسه و تتشوق لمعرفة تفصيله،فإذا حصل ذلك، كان التفات النفس إليه أشد و أقوى ، ووقع فيها موقعا بليغا ، فيجد محلا من الفهم و الاستيعاب،ومن ثم التقبل و العمل .

4- الوسائل اللغوية :

يقوم الحجاج عند **ديكرو** على اللغة بالأساس، فالحجاج كامن من حيث بنيته في اللغة ذاتها ،كما يدل على ذلك عنوان كتابه الموسوم بـــــــ:الحجاج في اللغة (L'Argumentation dans la langue) ،الذي كتبه بمعية **كلود انسكومبر** (Anscombre).

وقد اشتغل الباحثان بوجه الخصوص على نظرية الأفعال اللغوية،التي وضع أصولها **أوستين**، و أقام بناءها في مرحلة موالية **سيرل** في كتابه"الأفعال اللغوية"(1992)،مبينا أن اللغة ليست نظاما من الأدلة فحسب؛بل هي

---

(2) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط1،1995،151/1.

فعل كلامي ينجزه المتكلم بغية تغيير معين في سلوك مخاطبه ، إن بالفعل أو بالقول ، كما دعا إلى دراسة معنى الأقوال لما تحويه من توجيه،وعلى هذا الأساس جمعت دراسة **ديكرو** و **انسكومبر** بين المكونين: الدلالي والتداولي ،على اعتبار أنهما لا ينفصلان ، و قد اصطلح **ديكرو** على ذلك بالتداولية المندمجة (La pragmatique intégrée) .

كذلك اهتم الباحثان بدراسة وظيفة الفعل اللغوي المحقق في القول، على أساس أنّه الوحدة التكوينية الأصغر والأنسب للدراسة من منظور التداولية،ويرى **طه عبد الرحمن**«أنَّ الوحدات الأولى التي هي الأقل في الخطاب ليست هي"المفردات" ؛إنما هي وحدات حوارية حجاجية ، تتمثل في المركبات التي هي الأقوال »(1).

ولأنَّ الهدف الذي يتوسله المحاجج من أقواله هو توجيه السامع نحو التصديق و الاقتناع؛ارتأى **طه عبد الرحمن** تسمية هذا النوع من الحجاج بـــــــــ"**الحجاج التوجيهي**"،ويعرفه بأنّه « إقامة الدليل على الدعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل،علما بأن التوجيه هنا فعل إيصال المستدل لحجته إلى غيره »(2).

كذلك يؤكد الباحث في هذا المقام على أهمية حضور الفعالية الخطابية،التي أساسها،في نظره،حضور المتكلم وحضور الأدوار و الوظائف الخطابية،والأهم حضور قصدية المتكلم دون السامع،على اعتبار أن هذا الأخير لا يشارك في تكوينها ويعرف الحجاج التوجيهي في موضع آخر فيقول«إنَّ كل حجة موجهة هي دليل يأخذ بالفعالية الخطابية في تعلقها بالمتكلم ،والدليل على تعلق الحجة الموجهة بالمتكلم هو أنّها تعد فعلا قصديا متميزا »(3).

كما بيَّن اللغويان أن الحجاج باللغة يجعل الأقوال تتتابع و تترابط على نحو دقيق،وأنَّ المتكلم يجعل قولا ما إذا أقنع بها المتلقي،ذلك على نحو صريح أو بشكل ضمني،ويرى **ديكرو** أنَّ المتكلم قد يصرح بالنتيجة أو يخفيها،فيستلزم على المتلقي استنتاجها من بنيتها اللغوية.

على هذا النحو يختار المتكلم من الحجج ما يناسب سياق الخطاب،ثم يسوغه في قالب لغوي ملائم لحال السامع ،وهذا تأكيد على حضور وظيفة التفاعل في اللغة ،كما هو تأكيد على أهمية الحجاج في كل خطاب،بما يولده من اقتناع لدى السامع ،كما نستنتج أن نظرية الحجاج في اللغة تنطلق من فكرة" أننا نتكلم عامة بقصد التأثير في الآخرين"، و أنَّ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج .

4-1-الروابط الحجاجية :

(1) طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان ، ص 275 .
(2) المرجع نفسه ، ص227 .
(3) المرجع نفسه ، ص259.

4-1-1-**لكنَّ**:مشددة النون «حرف مشبه بالفعل »[1]،ينصب المبتدأ و يرفع الخبر،ومن معانيها التوكيد ، و« تعطي مع ذلك الاستدراك »[2]، الذي هو « تعقيب الكلام برفع ما يتوهم ثبوته أو نفيه »[3].كما « تنسب لما بعدها حكما مخالفا لحكم ما قبلها ، ولذلك لا بدّ أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها»[4].

ومثله في **كليلة ودمنة** :« **إنَّ ما قلته لكذلك،فإنه يقال لذع النار أيسر على المرء من صحبة الأشرار والإقامة معهم،و لكنَّ العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي يخاف من عدم تحمله الجائحة على نفسه و قومه ،لم يجزع من شدة الصبر عليه لما يرجو من أن يعقبه صبره حسن العاقبة و كثير الخير،فلم يجد لذلك ألما،ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه،حتى يبلغ حاجته فيغتبط** »[5].ومثله أيضا:«**ما أرى إلا الاجتهاد و المجاهدة بالقتال...و لكنَّ ذا الرأي جاعل القتال آخر الحيل،و بادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق و تمحل** »[6]. و كذلك :« **إنَّ السلطان لا يتوخى بكرامته فضلاء من بحضرته ، ولكنَّه يؤثر الأدنى ومن قرب منه** »[7].

4-1-2-**إنَّ** :«حرف مشبه بالفعل يدخل على المبتدأ و الخبر، فينصب الأول و يسمى اسمه ، و يرفع الثاني ويسمى خبره »[8]،والغالب في إنَّ التوكيد؛ أي« توكيد نسبة الخبر للمبتدأ و إزالة الشك عنها أو الإنكار...وهي بمترلة تكرار الجملة »[9]، ومثيلتها في ذلك « أنَّ »[10]. و كثيرا ما ترد **(إنّ)** في الحجاج مقدمـــــا للتدعيم الذي تسبقه - في الغالب- النتيجة ، كما في المثال التالي :

«**فرأيت أن أجود بحياتي،فأكون قد أتيت فيما بيني و بين الحكماء بعدي عذرا،فحملتها على التغرير،أو الظفر بما أريده...فإنَّه يقال في بعض الأمثال: إنَّه لم يبلغ أحد مرتبة إلا بإحدى ثلاث:إما بمشقة تناله في نفسه ، و إما بوضيعة في ماله ، أو وكس في دينه** »[1].

---

(1) إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب و الإملاء ، دار اشريفة ، مطبعة الرهان الرياضي الجزائري ، الجزائر ، دط ، دت ، ص 374 .
(2) ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، 3 / 541 .
(3) ابن هشام الأنصاري ، شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الشركة المتحدة للتوزيع ، القاهرة ، مصر، الطبعة الحادية عشرة ، 1983 ، ص 148.
(4) ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، 3 / 541 .
(5) كليلة و دمنة ، ص242 .
(6) المصدر نفسه ، ص148.
(7) المصدر نفسه، ص 102 .
(8) إميل بديع يعقوب ، معجم الإعراب و الإملاء ، ص 86 .
(9) عباس حسن ، النحو الوافي ،ج1،دار المعارف ،القاهرة ، ط14 ، دت ، ص 631 .
(10) المرجع نفسه ، ص 644 .
(1) كليلة و دمنة ، ص 32.

النتيجة ⟵ **التدعيم بـــ (أن)**

و تمَّ ذلك وفق المخطط الآتي :

« فرأيت أن أجود بحياتي ...**فإنَّه** يقال: لم يبلغ أحد مرتبة إلا بإحدى ثلاث : إما بمشقة تناله في نفسه ..»

نتيجة ⟵ تدعيم

ومثله كذلك:«**وعلى العالم أن يبدأ بنفسه و يؤدبها بعلمه،ولا تكون غايته اقتناءه العلم لمعاونة غيره و نفعه و حرمان نفسه منه...فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه،و يتعهدها برياضتها...فإنَّ خلالا ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتنيها و يقبسها،منها العلم و المال،و منها اتخاذ المعروف** »(2).

وقد تجتمع (**إنَّ**) مع (**إلا**) لزيادة التأكيد، ومثال ذلك قوله :« **إنَّ العاقل ينبغي له أن يعمل بما علم منه لينتفع به...إنَّ العلم لا يتم إلا بالعمل...و إن لم يستعمل ما يعلم فليس يسمى عالما** »(3).

وكذلك:«**إنَّ صحبة السلطان خطرة،وإن صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة،فربما عثر مصاحبه العثرة فلا ينتعش و لا تقال عثرته،و إن لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لي فيه الهلاك ،وبعض المحاسن آفة لصاحبها،فإن الشجرة اللذيذة الثمر ربما كان أذاها في حملها،فلويت أغصانها و هصرت** »(4).

نتيجة 1 ⟵ ≠ ⟶ نتيجة 2

صوحب بالسلامة و الثقة و المودة و حسن الصحبة **ربما** عثر مصاحبه العثرة فلا ينتعش و لا تقال عثرته .

تدعيم: **إنَّ** الشجرة اللذيذة الثمر ربما كان أذاها في حملها ، فلويت أغصانها و هصرت .

---

(2) المصدر نفسه ، ص61 .
(3) المصدر نفسه ، ص 59، 60.
(4) المصدر نفسه ، ص 141.

4-1-3-**القصر**:وهو في الاصطلاح «جعل أحد طرفي النسبة في الكلام سواء كانت اسنادية أو غيرها مخصوصا بالآخر، بحيث لا يتجاوزه إما على الإطلاق أو بالإضافة بطرق معهودة »[1]،ويتم القصر عادة بطرائق متنوعة منها :التقديم أو التأخير، والنفي والاستثناء،والأداة (**إنما**)،والعطف بالأدوات (**لكنّ - لا – بل**) .وفي مجال الحجاج نقتصر على دراسة طريقة النفي والاستثناء ، و علاقتها بتقديم الحجة أو النتيجة ، فللقصر طرفان : مقصور، ومقصور عليه ، واعتماد أداة النفي مع الاستثناء يخصص أحد الطرفين على الآخر،وبذلك يكون القصر في الحجاج بمثابة تقديم التدعيم والنتيجة داخل سلم حجاجي تنازلي ، وفق الشكل الآتي:

أداة النفي   نتيجة   أداة استثناء   تدعيم و حجة

هذا التدعيم المعتمد عن طريق القصر، يأخذ مرتبة البرهان ، الذي لا يرد ولا يدحض ، ويجعل المتلقي محصورا بين هذا التدعيم وتلك النتيجة المقصودة،دون النظر إلى احتمالات أخرى، وبخاصة أنه يرد بعد الاستثناء، فيبرز الجانب التداولي لأداة الاستثناء في القصر داخل سلم الحجاج كونها مقدما للحجج والتدعيمات.

و من الأمثلة الواردة في كتاب كليلة و دمنة قوله :« **و ما عاد وبال البغي إلاَّ على صاحبه** »[2].

فالنتيجة قُدِّمت أولا، ثم قُدِّمت الحجة والدليل لذلك والمتمثل فيصبح شكل الحجاج في هذا المثال على النحو التالي :

ما ⟸ النتيجة ⟶ **إلاَّ** ⟸ التدعيم

أداة نفي   عاد وبال البغي   أداة استثناء   صاحبه

« أرى السفينة **لا** تجري في البحر **إلا** بالملاحين **لأنَّهم** يعدلونها »[3].

نفي   استثناء

نتيجة ⟶ تدعيم

إنَّما المال يطلبه صاحبه و يجمعه في كل وجه لبقاء حاله و صلاح معاشه و دنياه و شرف منزلته[4].

أداة القصر   نتيجة ⟶ تدعيم

« الدنيا كلها بلاء ، و الإنسان **إنما** يتقلب في عذابها من حين يولد إلى أن يستوفي أيام حياته »[5].

---

(1) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1419هـ - 1998م،ص716، 717 .

(2) كليلة و دمنة ، ص67 .

(3) المصدر نفسه ، ص35 .

(4) المصدر نفسه ، ص69.

(5) كليلة ودمنة ، ص88.

نتيجة أداة القصر تدعيم

« **ليس** كل من يدنو من الملوك يدنو لبطنه ، و **إنما** يدنو منهم ليسر الصديق و يكبت العدو »[6].

أداة نفي استثناء

نتيجة ← تدعيم

« **لا** يواظب على باب السلطان **إلا** من يطرح الأنفة ، و يحمل الأذى ، و يكظم الغيظ...»[1].

أداة نفي استثناء

نتيجة ← تدعيم

و مثلها كذلك:« **ليس** غاية التواصل من كل المتواصلين **إلا** طلب عاجل النفع، وبلوغ مأموله »[2].

ويعدُّ القصر واحدا من طرائق بناء سلم الحجاج بشكل تنازلي يقدم النتيجة ثم التدعيم والحجة، ويقصر تلك الحجة على النتيجة،بحيث لا يترك المجال للتفكير عند المتلقي في حجة أخرى،وإنما يجعله يطابق ويلازم تلك الحجة مع هذه النتيجة، فتصبح أداة الاستثناء في القصر بمثابة مقدم للحجج والتدعيمات على نتائج سبقت هذه الأداة.

4-1-4-الاستفهام:قد يضطلع أسلوب الاستفهام بأداء دور تبريري ؛ أي دعم إثبات ما ، لذلك لا يمكن عده استفهاما حقيقيا ،وإنَّما **استفهاما بلاغيا**(intérrogation rhétorique)،ذو أغراض و معاني عديدة منها:الإنكار ، التقرير، التعجب ، التكثير ، التشويق ، التمني ، و ما إلى ذلك .

ويعتمد في الحجاج على الاستفهام لغاية جذب انتباه المتلقي والتأثير فيه ، ليشارك في عملية الاستنتاج والاستنباط ، كما يؤدي الاستفهام دورا أساسا في بناء سلم الحجاج بشكل تنازلي ؛ إذ يعتبر- غالبا - مقدما للحجج والتدعيمات التي سبقتها نتائج حجاجية ، و تمَّ ذلك وفق النموذج الآتي :

النتيجة] الاستفهام \ التدعيم

ومن الأمثلة الواردة عن الاستفهام الحجاجي في **كليلة ودمنة** ما يلي :

- « **يا نفس أما تعرفين نفعك من ضرك ؟** »[3].
- «**ألا تنتهين عن طلب ما لا يناله أحد إلا قلَّ انتفاعه به ، و كثر عناؤه فيه، واشتدَّت المؤونة عليه ، وعظمت المشقة لديه بعد فراقه ؟** »[4].
- « **ألا تستحين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية ؟** »[5].

---

(6) المصدر نفسه،ص 100.
(1) المصدر نفسه، ص103.
(2) المصدر نفسه، ص 267 .
(3) كليلة ودمنة ، ص75.
(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

Ã « **ألم تعلم أنه ليس من الخير و الشر شيء إلا و هو مقدر ؟** »[6].

4-1-5- **الشرط** : تتألف الجملة الشرطية من ثلاثة أجزاء ، على النحو الآتي:

- أداة تؤدي وظيفة الربط و التعليق ، يصطلح عليها " أداة الشرط " .
- ركن معلق عليه يسمى"عبارة الشرط".
- ركن معلق نصطلح عليه "عبارة الجواب"[1].

وتتعلق جملة الجواب بجملة الشرط من حيث الأسباب والنتائج ؛ فجملة الشرط تمثل سببا وعلة للجواب[8]، وتؤدي أداة الشرط دورا بارزا في ربط الجملتين (الشرط والجواب) ربطا دلاليا ومنطقيا ؛ إذ تقدم الحجة والتدعيم للوصول إلى النتيجة والجزاء. ويمكن مقابلة جملة الشرط بمكونات الحجاج ، واعتبار هذه الجملة ذات بنية وبعد حجاجي ، وهذا اعتمادا على أداة الشرط وما تؤديه من دور دلالي في ذلك ، وبالنظر إلى الجانب التداولي لها حين استعمالها في الحجاج ، فقد تكون مقدما لحجج أو لنتائج ، أو قد تكون احتياطا وتحفظا على نتيجة حجاجية. وسنتعرض في هذا الجانب إلى دراسة أدوات الشرط الآتية :**متى** ، **أمَّا** ،**لو**.

4-1-5-1- **متى**: و من أمثلة ذلك حديث الفيلسوف **بيدبا** عن أربعة أشياء اختص بها الإنسان عن الحيوان ، و هي جماع ما في العالم : الحكمة و العقل و العفة و العدل[2].

فمتى كملت هذه في واحد لم يخرجه النقص في نعمته إلى سوء الحظ من دنياه [3] .

نتيجة

فمتى كملت هذه في واحد لم يتأسَّف على ما لم يعن التوفيق ببقائه [4].

نتيجة

فمتى كملت هذه في واحد ، لم يحزنه ما تجري به المقادير في ملكه [5].

نتيجة

فمتى كملت هذه في واحد ، لم يدهش عند مكروه [6].

---

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(6) المصدر نفسه ، ص195 .

(1) سناء حميد البياتي ، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، دار وائل للنشر ، الأردن ، ط1 ، 2003 ،ص 353 .

(2) قد يخرج الشرط عن أصله ، الذي هو وقوع الشيء لوقوع غيره ، بحيث يتوقف الثاني على الأول ، ذلك أنه في بعض الحالات لا يكون الجزء الثاني منه مسببا عن الأول ، و لا متوقفا عليه . للتوسع في الموضوع أنظر : فاضل صالح السامرائي ، معاني النحو ، دار الفكر، بيروت ، ط1 ، 2000 ، ج4 ، ص 53 .

(3) كليلة و دمنة ، ص 22 ، 23 .

(4) المصدر نفسه ، ص23 .

(5) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(6) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

(7) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

نتيجة

4-1-5-2-**أمَّا**:«وهي حرف شرط و تفصيل و توكيد»[1]،وأمَّا «أنَّها شرط فبدليل لزوم الفاء بعدها »[2]، وفي الحجاج تمثل **(أمّا)** مع جملتها مقدما للنتيجة التي لا تقبل الرد أو الشك؛بل تأتي كقناعة راسخة لدى المحاجج ،الذي يفصّلها بعد ذلك تفصيلا يؤكد صحتها ويقينها ، وتأتي البنية الحجاجية هنا وفق الترسيمة التالية :

أمَّا] نتيجة \ فاء الجزاء

ومن أمثلتها في كتاب **كليلة و دمنة** :

« **أمَّا** الطائع فيسترسل إليه و يؤمن في جميع الأحوال »[3].

نتيجة

« **أمَّا** المضطر ففي بعض الأحوال يسترسل إليه و في بعضها يُتحذَّر منه »[4].

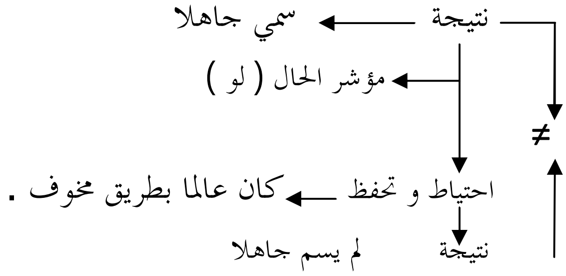
نتيجة

4-1-5-3- **لو**: لها معان متعددة[5]،ولذلك سنقتصر على استعمالها في الشرط ، و تفيد :

- « عقد السببية و المسببية بين الجملتين بعدها »[6].
- « تقييد الشرطية بالزمن الماضي »[7].
- « امتناع السبب »[8].

وتستعمل **(لو)** الشرطية في الحجاج من باب الاحتياط والتحفظ على نتيجة حجاجية ،و مثله في **كليلة و دمنة** : « **لو أنَّ رجلا كان عالما بطريق مخوف ثم سلكه على علم به ، سمي جاهلا** »[9].

و يمكن رسم سلم الحجاج على هذا النحو :



(1) ابن هشام الأنص
(2) المرجع نفسه ، 1 / 353 .
(3) كليلة ودمنة ، ص267 .
(4) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(5) أنظر :ابن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، 3 / 367 .
(6) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(7) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
(8) المرجع نفسه، الصفحة نفسها .
(9) كليلة و دمنة ، ص60.

← ——

4-2-التكرار Récurrence :

التكرار ظاهرة لغوية ذات دلالة من حيث التركيب و من حيث التأثير في المتلقي، ففي مجال التركيب عده **عبد القاهر الجرجاني** من معاني النحو « التي تبث في الكلام الانسجام و الاتساق و التناسق »[1]، أما في مجال الإقناع و التأثير فإنَّ التكرار يجعل هذه المفردات و هذه الجمل المكررة حاضرة المعاني في ذهن المتلقي أثناء التخاطب، أو أثناء القراءة .

وقد حفل بهذا المصطلح البلاغيون العرب، فأشار **السجلماسي** إلى وظيفته في الربط بين الأجزاء و اصطلح على تسميته" بالبناء " يقول :« البناء هو إعادة اللفظ الواحد بالعدد و على الإطلاق ، المتحد المعنى كذلك مرتين فصاعدا خشية تناسي الأول لطول العهد في القول »[2].

أمَّا من منظور لسانيات النص فهو_التكرير _بتعبير **محمد خطابي** «شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو عنصرا مطلقا أو اسما عاما »[3].

وفي **كليلة و دمنة** تكررت عبارة النداء « **يا نفس** » أكثر من مرة،يقول:« **يا نفس،أما تعرفين نفعك من ضرك ...يا نفس، أما تذكرين ما بعد هذه الدار فينسيك ما تشرهين إليه منها ؟...يا نفس،انظري في أمرك ،وانصرفي عن هذا السفه...يا نفس،لا تغتري بصحبة أحبائك و خلانك...يا نفس،لا يحملنك أهلك و أقاربك على جمع ما تهلكين فيه إرادة صلتهم...يا نفس ،لا تركني إلى هذه الدار الفانية...يا نفس،لا تملي من عيادة المرضى و مداواتهم...يا نفس،لا يبعد عليك أمر الآخرة فتميلي إلى العاجلة في استعجال القليل،وبيع الكثير باليسير** »[4]، فالغاية من هذا التكرار تابعة لغرض المحاجج ، حيث يكون سبيلا و منفذا لاستمالة المتلقي و التأثير فيه .

ويرجع هذا النوع من التكرار إلى المحاجج نفسه،إذ يستطيع تعويض اللفظ بما يحيل إليه كالضمير أو الإشارة أو الاسم الموصول، و لكنَّه يفضل التكرار لغاية استمالة المتلقي، بتكثيف ذكر هذا اللفظ بنفس معناه بين الجمل أو الفقرات المتتابعة .

وصفوة القول أن للتكرير وظائف خطابية عدة ، عبر عنها بالإفهام و الإفصاح و الكشف، و توكيد الكلام و التشييد من أمره ، و تقرير المعنى و إثباته ،كما يقرن **أبو هلال العسكري** التكرير بتأكد الحجة ، و يجعل التكرير مدا للقول ،ومن ثم يربط بين مد القول و بلوغه الشفاء و الإقناع [5].

---

(1) إبراهيم خليل ، في اللسانيات و نحو النص ، ص 231 .
(2) السجلماسي ، المنزع البديع ، ص 476 ، نقلا عن : جميل عبد الحميد ، البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ، ص 92 .
(3) محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 24 .
(4) كليلة و دمنة ، ص 75 ، 77.
(5) للتوسع أنظر: محمد العبد ، النص الحجاجي العربي ، ص 63 .

خاتمة

الخاتمة

إنَّ دراسة المعنى التواصلي هو الرهان الذي تحاول التداولية من خلاله الولوج إلى عالم تحليل الخطابات الأدبية على وجه الخصوص، ليس لكونه متأصلا في الكلمات وحدها ، ولا لارتباطه بالمتكلم وحده أو بالسامع وحده، وإنَّما لتداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي،اجتماعي،لغوي) ، وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما .وتأسيسا على ذلك نستخلص أنَّ المنهج التداولي إنَّما هو إستراتيجية هامة و فعالة في تحليل الخطابات الأدبية بشكل عام ، لتفضي بنا الدراسة في هذا البحث إلى جملة من النتائج ، أهمّها :

×ليس من السهل التعريف بالخطاب أو البحث عن مفهوم جامع مانع له،فتحديده يبقى مسألة نسبية، سيما و قد تجاذبته عدة معارف و علوم،كما واجه هذا المصطلح إشكالات عدة،أهمها إشكالية ضبط حدوده حيث وقفت اللسانيات الوصفية،كما هو معلوم،عند حدود الجملة لا تتعدَّاها ، على اعتبار أنَّها الوحدة الأكبر القابلة للوصف.

×ظهور لسانيات ما وراء الجملة ، والتي تجاوزت حدود الجملة إلى دراسة جوانب نصية كبرى ، للوصول إلى العلاقات الدلالية – التداولية.

×تداخل مفهوم الخطاب ببعض المفاهيم،التي تقاربه في الوظيفة،سيما مفهوم النص،وقد شهدت الدراسات تضارب آراء الباحثين حول نقاط الاختلاف بينهما، فارتبط الأول عند بعض الباحثين بالشفوي(الصوتي)،بينما ارتبط مفهوم النص بالكتابي (التشكيلي)،بينما يرى آخرون أن كلا المصطلحين مرادف للآخر .

×تعلُّق الخطاب بالظاهرة الكلامية،التي ترتبط بالفرد،والذي يسعى إلى إفهام مخاطبه و التأثير فيه،وحتى تكون الرسالة فاعلة فإنَّها تقتضي حضور عوامل ذات أهمية في الدراسات التداولية ،ولا يتحقق نجاح فعل التخاطب ألا بها ، و هي: المتكلم و المستمع و القصد و السياق و المقام و الزمان و المكان .

×الخطاب السردي هو خطاب يستحضر إلى الذهن عالما منظورا إليه بكونه واقعيا،ماديا،ومعنويا،يقع في مكان و زمان محددين،ومقدما في أغلب الأحيان بتصور معين يمكن أن يكون منظور شخصية أو أكثر ،ومنظور الراوي أيضا.

×الخطاب السردي هو الحيّز الذي تتجلى فيه الشخصيات بطريقة مميزة،حيث يجعلها تنبض بالحياة،فتقدم لنا الحياة الاجتماعية بمختلف مظاهرها ،أو حتى الحياة التاريخية ، لتكشف عن نظرتها العميقة للعالم .

×انتظام الخطاب داخل مجموعة من المبادئ و القواعد،سماها غرايس بأحكام المحادثة،والتي تعمل على تيسير تبادل الأدوار الكلامية بين المتخاطبين .

×إعادة الاعتبار للنظريات السياقية ،حيث دخلت مجال اللسانيات بقوة،كنظريات أفعال اللغة لفلاسفة اللغة العادية ،والملفوظية،وأيضا نظريات التداول،ونظريات النحو الوظيفي،والتي ركزت جميعا على مرجع العلامة اللغوية أو المكون التداولي،إلى جانب المكون الدلالي و التركيبي .

×متضمنات القول و الافتراض المسبق و الأقوال المضمرة من أهم المفاهيم التداولية ،والتي تتعلق بجوانب ضمنية و خفية من قوانين الخطاب، فقد يعدل المتكلم عن استعمال الخطاب المباشر إلى خطاب التلميح،بدافع من عوامل معينة كالسياق المحيط،أو السلطة (مرتبة المستمع)،أو الأعراف الاجتماعية و الضوابط الأخلاقية الشرعية،أو رغبة من المتكلم في التملص و التهرب من مسؤولية الخطاب،أو مراعاة للتأدب،وما إلى ذلك.

× لم تقصر التداولية اهتمامها على مجال الدراسة اللغوية و تحليل الخطاب في مستوى الاستعمال العادي أو التواصلي؛بل وسعت مجال اهتمامها ليشمل تحليل الخطاب الأدبي،فتوصلت_انطلاقا من تطوير مفاهيمها النظرية و أدواتها التحليلية و إحيائها للعديد من المفاهيم التي كانت قد أقصيت في المناهج السابقة عنها كالمؤلف،والمتلقي،و السياق و المرجع و الذاتية و ما إلى ذلك _ إلى إرساء مفاهيم جد هامة في مجال تحليل الخطاب الأدبي.

×إنَّ الفعل الكلامي السردي يختلف عن الفعل الكلامي العادي في تشكله،كما أنه أقرب إلى مفهوم الحدث الكلامي منه إلى الفعل الكلامي.

*تتعاضد الأفعال الكلامية على تنوعها لبناء الفعل الكلامي الجامع (الرئيس) .

*إننا نتواصل في غالب المواقف،ومن غير أن نحس،بالأفعال الكلامية غير المباشرة .

*يعد الوصف في الخطابات السردية فعلا كلاميا يتكون بدوره من فعل قولي و فعل انجازي و فعل تأثيري .

*الفعل الكلامي فعل حجاجي قصدي اتفاقي يتكون من فعل متضمن في القول (لفظي)،وفعل منجز بالقول،و فعل تأثيري .

×لا خطاب بدون حجاج،فالحجاج بتعبير **طه عبد الرحمن** أصل في تكوثر الخطاب، كون المتكلم يسعى من خلال أقواله إلى كسب و تأييد المخاطب أو توجيهه نحو نتيجة ما ،وفق معطيات سياقية و إستراتيجية معينة.

*إنَّ مفهوم الحجاج يستحضر شطرا من الفعالية الخطابية،وذلك بمراعاة المخاطب و ما يصدر عنه لغويا كأن يوجه كل أقواله بقصد محدد مسبقا.

*الاستعارة أبلغ من الحقيقة حجاجيا،لذا يمكن تعريفها بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي .

*لا يقف دور الألوان البديعية عند الوظيفة الشكلية،التي هي زخرفة الخطاب؛بل إنَّ من وظائفها الرئيسة الحجاج و الإقناع .

*الآليات اللغوية كالروابط الحجاجية ، والتكرار هي ظواهر لغوية ذات دلالة من حيث التركيب ، ومن حيث استمالة المتلقي و التأثير عليه،وتوجيهه نحو التصديق و الاقتناع .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصـــــادر والمراجــــع

* القرآن الكريم برواية حفص .

--*---*---*---*---*---*---*---*---*---*---*---*--

أ-الـــكتـــــــــب :

1- **إبراهيم، إبراهيم مصطفى**، نقد المذاهب المعاصرة ، ط1 ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000 .

2- **الإبراهيمي ، خولة طالب** ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة النشر ،حيدرة، الجزائر، 2000.

3- **إبراهيم ، عبد الله** : (و آخرون)،معرفة الآخر، مدخل الى المناهج النقدية الحديثة ،ط2 ، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، بيروت ، 1996.

-الثقافة العربية و المرجعيات المستعارة،تداخل الأنساق والمفاهيم و رهانات العولمة، ط1، المركز الثقافي العربي،بيروت،الدار البيضاء، ، 1999 .

-التلقي و السياقات الثقافية (بحث في تأويل الظاهرة الأدبية)، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، 2000 .

-السردية العربية ، بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر،ط2،2000 .

4-**ابن الأثير**،المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ج 2، تقديم و تعليق :أحمد الحوفي و بدوي طبانة ، ط2 ،دار النهضة، ، مصر دت .

5-**ابن تميم ، علي** ، السرد و الظاهرة الدرامية،دراسة في التجليات الدرامية للسرد العربي القديم، ط1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت،2003.

6-**ابن جني** ، أبو الفتح عثمان ، الخصائص،ج 1،تح : محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1952.

7-**ابن حزم** ، الإحكام في أصول الأحكام ،مجلد 1، دط ،دار الآفاق ، بيروت ، 1983 .

8-**ابن خلدون** ، المقدمة من كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ج 3 ، تعليق و شرح : علي عبد الواحد وافي ، دط، دار نهضة مصر ، مكتبة الأسرة ، 2006 .

9-**ابن خلكان** ،أحمد بن محمد بن أبيب بكر، وفيات الأعيان و أبناء أيتام الزمان ، ج2، تح : إحسان عباس ، وزارة الثقافة ، بيروت ، 1972.

10-**أبو العدوس ، يوسف** ، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث ، منشورات الأهلية ، عمان ، الأردن، 1997.

11-**ابن فارس** ، مقاييس اللغة ، مج 4.
12-**ابن المقفع ،عبد الله** ، الأدب الكبير، مكتبة المصطفى www.al-mostafa.com.
-كليلة و دمنة ، دار الكتاب الحديث ، دط ، 2010 .
13-**ابن منظور** ، لسان العرب ،ج1، ، دار صادر، بيروت، ط1، 1955.
14-**ابن النديم** ، أبو الفرج محمد بن إسحق الوراق ، الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء و المحدثين و أسماء كتبهم ، تح: رضا تجدد، مكتبة المصطفى www.al-mostafa.com .
15-**ابن وهب** ، **أبو الحسن اسحق** ، البرهان في وجوه البيان ، تقديم و تحقيق :حفني محمد شرف ، مطبعة الرسالة ، عابدين ، مصر ، دط ، دت .
16-**أبو موسى** ، **محمد** ، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان ، ط3 ، مكتبة وهبة، عابدين ،القاهرة ، 1993 .
17-**أرمينيكو، فرانسواز** ، المقاربة التداولية ، تر: سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط، 1987.
18-**إسماعيل عبد الحق** ، **صلاح** ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ط1 ، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت ، 1993
19-**أمين** ، **أحمد** ، ضحى الإسلام ، ج1، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط10، دت.
20-**الأنصاري** ، **ابن هشام** ،شرح قطر الندى وبل الصدى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، الشركة المتحدة للتوزيع ، القاهرة ، مصر، الطبعة الحادية عشرة ، 1983.
-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق و شرح :عبد اللطيف محمد الخطيب، ج1 و3 ، ط1 ، السلسلة التراثية 21، الكويت ،2000 .
21-**أوشان** ، **علي آيت** ، السياق و النص الشعري ، من البنية إلى القراءة ،ط 1،دار الثقافة للنشر و التوزيع ، الدار البيضاء، 2000.
22-**أوكان** ، **عمر** ، اللغة و الخطاب ، دط ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، بيروت ،2001 .
23-**إيفانوكس**، نظريّة اللغة الأدبيّة، ترجمة حامد أبو حمد، ط 1 ، القاهرة، مكتبة غريب، 1988.
24-**إيكو** ، **أمبرتو** ، السيميائيات و فلسفة اللغة،تر:أحمد الصمعي،المنظمة العربية للترجمة،بيروت،ط2005،1.
-التأويل بين السيميائيات و التفكيكية ، تر: سعيد بنكراد،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت،ط2004،2.
25-**بارت** ، **رولان** ، مدخل إلى التحليل البنيوي للقصص ، تر:منذر عياشي ، مركز الانماء الحضاري حلب ، دت، 1993 .

26-**بارة ، عبد الغني** ،إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مقاربة حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 2005 .
27-**باقر** ، **مرتضى جواد** ، مقدمة في نظرية القواعد التوليدية ، دار الشروق للنشر ، عمان، الأردن ، ط1، 2000.
28-**بحراوي** ، **حسن** ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1990.
29-**بحيري** ، **سعيد حسن** ، علم لغة النص ، المفاهيم و الاتجاهات ، الشركة المصرية لونجمان ، الجيزة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 1997.
30-**براون و يول** ، تحليل الخطاب ، تر : محمد لطفي الزليطي و منير التركي، مطابع جامعة الملك سعود الرياض ، دط، 1997 .
31-**بلانشيه، فيليب**، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة،در الحوار،سورية ، ط1، 2007 .
32-**بلخير،عمر**،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية،منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1،2003.
33-**بناني** ،**محمد الصغير** ، النظريات اللسانية و البلاغية عند العرب ، النظريات اللسانية و البلاغية و الأدبية عند الجاحظ من خلال البيان و التبيين ، دار الحداثة ، بيروت ، ط1 ، 1986.
34-**بوجادي** ، **خليفة** ، في اللسانيات التداولية ، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم ، بيت الحكمة ، ط1 ، 2009 .
35-**بوحوش** ، **رابح** ، الأسلوبية و تحليل الخطاب ، منشورات باجي مختار، عنابة ، دت ، دط .
36-**بوقرة** ، **نعمان** ، المدارس اللسانية المعاصرة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، دط،2004 .
37-**بومزبر** ، **الطاهر** ، التواصل اللساني و الشعرية ، مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون ، الدار العربية للعلوم_ ناشرون ، بيروت ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2007 .
38-**البياتي** ، **سناء حميد** ، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم،دار وائل للنشر، الأردن ، ط1 ،2003.
39-**بياجيه** ، **جان** ، البنيوية ، منشورات عويدات ، بيروت_باريس ، ط4 ، 1985 .
40- **التفتازاني** ،**سعد الدين** ، المطول في شرح تلخيص المفتاح،ترتيب و تعليق : عبد المتعال الصعيدي ، دار الحكمة قم (إيران) ، دط، دت.
41-**تودوروف** ، **تزفيتان** ، الشعرية ، تر: شكري المبخوت و رجاء بن سلامة ، سلسلة المعرفة الأدبية ، تونس ، ط1، 1987 .

-باختين المبدأ الحواري ، تر : فخري صالح ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، دار الفارس ، عمان ، الأردن ، ط2 ، 1996.

42-**الجابري** ، **محمد عابد** ، تكوين العقل العربي ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط2 ، 1985 .

-الخطاب العربي المعاصر ، دراسة تحليلية نقدية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط5 ،1994.

43-**الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر**،البيان و التبيين، تحقيق و شرح:عبد السلام محمد هارون ،ج1/ 2،دار الجيل،بيروت،دط، دت .

-الحيوان ، ج 1 ،تح : عبد السلام محمد هارون ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت،ط3 ، 1969 .

44-**جبار**، **سعيد** ، الخبر في السرد العربي ، الثوابت و المتغيرات ، شركة المدارس للنشر و التوزيع ،الدار البيضاء ، ط1 ،2004.

45-**الجرجاني** ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز،شرح و تعليق:محمد التنجي ،دار الكتاب العربي ، بيروت، ط1999،3.

-أسرار البلاغة،قراءة و تعليق:محمود محمد شاكر ، ،مطبعة المدني (القاهرة)،دار المدني(جدة)، دط، دت .

46-**جرير**، الديوان ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، دط ، 1986.

47-**الجهشياري** ، الوزراء و الكتاب ، تح : مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري و عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة الصاوي البابي الحلبي و أولاده ، القاهرة ، دط، 1983 .

48-**حسان**، **تمام** ، اللغة العربية معناها و مبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، دط ، 1994

49-**حسن** ، **عباس** ، النحو الوافي ،ج1،دار المعارف ،القاهرة ، ط14 ، دت .

50-**حسام الدين** ، **كريم زكي** ، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط3 ، 2001 .

51-**حمو الحاج** ، **ذهبية** ، لسانيات التلفظ و تداولية الخطاب ، منشورات مخبر تحليل الخطاب ، جامعة مولود معمري، تيزي وزو ، الجزائر ، دار الأمل للطباعة و النشر ، دط ، دت .

52-**حجاج ،كلود** ، إنسان الكلام ، مساهمة لسانية في العلوم الإنسانية ، تر : رضوان ظاظا ، مراجعة : مصباح الصمد و بسام بركة ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ،2003

53-**الحلي** ، **صفي الدين** ، شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة و محاسن البديع ،تح:نسيب نشاوي ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجامعية،دط،دت.

54-**حمودة** ، **عبد العزيز**،المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك ، عالم المعرفة ، الكويت ،ع 232 ، 1998.

55-**الخنصالي** ، **سعيد** ، الاستعارات و الشعر العربي الحديث ، دار توبقال ، دط ، 2005 ـــ

56- **خطابي** ، **محمد** ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط2 ، 2006 .

57- **الخفاجي** ، **ابن سنان** ، سر الفصاحة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ،1982 .

58- **خفاجي** ، **عبد المنعم و عبد العزيز شرف** ، البلاغة العربية بين التقليد و التجديد دار الجيل ، دط، دت.

59- **خليل** ، **إبراهيم** ، في اللسانيات و نحو النص ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط1 ،2007.

60- **دايك** ، **فان** ، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي و التداولي ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، بيروت ، المغرب ، دط ، 2000.

-علم النص،مدخل متداخل الاختصاصات، تر:سعيد حسن بحيري،دار القاهرة للكتاب،القاهرة،ط1،2001.

61- **دبة** ، **الطيب** ، مبادئ في اللسانيات البنيوية ، دراسة تحليلية ابستمولوجية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، دط ، 2001.

62- **دلاش** ، **الجيلالي** ، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، تر : محمد يحياتن ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت

63- **دي بوجراند** ، **روبرت** ، النص و الخطاب و الاجراء ، تر : تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1998 .

64- **الرازي** ، **قطب الدين** ، تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط2 ، 1948.

65- **الرقيق** ، **عبد الوهاب** ، أدبية الحكاية المثلية في كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع ، دار صامد ، صفاقس ، تونس ، ط1 ، 2007 .

66- **روبول آن و جاك موشلار** ، التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، تر: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني ، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 2003 .

67- **الرويلي** ، **ميجان و سعد البازعي** ، دليل الناقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من سبعين تيارا و مصطلحا نقديا معاصرا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط5 ، 2007.

68- ريتشاردز ،آيفور ارمسترونغ ، فلسفة البلاغة،تر:سعيد الغانمي و ناصر حلاوي، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء،دط،2002.

69- **ريكور** ، **بول** ، نظرية التأويل (الخطاب و فائض المعنى) ، تر : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت ، الدار البيضاء ،ط1، 2003 .

70- **زايد** ،**عبد الصمد**، مفهوم الزمن و دلالته في الرواية العربية المعاصرة ، الدار العربية للكتاب، دط، 1988.

71-**الزركشي** ، **بدر الدين بن عبد الله** ، البرهان في علوم القرآن ،تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ،ج 2 ،ط1 ،1972 .

72-**زناد** ، **الأزهر**،نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.

73-**السامرائي** ، **فاضل صالح** ، معاني النحو ،ج4، دار الفكر، بيروت ، ط1 ، 2000.

74-**السعران** ، **محمود** ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2 ، 1997 .

75-**السكاكي** ، أبو يعقوب ، مفتاح العلوم ، ضبط و شرح و تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط2،1987.

76-**سليمان** ، **محمد ياقوت** ، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2000 .

77-**سوسير**،**دي فردينان** ، محاضرات في علم اللسان العام ، تر : عبد القادر قنيني ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2008 .

78-**سيبويه** ، **أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر** ،ج 1، تح : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت،ط1،دت.

79-**سيرفوني** ،**جون** ،الملفوظية ، تر: قاسم المقداد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، 1987.

80-**سيرل** ،**جون** ، العقل و اللغة و المجتمع ، الفلسفة في العالم الواقعي ، تر: سعيد الغانمي ، الدار العربية للعلوم ناشرون (بيروت)، منشورات الاختلاف (الجزائر) ، المركز الثقافي العربي (بيروت) ، ط1 ، 2006

81-**الشاطبي** ، **أبو اسحق** ، الموافقات في أصول الشريعة ،ج 1، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1،1991.

82-**شرف** ، **عبد العزيز** ، علم الإعلام اللغوي ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لوجمان ، ط1 ، 2000.

83-**الشهري** ، **عبد الهادي بن ظافر** ، استراتيجيات الخطاب ، مقاربة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، دار أويا للطباعة و النشر و التوزيع و التنمية الثقافية ، طرابلس ليبيا ، ط1 2004 .

84-**صحراوي** ، **إبراهيم** ، تحليل الخطاب الأدبي ، دراسة تطبيقية ، دار الآفاق ، الجزائر ، ط1 ، 1999 .

85-**صحراوي** ، **مسعود** ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الافعال الكلامية في التراث العربي دار الطليعة بيروت، ط1، 2005 .

86-**صليبا** ، **جميل** ، المعجم الفلسفي ،ج2 (من ط إلى ي) ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت ،1982.

87-**صمود** ، **حمادي** ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه و تطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية،دط، 1981 .

88-**صولة** ، **عبد الله** ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ج1 ، جامعة منوبة ، 2001

89-**طاليس**،**أرسطو**،الخطابة تح : عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت،دار القلم بيروت،دط، .1997

90- **الطبطبائي**،**طالب سيد هاشم** ، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين و البلاغيين العرب ، الكويت ،ط1 ، 1993.

91-**الطلبة**،**محمد سالم محمد الأمين**،الحجاج في البلاغة المعاصرة دار الكتاب الجديد ،بيروت،ط1،2008.

92-**عباس** ، **فضل حسن** ، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، دار الفرقان، الأردن ، ط4، 1997.

93-**عبد الحق**،**صلاح إسماعيل**،التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت ، ط1، 1993.

94-**عبد الرحمن** ، **طه**، التواصل و الحجاج ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، دت ، دط.

- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 1998

-في أصول الحوار و تجديد علم الكلام،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،بيروت،ط2007،3.

95-**عبد المجيد** ، **جميل** : البلاغة و الاتصال ، دار غريب للطباعة و النشر ، القاهرة ، 2000 .

-البديع بين البلاغة العربية و اللسانيات النصية ، الهيئة المصرية للكتاب ، مصر ، دط، 1998 .

96-**عتيق** ، **عبد العزيز** ،في البلاغة العربية علم البديع،دار النهضة للطباعة و النشر،بيروت، دط،1985.

97-**العجيمي** ، **محمد ناصر**، في الخطاب السردي ، نظرية قريماس ، الدار العربية للكتاب ، دط ،1993.

-الخطاب الوصفي في الأدب العربي القديم،الشعر الجاهلي أنموذجا،ج1،مركز النشر الجامعي، تونس، ط1، دت.

98-**العزاوي** ، **أبو بكر** ، اللغة و الحجاج،العمدة في الطبع،ط2006،1.

99-**العسكري** ، **أبو هلال الحسن بن عبد الله** ، الفروق اللغوية ، دار الكتب العلمية للنشر و التوزيع ، دط، 2006.

-كتاب الصناعتين (الكتابة و الشعر) ، تح : علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، ط2 ، دت .

100-**عشير** ، **عبد السلام** ، عندما نتواصل نغير ، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، دط ،2006

101-**عصفور** ، **جابر** ، الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط3 ، 1992 .

102-**عفيفي**،**أحمد** ،نحو النص، إتجاه جديد في الدرس النحوي،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة ، ط1، 2001 .

103-**العلوي** ، **يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني** ، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، مراجعة و ضبط و تدقيق : محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1995

104-**علي محمد كرد** ، أمراء البيان ، دار الأمانة ، ط3 ، 1969 .

105-**علي** ، **محمد يونس** ، المعنى و ظلال المعنى ، أنظمة الدلالة في العربية ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، 2007 .

106-**العمري** ،**محمد** ، البلاغة العربية ، أصولها و امتداداتها ، إفريقيا الشرق ، دط، 1999 .

107-**الغذامي** ، **عبد الله** ، الخطيئة و التكفير ،من البنيوية إلى التشريحية ، قراءة نقدية لنموذج معاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط4 ،1998 .

- تأنيث القصيدة و القارئ المختلف ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط2 ، 2005

108-**الغزالي**، **أبو حامد** ، المستصفى من علم الأصول ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، ط1 ، 1937 .

109-**الفارابي** ، **أبو نصر** ، كتاب الحروف ، تحقيق : محسن مهدي ، دار المشرق ، بيروت ، ط2 ، 1990 .

110-**فضل** ، **صلاح** ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط3 ، 1985 .

- بلاغة الخطاب و علم النص ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، مكتبة لبنان ، ط1 ، 1984 .

111-**الفهري** ، **عبد القادر الفاسي**، اللسانيات و اللغة العربية،منشورات عويدات، بيروت ، ط1 ، 1986 .

112-**فوك** ،**كاترين و بيارلي قوفيك** ، مبادئ في قضايا اللسانيات المعاصرة ، تعريب : المنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، دط .

113-**فوكو** ، **ميشال** ، حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، الدار البيضاء ،دط ، 1986 .

-الكلمات و الأشياء ، تر: مطاع صفدي و آخرون ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، 1990 .

114-**الفيصل** ، **سمر روحي** ، بناء الرواية العربية السورية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، 1995 .

115-**قاسم** ،**سيزا**،بناء الرواية ،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط،1984.

116-**القزويني** ، **الخطيب** ، الإيضاح في علوم البلاغة ، مراجعة : بهيج غزاوي ، دار احياء العلوم ، بيروت ، ط1 ، 1988

117-**القيرواني** ، **ابن رشيق** ، العمدة في صناعة الشعر ونقده ،ط1 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 2000 .

118-**الكفوي** ، **أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني** ، الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، تحقيق : عدنان درويش و محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1419هـــ - 1998م

119-**كيليطو** ، **عبد الفتاح** ، الحكاية و التأويل ، دراسات في السرد العربي ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، المغرب ، دط ، دت.

- الأدب و الغرابة ، دار الطليعة ، دط، 1982.

120-**لايكوف** ، **جورج** ، اللسانيات و منطق اللغة الطبيعي ، تر : عبد القادر قنيني ، افريقيا الشرق ، 2008

- (ومارك جونسون)، الاستعارات التي نحيا بها ،تر:عبد المجيد جحفة،دار توبقال للنشر،ط2،2009.

121-**لحميداني** ،**حميد** ، بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 1991

122- **ليونز، جون** ، اللغة و المعنى و السياق ، تر : عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،ط1 ، 1987.

123-**مانغونو** ، **دومينيك** ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر : محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، ط1 ، 2008 .

-و باتريك شارودو و غيرهم ، معجم تحليل الخطاب ، تر : عبد القادر المهيري و حمادي صمود ، مراجعة : صلاح الدين الشريف ، دار سيناترا ، المركز الوطني للترجمة ، تونس ، دت ، 2008 .

124-**المتوكل** ، **أحمد** ، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ، دار الأمان ، الرباط ، 1995 .

-الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1985 .

-دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، 1986 .

-اللسانيات الوظيفية ، مدخل نظري ، منشورات عكاظ ، الرباط ، دط،1989 .

125-**مرتاض** ، **عبد الجليل** ، اللغة و التواصل ، دار هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر، دط ، 2003 .

-الظاهر و المختفي طروحات جدلية في الإبداع و التلقي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2005 .

126-**مرتاض،عبد المالك** ، في نظرية الرواية،بحث في تقنيات السرد،دار الغرب، وهران، دط ، دت.

- بنية الخطاب الشعري ، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمنية للشاعر عبد العزيز المقالح ، دار الحداثة للطباعة و النشر ، بيروت ، ط1 ، 1986 .

127-**المرتجى** ، **أنور** ، سيميائية النص الأدبي ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ،دط، 1987 .

128-**مرشد،أحمد**، البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصر الله،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،2005.

129-**المسدي** ، **عبد السلام** ، النقد و الحداثة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط1 ، 1983 .

-اللسانيات و أسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر و التوزيع ، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،دط، 1986 .

- الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2 ، 1982 .

130-**مصلوح** ،**سعد عبد العزيز** ، دراسة السمع و الكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك عالم الكتب القاهرة ، ط2000،1

131-**معتوق** ، **أحمد محمد** ، الحصيلة اللغوية ، عالم المعرفة ، دط ، 1996 .

132-**مفتاح** ، **محمد** ، تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص ، دار التنوير للطباعة و النشر ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1985 .

-دينامية النص (تنظير و انجاز) ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ط3 ، 2006

133-**الملخ** ، **حسن خميس**،رؤى لسانية في نظرية النحو العربي ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2007 .

134- **منير،وليد** ،النص القرآني من الجملة إلى العالم،المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة ، ط1، 1997

135-**مهران** ، **محمد** ، مدخل إلى الفلسفة المعاصرة ، دار الثقافة للنشر و التوزيع ، القاهرة ، ط2 ، 1984

136-**مونان** ، **جورج** ، اللسانيات و الترجمة ،تر: حسين بن زروق،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2000.

137-**ناصر** ، **عمارة** ، الفلسفة و البلاغة ، مقاربة حجاجية للخطاب الفلسفي ،الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009 .

138-**نحلة** ، **محمود أحمد** ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2002

139-**نهر** ، **هادي** ، الكفايات التواصلية و الاتصالية ، دراسات في اللغة و الإعلام ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ط1 ، 2003 .

140-**هامون** ، **فيليب** ، سيميولوجية الشخصيات الروائية ، تر: سعيد بنكراد ، دار الكلام ، الرباط ، 1990

141-**هانيه منه** ، **فولفغانغ** ، **و فيهيفجر ديتر** ، مدخل إلى علم اللغة النصي ، تر : صالح فاتح الشايب ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياض ، دط،1997 .

142-**الولي،محمد**،الاستعارة في محطات يونانية وعربية وغربية ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب، ط1، 2005

143-**الواحدي**،شرح ديوان المتنبي،مكتبة المصطفى -www.al-mostafa.com،بتاريخ:2012/09/06

144-**ياقوت** ، **محمد سليمان** ، منهج البحث اللغوي ، دار المعرفة الجامعية ، ط1 ، 2002 .

145-**ياكبسون** ، **رومان** ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ، ، تر:علي حاكم صالح و حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، بيروت ، ط1 ، 2002 .

146- **يعقوب** ، **إميل بديع** ، معجم الإعراب و الإملاء ، دار اشريفة ، مطبعة الرهان الرياضي الجزائري ، الجزائر ، دط ، دت .

147-**يقطين** ، **سعيد** ، تحليل الخطاب الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، دط ، 1989 .

148- **يوسف**،**أحمد**،القراءة النسقية ،سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1،2003.

- الدلالات المفتوحة ، مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، المركز الثقافي العربي المغرب ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ط 1، 2005 .

ب – الدوريات والمجلات :

1-**إدريس** ، **مقبول** ، البعد التداولي عند سيبويه ، مجلة عالم الفكر ،ع1، مج33 ، سبتمبر 2004 .

2- **أعراب** ، **حبيب** ، الحجاج و الاستدلال الحجاجي "عناصر استقصاء نظري " مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب الكويت سبتمبر 2001 ، ع1،مج 30.

3-**أنقار** ، **سعاد** ، البلاغة و الاستعارة من خلال كتاب (فلسفة البلاغة) ل : إ. إ . ريتشاردز ، مجلة عالم الفكر ، مج 37 ،ع3 ، يناير مارس ، 2009 ،الكويت.

4-**أيوب**،**عبد الرحمن**،تحليل عملية التكلم و بعض نتائجه التطبيقية ، عالم الفكر ، مج20 ، عدد 3،أكتوبر_نوفمبر_ديسمبر1989

5-**بايزيد** ، **فاطمة الزهراء** ،سيمياء الحواس في فوضى الحواس ،الملتقى الدولي الخامس السيمياء و النص الأدبي.

6-**بحري** ، **محمد لمين** ، أقلمة المفاهيم التداولية لنظرية النظم (من القرن الثالث إلى القرن الخامس الهجري) ،قص المسارات البلاغية و الفلسفية و النحوية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، العدد السابع ، جوان 2010 .

7- **البعزاتي** ، **بناصر** ، الصلة بين التمثيل و الاستنباط ، ضمن كتاب :التحاجج طبيعته و مجالاته ، تنسيق : حمو النقاري ،، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية سلسلة ندوات و محاضرات رقم 134 ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط2006،1 .

8- **بلبع** ، **عيد** ، الرؤية التداولية للاستعارة ،مجلة علامات، المغرب، ع23 ، سبتمبر2005.

9- **بنسليمان** ، **حسناء** ، بنية الخطاب السردي ، مجلة علامات، جدة،السعودية،ج54، م14 ،شوال 1425 ،ديسمبر 2004 .

10-**بن عيسى** ، **عبد الحليم** ، البيان الحجاجي في إعجاز القرآن الكريم "سورة الأنبياء نموذجاً" ، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق العدد 102 السنة السادسة والعشرون - نيسان 2006 - ربيع الثاني 1427.

- المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، مجلة دراسات أدبية،جامعة وهران،ع1، ماي 2008 .

11- **بوجملين** ، **لبوخ** ، تواصل الفعالية السردية،نموذج (جاب لينتفالت) التلفظي الأثر ، مجلة الآداب و اللغات،جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة ، الجزائر ، ع6، ماي2007 .

12-بودربالة ،الطيب،قراءة في كتاب "سيمياء العنوان"لبسام قطوس، الملتقى الدولي الثاني "السيمياء و النص الأدبي "،15-16 أفريل 2002،جامعة محمد خيضر،بسكرة.

13- **بوزيدة** ، **عبد القادر** ،ملاحظات و مقارنة بين بعض الاتجاهات التداولية : باختين و مونقانو نموذجا، مجلة اللغة و الأدب ، ع17 ،جانفي 2006 ، الجزائر.

14- **بو الطيب** ، **عبد العالي** ، الشخصية الروائية بين الأمس و اليوم ، مجلة علامات ، جدة ،السعودية، ج54 م14 شوال 1425 ديسمبر 2004 .

15- **بوقرة** ، **نعمان** ، نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية ، مجلة اللغة و الأدب ،ع17 ،جانفي 2006 ، الجزائر .

16-**بومعزة** ، **رابح** ، تحليل البنية العميقة للنص الأدبي،ج 56 ، م 14 ، ربيع الآخر 1426 ه ، يونيو 2005.

17-**خليل** ، **لؤي علي** ، المكان في قصص وليد إخلاصي(خان الورد أنموذجا) ، مجلة عالم الفكر ، الكويت ، مج 25 ، ع4 ، ابريل_يونيو ، 1997 .

18-**خوري** ، **أنطوان** ، معنى العني في قصدية هوسرل ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي الكويت ،ع 18 ، 19 ، شباط / آذار 1982 .

19-**الربيعي** ، **اسماعيل نوري** ، قراءة في نقد الحداثة ، مجلة علامات ،جدة، ج56 ، م14 ،ربيع الآخر 1426ه،يونيو 2005.

20- **شداق** ، **بوشعيب** ، مقصدية العمل الادبي بين التقييد و الانفتاح مجلة علامات مج 14 ج54 ديسمبر 2004 .

21-**شنان** ، **قويدر**، التداولية في الفكر الأنجلوسكسوني ، المنشأ الفلسفي و المآل اللساني، مجلة اللغة و الأدب ع17 ،جانفي 2006 ،الجزائر.

22-**سيرفوني،جون** ،اللسانيات و التداولية ،تر:ذهبية حمو الحاج ، التبيين ، الجاحظية ، ع19، الجزائر 2002

23-**صبرة** ، **أحمد** ، التفكير الاستعاري في الدراسات الغربية ، مجلة علامات ، جدة ،ج49 ، م13،سبتمبر 2003.

24- **صحراوي** ، **إبراهيم** ، النص الأدبي فضاء للحوار،مجلة علامات ، ج 54 م 14 شوال 1425 ديسمبر 2004

25-**صولة** ، **عبد الله** ، الحجاج : أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبيرلمان و تيتيكا ، ضمن : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ،إشراف : حمادي صمود ، كلية الآداب ، منوبة .

26-**الطلبة** ، **محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين** ، مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ، مجلة عالم الفكر م 28، ع 3، يناير ـــ مارس، 2000 .

27-**العبد** ،**محمد** ، **النص الحجاجي العربي** ، دراسة في وسائل الإقناع ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر ،ع60 ، صيف_خريف 2002.

28-**العربي** ، **ربيعة** ، الحد بين النص و الخطاب مجلة علامات ،ع 33 ، المغرب ، 2010 .

29-**عروي** ، **محمد إقبال** ، مفاهيم هيكلية في نظرية التلقي ، عالم الفكر ، مج31 ، ع3 يناير _مارس ، الكويت ، 2009

30-**علي** ، **أحمد محمد** ، ملامح الثقافة العربية الإسلامية في كتاب كليلة و دمنة ، مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، مج80 ،ع3.

31-**علي** ، **زهرة أحمد حسين** ، النفي إلى الهامش ، نحو استشراف المنظومة الأدبية لصقر الشبيب ، مجلة عالم الفكر ، مج 25 ،ع 4، ابريل_ يونيو ، الكويت، 1997 .

32-**غماري** ، **نصيرة** ، نظرية أفعال الكلام عند أوستين ، مجلة اللغة و الأدب كلية الآداب و اللغات، الجزائر ،ع 17 جانفي 2006 .

33-**فاخوري** ، **عادل** ، الاقتضاء في التداول اللساني ، عالم الفكر ، ع3 ، 1986 .

34-**الفلاح** ، **قحطان صلاح** ، الأدب و السياسة قراءة في كتاب كليلة و دمنة لابن المقفع ، مجلة جذور ، ع28 ، مج11 ، رجب 1430 ه، يونيو2004 .

35-**قادري** ،**عليمة** ، التداولية و صيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلي ، الملتقى الدولي الخامس" السيمياء و النص الأدبي" ،17و18 نوفمبر 2008 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة.

36-**مبخوت** ، **شكري** ، نظرية الحجاج في اللغة ، ضمن أعمال مخبر البلاغة و الحجاج ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم ، جامعة منوبة ، تونس.

37-**مداس،أحمد**، المعينات و الموجهات في سيمياء التواصل من تشكيل الخطاب إلى تضاد العوالم ، الملتقى الدولي الخامس" السيمياء و النص الأدبي " 17و18 نوفمبر 2008 ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة.

38- **مدقن** ، **هاجر** ، المثل في كتاب كليلة و دمنة بين الإخبارية و التوصيلية ، تقريب تداولي ، أشغال الملتقى الدولي الرابع تحليل الخطاب فيفري2009،تيزي وزو ، الجزائر.

39-**ملاوي** ، **صلاح الدين** ، نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية ، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، جامعة بسكرة ، الجزائر ، ع 4 ، جانفي 2009 .

40-**همام** ، **محمد** ، نظرية تكامل العلوم ، مجلة جذور ،ربيع الآخر 1425 يونيو 2004 .

41-**الولي**، **محمد** ،من بلاغة الحجاج إلى بلاغة المحسنات،مجلة نقد و فكر ،ع 8 ،دار النشر المغربية 1998 .

ج_مواقع الانـــــتـــــــــرنــــــــــت :

1-**أبو الزهراء** ، دروس الحجاج الفلسفي ، مجلة الشبكة التربوية الشاملة فيلومرتيل ، 2008.

2-**بلحبيب رشيد** ، أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، مجلة اللسان العربي ، الموقع : www .allesan.org ، تاريخ الاطلاع على المقال:2011/4/23 ، سا:07:08 .

3- **بنكراد** ، **سعيد** ، استراتيجيات التواصل ، مجلة علامات، المغرب ، 21 ، 2004 ، الموقع : www .saidbengrad.net.

4-**الحباشة** ، **صابر** ، صور المعاني بين أوستين و الجرجاني ، مجلة أفق الثقافية ، انظر الرابط : http //ofouq .com بتاريخ : 25 /مارس /2012 سا :16:32 .

5-خفيف،راضية،التداولية وتحليل الخطاب،مجلة الموقف الأدبي،اتحاد الكتاب العرب،دمشق،ع339،تموز2004، الموقع: ww .awu-dam.org ،تاريخ الاطلاع على المقال:2011/7/8 ،سا:17:06.

6-**فيلالي** ،**حسين**،بنية السرد في رواية الزلزال،الاسم/تاصفة و الشبيه المتخفي ،مقاربة سيميائية، الموقع : www.wattar.cv.dz.

7-**مارتان** ، **جان كلود** ، ما التواصل ؟ ، تر : س . ب ، علامات 21 ، 2004 ، محور العدد : استراتيجيات التواصل ، موقع الباحث سعيد بنكراد www.saidbengrad.net.

8-**المعموري** ، **عيسى سلمان درويش** ، موت المكان في الشعر الحديث ، شعر السياب أنموذجا ، مكتبة جامعة بابل المفتوحة http://repository.uobabylon.edu.iq

9- المقاربة التداولية للخطاب الأدبي مجلة كتابات الالكترونية ، تاريخ صدور المقال : 10 /06 /2011 ، تاريخ الاطلاع عليه : 08 /07 /2011 ، سا: 56 : 17 .

10-**هال** ، **توماس** ، الثقافة و التواصل ، علامات 21، المغرب ، تر : أحمد الفوحي ، موقع الباحث سعيد بنكراد : www.saidbengrad.net .

11-**يوسف** ، **أحمد** ، السيميائيات و التواصل ، مجلة علامات ، المغرب ، ع24 ، 2005 ، موقع الباحث سعيد ينكراد :www .saidbengrad.net .

د_رسائل جامعية :

1-**سرحان** ، **إدريس** ، طرق التضمين الدلالي و التداولي ، رسالة دكتوراه ، مخطوطة جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، المغرب ، 1999 ، 2000 .

2-**شيتر** ، **رحيمة** ، تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب أنموذجا ، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في الأدب ، إشراف الأستاذ الدكتور عبد القادر الدامخي ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر_ باتنة ، الجزائر ، 2008-2009 .

.

ه_المعاجم والكتب الأجنبية :

1- .Amossy(R), L'Argumentation dans le discours , Nathan, 2000

2- Anscombre et O Ducrot ,L'Argumentation dans la langue, Pierre Mardaga ,1983.

3- Breton (P) ,L argumentation dans la communication ,3edition

4- Dubois(Jean) et autres,Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage ,Larousse _Bordas ,1999 .

5- Ducrot (O),et Todorov, Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage ,coll,Points,edition du seuil,Paris,1972.

- Dire et ne pas dire , Hermann , Paris , 1980 .
- Analyses pragmatiques in communication , édition du seuil 1980 .

6- maingueneau (Dominique) ,pragmatique pour le discours littéraire ;bordas,paris

7- orechioni ,Cathrine Kerbrate, L'implicite , Armand colin , Paris , 1986.

فهرس الموضوعات